المجلس الأعلى للثقافة



المشروع القومي للترجمة

259

مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور

الترجمة الحرفية والتعليقات
د. ڤاروجان كازانجيان

الصياغة الشعرية والمراجعة اللغوية
محمد إبراهيم أبو سنة

مختـــارات

من الشعر الأرمني

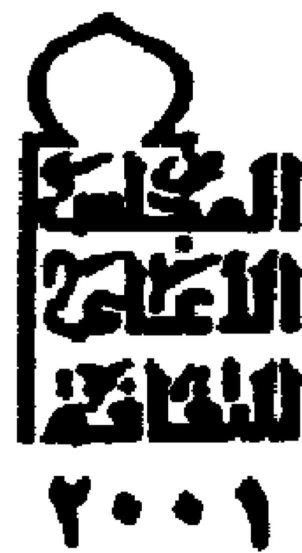
عبر العصور

الترجمة الحرفية والتعليقات

د. ڤاروچـــان كـازانـچـيـان

الصياغة الشعرية والمراجعة اللغوية

محمد إبراهيم أبو سنة



٢٠٠١

تصــــدير

« عندما يكون الشعر هو الوطن »

فـاروق شوشة

لاشك فى أن قراء العربية أحوج ما يكونون إلى إطلالة على الشعر الأرمنى، تقدم لهم من خلال ترجمة أمينة، وصياغة تحافظ على ماء الشعر، أجمل ما فى الشعر من مختارات، تغطى سائر عصوره - من حيث التاريخ -، وشتى دوائره واهتماماته من حيث الابداع والتنوع . .

والذى بين يدى القارئ الآن هو جهد رائد فى هذا المجال، لم يسبقه أى جهد مماثل للاقتراب من تخوم الشعر الأرمنى. الذى يقدم رؤية شعرية حافلة بالصور والمشاعر الإنسانية ومعاناة الحياة والوجود وتمزق الهجرة والتشرد وصراعات المنفى وافتقاد الأرض والوطن. مما يجعل من كثير من صفحاته - على المستوى العميق من الابداع الشعرى - بكائية هائلة، هى بكائية هذا الوجود المضطهد، وهذا الإنسان المقذوف به فى أتون الصراعات والحروب ومناطق النفوذ، وهو يلتمس طوق النجاة.

هذا الشعر إذن هو وجدان أمة، هى أمة الارمن، فى كل لغاتها ومستويات تعبيرها، وتغير عقيدتها الدينية من الوثنية إلى المسيحية، ومن الانعزال والتقوقع إلى الانفتاح والتعايش.

وهو وجدان ثرى خصب، لأنه حافل بالذكريات والرؤى والمطامع والأشواق، ممتلئ بالرغبة الدائمة فى اصطياد العالم وتكثيفه فى لحظة شعرية لاتخلو من الدلالة والمعنى والموقف والاشارة.

ولسوف يطالع القارئ العربى - الذى سبق له الاطلاع على آداب أخرى شرقية وغربية، قديمة وحديثة ومعاصرة وانفعل بها وأصبحت جزءاً من خبرته الإنسانية والفنية - سوف يطالع فى هذه المختارات نفسا شعريا مغايرا لكل ما قرأه من قبل، وإبداعاً مدهشا يلخص وجوه الحياة المختلفة فى أقل عدد من الكلمات والايقاعات،

وطرائق في التعبير تجسد شخصية الشعراء الأرمن وعلاقتهم بلغتهم، شدا وجذبا ومحاولة دائبة لاختراق الحاجز، والقفز على الاسوار.

لقد قدر لكثير من قصائد هذا الشعر أن تكون بمثابة الوطن البديل حين افتقد معنى الوطن، كانت وطنا مصوغا من الكلمات، وطنا يسكنه المعذبون المشردون المحرومون، بقدر ما يسكن هو فيهم. ولم يتوقف الشاعر الأرمنى - عبر العصور المتطاولة التى يلخصها هذا الكتاب - عن تجسيد معنى الوطن، وعن الاعلان عن افتقاده، وعن الغناء له جسدا وروحاً نزوعا ميتافيزيقيا أو مخاطبة للكون الماثل، تجسيدا أو تجريدا، ذوبانا فى الحب أو انغماسا فى تجليات الصلاة والقربى، فالشعراء وحدهم - كما يقول باروير سيڤاج فى هذه المختارات - لا نملك الا أن نحسدهم، ولكن ثمة أوقات لا نملك إلا أن نشفق عليهم.

وبين الحسد والشفقة تتوزع أنغام هذه المختارات وتتعدد مقامات حلولها الشعرى فى النفوس.

تحية لهذا الجهد الكبير: ترجمةً وصياغةً، واضافة ثرية الى رصيد المكتبة العربية من الشعر العالمى، وإلى رصيد القارئ العربى من المعرفة العميقة بالملحمة الأرمنية عبر التاريخ.

تمهيد

منذ زمن بعيد تراودنى فكرة تقديم مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور باللغة العربية. وما كان بإمكاني الإقدام على هذا العمل الشاق لو لم يوافق صديقى الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة على صياغة ترجمتى الحرفية صياغة شعرية ومراجعة التعليقات لغوياً.

أعترف أن إختيارى لمعظم القصائدهو تمثيلى لذوقى الأدبى . أخترت بعضها لانها تمثل قمما إبداعية، والبعض الآخر لتفرده الشديد، وعددا منها لمكانتها فى تطور الشعر الأرمنى، هذا إلى جانب كلاسيكيات معترف بها.

ولأن هذا الكتاب ليس تأريخاً للشعر الأرمنى، فلقد استغنيت عن المقدمة المطولة، وفضلت أن أكتفى بنبذة تاريخية قصيرة وأن أقدم كل شاعر على حدة، حياته ومميزات شعره، ثم قصائده، وأخيراً مداخل أو قراءات لبعض أو كل القصائد. وهذا حسب التسلسل الزمنى للشعراء. وهم أربعة وعشرون شاعراً منهم إثنا عشر شاعراً من العصور القديمة ومثلهم من العصر الحديث.

ولقد فضلت أيضاً عدم إثقال الكتاب بتاريخ الأرمن، وعلى القارئ الذى نما لديه فضول المعرفة أن يستشير كتب التاريخ المتخصصة.

وقبل أن نبدأ فى قراءة القصائد فإننى وزميلى نتوجه بعظيم الشكر إلى جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة على مساندتها لهذا الجهد.

نبذة تاريخية

الشعر الأرمنى مكتوب باللغة الأرمنية التى هى فرع مستقل من عائلة اللغات الهندوأوربية وقد أخترع أبجديتها المكونة من ٣٦ حرفاً «مسروب ماشطوتس» عام ٤٠٤ ميلادية. ولا شك أن اللغة الأرمنية تسبق ذلك التاريخ بقرون عديدة، فقد كانت لغة مكتملة ، تتميز بالقواعد الواضحة وتضم قاموسا ضخما من الكلمات. كانت لهذه اللغة القدرة على التعبير عن مختلف المعانى وأدقها، وقد ترجمت إليها - بعد إكتشاف الأبجدية - أمهات الكتب فى ذلك العصر، وأولها الكتاب المقدس. وكتبت بها مؤلفات عديدة قيمة حتى صارت تلك الحقبة تعرف بإسم العصر الذهبى للأدب الأرمنى.

ولكننا لا نعرف - للأسف - إلا القليل جدا عن الأدب الأرمنى قبل إختراع الحروف الأرمنية. وهى أمثلة قدمها أبو المؤرخين الأرمن «موفسيس خوريناتسى» فى القرن السادس ضمن سرده لتاريخ الأرمن فى العهود القديمة. يتكلم خوريناتسى عن الأغانى الشعبية الأرمنية فى العهد الوثنى (فقد أصبحت المسيحية دين الدولة عام ٣٠٤ وبذلك تعتبر أرمينيا أول دولة مسيحية فى العالم). وكان إقليم «كوغطان» فى أرمينيا غنياً بتلك الأغانى، وقد كان «الكوسان» مغنون متجولون في أنحاء أرمينيا يؤدون تلك الأغانى فى الإحتفالات والمناسبات المختلفة مع مصاحبة الآلات الموسيقية.

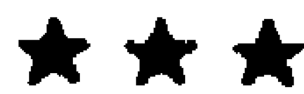
ومن الأغانى التى ذكرها المؤرخ خوريناتسى تلك المقطوعة التى تصف مولد الإله «ڤاهاكن» من مخاض تشترك فيه السماء والأرض والبحر والنار، أى عناصر الكون الأربعة. وڤاهاكن هو إله الرعد والقوة والإقدام. ومن المرجح إن المقطوعة جزء يسير من ملحمة كبيرة ضاعت للأسف.

ومن الأغانى التى يذكرها أيضاً خوريناتسى أغنية ذات خلفية تاريخية عن معركة بين الأرمن والآلان، فقد وقع إبن ملك الآلان أسيراً فى يد الأرمن فى إحدى جولات المعركة، وجاءت أخته «ساتينيج» إلى شاطئ النهر الذى يفصل بين الجيشين وتقول بحق إن جعل أخيها عبداً سوف يولد العداء الأبدى بين الشعبين. وأعجب ملك الأرمن «أرداشيس» من الكلام الحكيم للأميرة الآلانية ورغب فى الزواج منها ولكن ملك الآلان يرد: «ومن أين يجئ أرداشيس المقدام بآلاف الألوف من أجل الآنسة الآلانية، عذراء شعبنا الجسور؟» ولذلك يضطر الملك أرداشيس أن يخطفها. ثم نقرأ عن حفل الزفاف الفخم: «الذهب كان ينهمر فى عرس أرداشيس، اللؤلؤ كان ينهمر فى عرس ساتينيج».

الشعر الأرمني بعد اختراع الأبجدية الأرمنية يخدم أغراضاً دينية بحتة لمدة خمسة قرون حيث كان ينشد في الكنائس، مثلما كتب مخترع الأبجدية مسروب ماشطوتس: «بحر حياتي يلاطمني دائما، العدو يقيم أمامي أمواجاً عاصفة، أيها الربان الطيب، إحمني». أما الربان الطيب فهو المسيح.



كريكور ناريجاتسي (٩٥١ - ١٠٠٣) هو الشاعر الجبار الذي يفصل الشعر عن الكنيسة ويجعل له كيانه المستقل. أما نرسيس شنورهالي (١٠٩٨-١١٧٣) فهو أول من استخدم الشعر كأداة تنويرية، وهو أول من استخدم اللغة العامية في عصره، فاللغة المستخدمة في الكتابة - «الكرابار» - أصبحت غير مفهومة لعامة الشعب.



جسد الشعر في القرون الوسطى الصراع بين المفاهيم الدينية الأخلاقية من ناحية وبين النزعة إلى الإستمتاع بالحياة من ناحية أخرى. فإلى جانب الشعر الديني البحت، هناك شعر دنيوي يفرغ الشاعر فيه (مع كونه رجل دين) تجاربه وتأملاته الشخصية في الحياة. وينفرد بين هؤلاء الشعراء شاعر غريب من القرن الخامس عشر بإسم غير مألوف أيضا هو «فريج»، لا نعرف أي شئ عن حياته، يكتب باللغة العامية وينقد الأوضاع الإجتماعية المقلوبة السائدة في زمانه، وهو يلقي اللوم، مجازيا، على «الفَلَك»: «أيها الفلك، ترصع بيت الوضيع بالذهب من كل ناحية، أما الطيب فتنفيه من البلاد ليمضي يلتقط الفتات. من لا يستحق أن يكون راعيا للخنازير تزينه كفارس مهيب، وتخرب منازل الناس بلا سبب واضح. وبينما تعلي من شأن الجاهل النجس في هذه الدنيا، تلقي بخير الحكماء في الجبال والوديان».



أما الشعر الدنيوي البحت فهو يتمثل في «الهايرين»، مؤلفة على الأرجح في القرون الوسطى من شعراء مجهولين من أبناء الشعب، ومنسوبة خطأً إلى «ناهابيد كوتشاج» (؟ - ١٥٩٣).



«الشعر الأشوغي» فرع مستقل في الشعر الأرمني بداياته في القرن السابع عشر وتصل إلى قمته بإبداع «ساياط نوفا» (١٧١٢-١٧٩٥).

تتزامن معه مرحلة النهضة في الأدب الأرمني (١٧٠١ - ١٨٥٠)، وهي مرحلة لا تزال اللغة المستخدمة فيها هي «الكرابار»، ولكن أرسيت فيها قواعد الوعي بالفن، وتمت تنقية اللغة من

الشوائب الأجنبية، وأصبح هناك الإهتمام بشكل العمل الأدبى بمحاكاة الأعمال الكلاسيكية العالمية الكبرى.



يبدأ العصر الحديث فى الأدب الأرمنى مجازيا عام ١٨٥٠. وفيه تستخدم اللغة الأرمنية الحديثة «الأشخاراپار». ويكتبه أدباء من أبناء الشعب. وهو أدب متجاوب مع كل الإتجاهات الأدبية المعاصرة. ولهذا الأدب فرعان، فرع يكتب بالفرع الغربى للغة الأرمنية الحديثة، وأصبح مركزها اسطمبول، وفرع يكتب بالفرع الشرقى للغة الأرمنية الحديثة، وأصبح مركزها تفليس. وتنتهى هذه المرحلة، خاصة بالنسبة للفرع الغربى بإقتلاع الأرمن من موطنهم التاريخى وتشتيتهم فى عام ١٩١٥.



تشتت الأرمن فى العالم فأصبح هناك ما يسمى بـ«أدب المهجر» يكتب على الأغلب بالفرع الغربى للغة. أما الفرع الشرقى للأدب فأصبح يسمى «أدب أرمينيا السوفيتية» من عام ١٩٢٠. ومنذ استقلال أرمينيا فى عام ١٩٩١ دخل الأدب مرحلة جديدة لم تتضح معالمها بعد.

مختـــارات

من الشعر الأرمنى عبر العصور

تم ترتيب الشعراء والقصائد

ابتداءا من العصر الحديث حتى العصور القديمة

بارویر سیڤاج

« شاعر تذهلنا الان مجازفته »

بارویر سیڤاج (١٩٢٤ - ١٩٧١)

إسمه الحقيقى بارويـر غازاريان .

ولد فى قرية «تشانختشى» في أرمينيا . توفى فى حادثة سيارة . دفن في مسقط رأسه .

درس الأدب الأرمنى القديم فى جامعة يريڤان ، ثم ذهب إلى موسكو ليدرس الأدب فى جامعة مكسيم جوركى . حصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة الأدب عن «ساياط نوڤا» فى عام ١٩٧٠ .

إشتهر كشاعر فى أواخر الخمسينات لكتابته قصيدة طويلة «برج أجراس لا يمكن إسكاتها» عن حياة الموسيقار الأرمنى الأعظم جوميداس ، الذى جن بسبب الصدمة النفسية التى اصابته بها المذابح الأرمنية الكبرى عام ١٩١٥ .

بارویر سيڤاج نموذج غريب لمثقف عاش فى حكم شمولى . فقد دخل الحزب الشيوعى ولكنه فى شعره كان يثور ضد «الآلهة المزيفة» . ووطنيته الشديدة كانت تتعارض مع فكرة الأممية .

وبارویر سيڤاج هو شاعر الحداثة دون أن يغرق فيها . قد يكون من المفيد أن نعرف شعره بالحداثة الخطابية . فصوره الشعرية مستمدة من أدوات وتقنيات العصر العلمى الحديث ، ولذلك قد لا تبدو شعرية من منظور المألوف ، ولكنه يستخدمها لتوصيل فكرته إلى القارئ .

ولقد هوجم كثيرا بسبب بعض قصائده فى ديوان «الإنسان فى الكف» ، حيث المعنى المستتر وراء المعنى الواضح ، وحيث الغموض المقصود ليجذب القارئ إلى تفسيره . وكان الشاعر بهذه القصائد يدين النظام القائم . ولكنه دافع عن نفسه ببراعة ، يعرف ماذا يكتب وكيف يمكن أن يفسر ما يكتبه .

هو المثقف المضطرب بمساوئ عصره ، تتملكه رغبة البوح بها ، ويكبحه الحفاظ على سلامته ، ولذلك نجده يشرع فى المخاطرة المحسوبة .

اقتراح للحاسابات والآلات الدقيقة في جميع أنحاء العالم

دائماً تَحْسبون
تَحْسبُون كلَّ شَىْءْ
احسبوا إذن
على أى موجةٍ وفى أىٍّ وقت
من الثانية
كم جراماً من الدمِ يتدفق
من قلب الفتاة إلى خدودها الحَيّيةَ
ليشتعلَ هذَا الوهجُ الحَرَارىُّ النَّوَوَىْ
الذى نسميه - ببراءة - «الَحياء» ؟
حممَ الأشعةِ الكونية
الَتى تتدفقُ إلى عُيوننَا
فتبرقُ مندهشةً
حينما تبصرُ فجأةً عيوناً أخرى وتَسْحرُها
هل هذا الاشعاعُ الُمتبادل
بين الأعين العاشقة
مفيد للقلوب
أم ضار بها؟
تَحْسبُون تَحْسبُونَ
عندكَم كلُ شيَءٍ بحساب
إحسبِوا إذن
كم كيلوواط من الطاقة

منحناها ليلمعَ شعرُ أطفالنا المُخْملى
ولأيديهم الرقيقة الصغيرة
كم أعطَينا لنُحِس بروعةِ قوامِ حَبيبِنا اللَّدْن
أو لكَتِفِ جَدَّتِنَا الواهِن؟
وهل عائدُنا أقلُ أم أكثرُ مما أعطينا ؟
إنكمُ مع ذلكَ مستمرون فى الحساب
إحسبوا أرجوكم، إحسبوا أيضا
كم نظرة شبقٍ
أنطلقتَ من عينى الواحد منا
وإلى كمَ من النساءِ قد نظر باشتهاءْ
وإلى أى عددٍ من النساء
قد نظر بولهٍ عذرى
أو بمودةٍ أخوية؟
اذكروا لنا بحساباتكم
أين هى أماكن النساء اللواتى
كنا نتمنى أن يقعن فى غرامنا
ولكننا للأسف لم نَلْتَق بهن أبدا.
حددوا لنا عددَ الأطفال
الذين كان من المنتظر
أن نُنْجبهم
ولكننا لم نَحْظَ بذلك
وفقدناهم إلى الأبد.

إحسبوا عَدَدَ الأطفال
الذين ظَنَنَّا أنَّهم
سيصبحون أبنَاءَنا
ولكن أمنياتنَا ذهبتَ أدَراجَ الرياح
ورغمَ ذلكَ تستمرون فى حسَاباتكم .
نحن لا نكادُ نعرفُ شيئاً
عن طريقةِ ضحكِ الإنسانِ
كيف يضحكُ
ولماذا الإنسانُ
وحده يعرفُ الضحك
لماذا لا تضحكُ الكائنات الحية الأخرى؟
إحسبوا موجات ضحكاتنا
إن كنتم تقدرون
حَدِّدُوا ألوانَها المختلفة
أفهمُونا الفرقَ
بين الابتسامةِ الساخرة
والقهقهةَ السعيدةَ .
حَلِّلُوا لنا
بجَمَاجمكم الإلكترونيةِ الجبارة
وبحدقاتِ عيونِكُم المُشعَّة
التى ليس بها بياضٌ
حَللُوا لنا طبيعةَ الشوق

أعيدوا تركيبَ الدُخان الخَفِيَّ
الذى ينبعثُ من لهيبِ الشوق
وإلي أين يذهبُ؟
ومع ذلكَ تَظلُّون فى خساباتِكم.
تحسبونَ وتحسبون
تنبأوا
بذلك التاريخ أو على الأقل
بتلك السنة المقبلة القريبة
حيث تنهضُ وتتعافى الشعوبُ المضطهَدةُ
وتلقى الشعوبُ الباغيةُ
جزاءَهَا العادل والنهائى
كم شعوب كثيرة
ومُنذ عشراتِ القرون
تنتظرُ يائسةً
من رحمةَ الآلهة
ولكنها ما تزالُ ترزحُ تحت وطأة
انتظارِها الطويل
ما زالتْ تنتظرُ وتنتظرُ
وأنتم أيها الآلهةُ الجديدةُ
لهذا الزمن الجديد
ليتكم لم تكونوا زائفين مثلهم.
إحسبوا كما تشاؤون

لكن حَدِّدُوا لنا عددَ الجسور
التى تَربط انحاءَ البلادِ
والتى كُنا نود أن نعبرَها من بلد إلى بلدِ
ولكننا لم نَعْبُرَها
ويبدو أننا لن نمر فوقَها أبدا .
أظهروا لنا
كمْ لدينا من الأحلام والرؤى
أوضِحُوا لنا العددَ المؤكدَ
للشكوكِ التى تُنْضِجُنَا على نارِها
فنعرفَ الحكمة أحيانا
ولكنها يا ويلتاه
تدفعنا إلى الذبُول
قبل الأوان أحياناً كثيرة .
إكشفُوا لنا الشكلَ البيانيَّ
للتحررِ من الوهم
وكم نَتَمنى ألاَّ يكون له شكل الصَاعقة .
بينوا لنا كذلك الخط البيانى
لفقدان الأمل
يا للفزع من أن يكونَ هذا الفقدان
موازيا لحياتنا
وأظن أن المتوازيين لا يلتقيان أبداً .
إحسبوا لنا
عددَ الساعاتِ التى لا تُعد

والتى تَبَدَّدْتَ وفُقِدت
في الأزمنةِ القاسيةِ والازمنة الرخية
عددَ الساعات التى تبدَّدت
فى صف الطوابير
وفى حشد المواَكب
وقراءة الصحف المتعددة اللغات
والتى لا تحملُ عناوينها ذاتُ اللهب الأسود
فى كلِ صباح
سوى أنباء الحروب
حيث تترَصدنا
عين المدْفَعِ الواحدةِ فى عينينا الإثنتين
وحيث تغوصُ الغوَّاصَات
بأمنياتِ أرواحنا
إلى الأعماقِ المظلمةَ
وحيثُ تطالبُ القنابلُ الهيدروچينيةُ
بامتصاصِ الماءِ الابيضِ
من دمِ عروقنا الأحمرَ.
عليكم بعد كل هذا أن تحسبوا لنا
كم طنٍّ من الذَّرَة يلزم أن ينشطرَ
حتى يصبحَ يسيراً شطرُ هذه الكرةِ الأرضية.
وعليكمْ أن تَحسبْوا
كم من أسلحة ينبغى إنجابُهُا

حتى تفقدَ كلُ الأمهات
مَقْدرَتَهُن على الإنجاب
لو أنكم قَدرتُمْ أن تُحدّدُوا كلَّ ذلك
فلن يكون ثمةَ داعٍ لأن تَحسبوا
كم فقدنَا من مكاييل الإيمان
فقط يكفى أن تَشْرحُوا لنا
بأية معجزةٍ
فى ظل فقدانِ كلِّ هذا الإيمان
لم نَغُصْ إلى أعناقنَا
فى اللجةِ السوداء
كنصلِ الوتدِ الحاد.
قُولوا لنا بطريقة ودية
كم من السِّنين يلزم
كى يولد طفل من أطفال اندرسون
ليخبرَ الملوكَ أنهم عراةٌ
وأرجوكُم أن تخبرُونا
هل سيحاولُ الملوكُ بعد علْمهِم
أن يستروُا عوراتهِم
أم يظلوا سادرين فى غيهم
ويقهروا المعترضين
الذين يريدون ستر عوراتهم
أو الخجلين

الذين يرغمونهم أن يعيشوا
بعيون مقفلة ؟
وربما تُفْصحُون
لم لا تكونَ هناكَ صلةٌ
بين صمَم بيتهوفنِ
وبين هذه الانفجاراتِ
والتى تزداد ضَراوةً
فى العالمِ الآن
وحولَ العالم
وإذا كانت هناك صلةٌ
أوضحُوا أرجُوكم
هل العالمُ سعيدٌ
ببيتهوفنات لا حصرَ لها الآن
أم أن الصُّمَ
يتكاثرون فقط .
إحسبِوا من فضلكم
وللمرة الأخيرة
بأية طريقة
وبمساعدة أية آلة خيِّرة
كيف يحتفظ الإنسان بإنسانيته
أوالذى يجعلُ من الإنسانِ إنساناً؟

تعارف جديد

هل لَنَا أن نَتَعَارفَ ؟ نعم بكل سرورٍ
ولكننى بلا اسمٍ
وإذا شئْتَ نادنى «بالإنسان»
أو «الجَنوبىْ» حيثُ أصلُ العَائلة .
إننى أغفو
ذلك لأننى مُتْعَبٌ .
نعمْ، حتى الدُّمَى يصيبُها الوَصَبْ
حينما تقْسرُها الخيوطُ
التى تُحرِّكُها على العَيْش . العَيْشُ؟
هل تُسَمِّى هذا عيشاً؟ لا أدْرى .
الأشجارُ توضعُ فوق الأرصفَة كنقاط اعتراض
هناكَ سرٌّ وراءَ ذلك
وعقلى لا يَتَقَبَّلُه .
لا أخطأتُ . عقلى يفهمُ السِّرَ
ولكننى أرفضُ العوائقَ التى لا مبررَ لهَا
فتتكاثر نقاطُ الاعتراض .
فى فمى ماءٌ
أنىَّ لىَ أن أجادلَ
لم يُخْلَقْ الفمُ فَقط
لكى يَمْضَغَ الطعامَ
بل خُلِقَ ليتكلَّم

بل لِنفكّر بشفاهِنَا
وليسَ بالعقلِ وحَدَه .
هل تَعَارفْنَا ؟ لا أظن .
هل أستَمر؟ قدماى جائعتانِ
دعهما يطآن التراب قليلا
أما عيناى فظامئتان
لانورَ يكفيهِما .
لم تعد الموهبةُ شرطاً للخلود
يكفى أن تكونَ «مَامَوثاً» ورقة عشبٍ
انطبعَ أثرُها فى طبقة الفحمِ الحجرى .
شوقِى بلا حدود
لا تحاولْ انتزاعه
سئمتُ بَسَاطَة الخط المستقيم
وإن كنتُ اعتبرُ الخطَ المنحنى تبذيراً كبيراً
هل لى أن أشتاقَ إلى الإيضاح
- فاصلةٌ و نقطةٌ -
ليس هذا مجردَ هدفٍ صغيرٍ
بل هو حلمٌ محرق .
هل تعارفْنَا ؟ سلْ بيتهوفن
ولكن لا تنسَ أنهُ أصَمٌّ
وقد لا يفهمُ سؤالك
لكن دعنى أقلْ لك
وأنا آمل أن أساعدكَ

إنكَ لكى تتمكنَ من أن تَعْرِفَنى
ينبغى أن تَتَخَلَّص
من أحكامِك المُسَبقة
وليس هذا بالأمرِ السهلِ
تماما كما هى الحياة.
ليستْ لدىَّ أسرارٌ حتى مع زوجتى
ولو أننى اضطررت رغم ذلك إلى الكذب
فلست أنا المذنب
هل تتساءلُ ومن المذنبُ إذن؟
ما شأنُكَ بهذا؟ كيف تستطيع المساعدة؟
بل كيف تقدرُ أن تُغَيِّر شيئاً؟
لو كانوا يَصْلُبُون بسبب الصراحة
لما بقى للمسيح أحدٌ يعبُدُه.
آه تلكَ العبادةَ
التَى تتغيرُ فى أشكالها
تماما كالجنين فى بطنَ أمه
ولكنها تولد دائما كالطفل
خاليةَ الرأس مغلقةَ العينين.
هل تَعَارَفْنا ؟
لا أدرى إن كنتَ عرفْتَنى
أما أنا فقد عرفتُكَ حقاً
عيناكَ بدلاً منكَ تنطقَان فى صمت
كأنك تعتبرنى مريضاً ميئوساً منه ؟

وما أقولَه مجردُ هَذَيان ؟
صَدِّقْنى
ما أنا بمريضٍ
ولا أنا أهذى .

كلُّ ما فى الأمر
أننى آمنتُ منذ زمنٍ بعيدٍ
أن فى تجارةَ الممالأةَ
لا ينبغى أن تطرحَ نَفَسَكَ
كعملةٍ يمكن فكُّها

وتنفق نَفْسَكَ
قرشاً بعد قرش .
هل تعارفْنَا؟ نعم، مؤكد
دعنى أقلْ لكَ قبل أن نفترق
إن امثالك يا عزيزى
قد يستطيعون أن يفعلوا بى أىَّ شئ
غير أنَّهْم يعجزون
عن نزع ابتسامة التفاؤل منى
ابتسامتى تلك
إنها الابتسامة
الساخرة
الخالدة .

وداعاً !

الشـــعراء

إنهمْ كالآخَرين
لا يستطيعونَ العيشَ بدون الأوكسچين
رغم أنهمْ يحترقون كلَّ ثانيَة
بدون أوكسچين
ثم يشتعلون كالفحم الحجرى.
يَنْتَحبونَ دائماً
حتىَ حينما تُقَدمُ إليهم
قطعُ الحلوى المتنوعةُ الأشكال
يكون كالأنْفَاق المنتحبة تحتَ الأرض.
وهم أحياناً يضحَكونَ
لضَحكَاتهم رنينُ العملاتِ الذهبية
التى تُثرىَ العالم
أما هم فيظلون فقراء.
يتَصَبَّبون عرَقاً
لا تظنَّنَّ ذلك بسببِ الخجل
بل لسخونةِ حرارتِهم الداخلية
كالزُجاج
حتى حينما يكونُ الطقسُ
شديدَ البرودة بالخارجِ.
وحينما يبالغونَ
فهم كالصيادِ

الذي يتفاخرُ بما لم يصد .
إنهم لو كَذَبُوا فليسوا هم
وإنما نصابونُ يتحلون شخصياتهم .
إنهمْ كالآخرين
لا يقدرونَ على العيشِ
بدون خبز أو ماء
ولكن في الوقت ذاته
لا يقدرون على العَيْشَ
بالخبز والماء وحدهما .
بصراحة
إننا لا نملك إلا أن نحسدهم
ولكن ثمة أوقات
لا نملك إلا أن نشفق عليهم .

الأعـــور

إننى أنظرُ إلى الحياةَ بعين واحدة
أما عينى الأُخْرَى فهى مَن زُجَاجٍ
بعينى الواحدة تلك أرَى الكثير
غيرَ أننى أبصرَ أكثرَ بعينى العمياءَ
لأننى بعينى السليمة أرى
بينما بالعين العمياء دائماً أحلم .

إقتـــراح

الشاعر لا يرفض اكتشافات العالم الحديث والتقنيات العلمية الحديثة ومنها الآلات الحاسبة، ولكنه يكشف لها ولنا أيضا حدودها. فمهما بلغت من القوة الحسابية لن تستطيع أن تحسب أشياء كثيرة.

والشاعر يبدأ بالأشياء الصغيرة التي ليست لها أهمية كبيرة ولن يخدم حسابها إلا الفضول البشري. ولكنه تدريجيا ينتقل من الموضوعات الخاصة التي قد تهم الفرد إلى الموضوعات العامة التي تهم الإنسانية، ومنها نصرة الشعوب المضطهدة، والأيديولوجيات الزائفة، وعدم حرية التنقل بين الدول، والأمل الزائف في مستقبل أفضل، ووحشية الحروب، إلخ. وبعض هذه القضايا نجدها في القصيدة بشكل مستتر لأنها تصف بدقة - للقارئ الذكي - حال النظام الشمولي في الإتحاد السوفيتي. وهناك بعض التفاصيل التي لا يمكن أن تخطئ فهم ما تشير إليه، ومنها: «عدد الساعات التي تبددت في صف الطوابير وحشد المواكب». الطوابير التي كان قد اعتاد عليها الناس لشراء حاجاتهم من السلع اليومية، أما المواكب فهي التي كانت تنظمها الدولة أو الحزب في المناسبات والأعياد الكبرى وتشترك فيها أعداد غفيرة من مختلف فئات الشعب فيها لبيان فرحة وسعادة الأمة، كما تشترك فيها فرق من الجيش بنماذج من أسلحتها الجبارة لترهب العالم.

ومن المؤكد أن الإنتقادات المستترة الموجهة إلى نظام الدولة الشمولية كانت تعد مجازفة من قبل الشاعر. ولكنه كان على أتم الإستعداد للدفاع عن نفسه، فهو ينتقد أيضا التفجيرات الذرية فيبدو مناصرا لمبادئ السلام العالمي والتعايش السلمي الذي كانت حكومته دائما تتشدق به.

إن قصيدة «إقتراح» تبدأ فردية عاطفية وتنتهي سياسية عالمية. والقصيدة تبدأ أيضا كتهكم على الآلات الحاسبة ولكنها تتحول إلى تهكم على الإنسان.

تعـــارف جـديـد

قصيدة أخرى ضد الإستبداد يسهل حل شفرتها. ومن العجيب أن الشاعر له الجرأة في كتابتها.

وفى القصيدة شفرة حقيقية، شفرة المورس. فالنقطة والشرطة تدل على حرف الـ "A" ، أول حرف من كلمة Armenia ، أو الحرف «الألف» ، أول حرف من كلمة «أرمينيا» ، والأمر كذلك أيضا بالنسبة للغة الأرمنية. أما كلمة «الجنوب» فهى أيضا تشير إلى أرمينيا التى تقع جغرافيا فى جنوب الإتحاد السوفيتى.

ويعرف الشاعر أنه مجرد دمية ، لا يملك من أمره شيئا غير وعيه بحاله.

هناك العوائق أمام حرية التعبير (فحرية التفكير لا يمكن منعها)، والشاعر يشير إلى ذلك بالصورة الشعرية الفصيحة: «نفكر بشفاهنا وليس بالعقل وحده».

والشاعر يوجه كلامه إلى شخص آخر هو آلة للنظام الشمولى، إنسان فاقد لوعيه، عبد لأحكام مسبقة زجت فى رأسه. ويؤكد له أنه - أى الشاعر - رجل صادق ، ومع ذلك يضطر أن يكذب أحيانا ويقول أنه ليس المذنب ويسأل «من المذنب؟» ويعرف القارئ أنه النظام الشمولى الإستبدادى الذى يرغم الناس على الكذب كى لا يهلكوا.

ثم أن كلام الشاعر عن «العبادة» شديد الإيحاء. فالعبادة ليست مقصورة على الديانات وحدها، بل تشمل الأيديولوچيات التي قد تنفى وجود الإله. وطبعا المقصود هنا الأيديولوجية الشيوعية كما كانت مطبقة في الإتحاد السوفيتى، فمثلا كان الإله الجديد «لينين» وجسده المحنط فى ضريح مقدس يحج إليها الآلاف.

وفى نهاية القصيدة يعترف الشاعر أن الشخص الآخر قد يستطيع أن يفعل معه ما يشاء لأنه آلة فى يد الجبروت المستبد، إلا شيئا واحدا، أن ينزع من الشاعر شيئا لا يملك الشاعر غيره، هى «الإبتسامة الساخرة الخالدة»، التى لا تستطيع أى قوة أن تنزعها منه. إنها «ابتسامة المعرفة».

الأعــور

قصيدة قصيرة كاملة محكمة. لماذا يريد الشاعر أن يحلم وبماذا يحلم؟ الحلم هو خيال الشاعر إبداعيا ، ولكنه أيضا أمله فى واقع غير الواقع الذى يعيش فيه سياسيا.

يغيشي تشارنتس

« شاعر اهدر ثوريته وخلده رجوعه إلى ذاته »

يغيشى تشارنتس (١٨٩٧ - ١٩٣٧)

إسمه الحقيقى يغيشى سوغومونيان.

ولد فى مدينة «جارس» (قارس) فى أرمينيا التاريخية.

ذهب إلى موسكو فى ١٩١٦ . ثم دخل الحزب الشيوعى فى ١٩١٨ واشترك فى النشاط الثورى والجيش التطوعى. رجع إلى آرمينيا فى ١٩١٩ . ذهب إلى موسكو فى ١٩٢٢ ليدرس فى المعهد العالى للأدب والفن. ثم نراه فى جولة فى تركيا وفرنسا وألمانيا وايطاليا.

وتشارنتس هو شاعر الثورة الشيوعية الأرمنى، بعد أن أصبحت أرمينيا سوفيتية عام ١٩٢٠ . وقتل فى حركة التطهير الكبرى التى قام بها ستالين فى ١٩٣٧ .

والشاعر له مراحل شعرية مختلفة، يجرب فيها الأساليب والأنماط الشعرية المتنوعة، يطوعها لشخصيته الثائرة الهادرة ويصل بها إلى الكمال، ثم ينتقل إلى أسلوب ونمط آخر. ولقد تبين فى سنواته الأخيرة أن الشعر لا ينتج عن اليقين المطلق، بل هو تنقيب عن الغامض المشكوك فيه.

سـوناتـا منقلــة

«وحيداً سوف تتلقى هذه الجمجمة الجديدة»

ڤاهان ديريان

تُرى إلى أين تحملين يا روحى المعذبةَ
صليبكَ الخشبىَّ الأسود
أثمة جمجمة جديدة لكى تصعدى فخورة
حيث ينظر الجميع إلى إكليلك المضئ
بحب جارف؟

هل أنت مثلُ يسوع تصعد الجبل
أم أنت مجَردُ لصٍّ حُكمَ عليه بالموت
وهل كلُ إنسان هو بيلاَطس
الذى يغسلُ أمَامَك يديه؟

أى إكليل مضيءٍ؟
وكيف تصعدينَ يا روحى
طوعاً فى طريق الالام
وأنت لا تعرفين حتى نفسك
إن كنت يسوعَ أم يهوذا؟

هل لديك يا روحى ميزانٌ دقيقٌ حاسمٌ
كي تزنى هذا الفكرَ الطليقَ
فى انتصاف الليلِ الحالك لعذابك الأليم؟

في مصيدة النظرات

مَنْ تلكَ التى تعبرُ الطّريقَ الظليلة؟
إنها هى!
يُحدِّقون يُحدِّقون طويلاً
ها هى
يرشقونها بنظرات حادّة كالرماح
وباللهيبِ ينهشونها ويعذّبونها
يلثمُونها بعيونٍ جائعةٍ لا تشبع
يطالبون بالمزيد.
يسكبون ناراً رقيقةً
يُعَرُّونَهَا بالعيون بسرعة.
بلهيب العيون المؤججة
يشعلون النيرانَ ويحرقون
يغمزون بنظرة مدربة
إلى البعيد..
يُفْعمونَ القلبَ بالعشق الحارق
يملأونَ القلبَ بشذا الحب
يصبحُ كلُ شيءٍ ولعاً
وشوقاً وبريقاً
وتصيرُ الحياةُ
حياةً أخرى مختلفة.
وبرماح غامضة يطعنون

يختلط الآن الحلو بالمر
أما هى
كعشيقة شقراء
فى مصيدة النظرات
تستسلم لكل رجل .
مستحيل كل هذا الحب
فى هذه الحياة
إنه يصلُ الليلَ بالنهار
ساهرا
فأعطوا المزيد والمزيد
بلا حدود
إن الحياةَ لذيذةٌ
يا عزيزى
هكذا !!!

أغنيـة للمـوتى

أيها المبتعدون، الراحلون بلا إياب
ها نحن بالألمِ العقيم المرير والحزن العميق نوَدِّعكم
أنتم الذين لن تعودوا إلينا أبداً بعد الآن
وستكفُّون إلى الأبد عن مشاركة الكون خَفَقَانَه
لن تتنسموا عطراً ولن تسمعوا أَصواتاً .

ترحلون، تصيرونَ رماداً لترجعوا إلى أمِّكمِ الأرض
وتمتزجوا بالتراب والماء .
ماذا بوسعِى أن أضيف؟ الكلمات لا معنى لها
ربما كان الموت وحده للأسف ما يوحدنا معاً فى عدالته .

ولو أن حُظوظَنا ونهاياتنا سوف تتشابهُ بعد الموت
لكن ما يميز كلا مَنّا عن الآخرِ هو التذكاراتِ التى نحملها
والأحاديثُ التى لا تقدر بثمن
التى تمكث فى القلوب وتفعمها بالأشواق .

ولكن ياترى ما هو هذا الذى
يبعث بعد الرماد بَهيًا متلألئًا بالضياءِ
يملأ الأيامَ بالعطرِ الدائم
يصير أغنيةً وسيرةً وذكرى؟

آه تصير رماداً الأيامُ، النجوم

حتى الشموسُ فى السمواتِ الزرقاء
تنطفىءُ إلى الأبد
هى الأخرى تغدو رماداً
وكذلك الربيعُ والأوراقُ الخضراء
والفسائلُ التى لم تورقْ بعد والورودُ المشتعلةُ
كلها تصيرُ رماداً
حتى الزهورُ ذاتُ الأسماءِ الحزينة .

أما الذى لا يصير رماداً فهى الذكرى
هل جُبلت الذكرى من النور؟
هل تولَد من النور؟ أم من النار التى لا تنطفىء؟
تولد الذكرى من الأفعال
الذكرى ضباب يصعد من المياه التى تغلى
بينما يبقى هو حيا .

صدى أيامكم الماضية وصورتُها
هى الذكرَى أيها الراحلون
إنها كثيراً ما تنبتُ على حافةِ الطريقِ المتربة
حيث عَبَرْتُم
ترتفع فى منتصف نهاركم الحار ثم تهبطُ كالنَّدى
ولكن على ورودٍ أخرى كنعمةٍ سامية .

إنها تنبعثُ منكم ، من أفئدتكُم
ومن أفكاركم الدائبة

منبعثةٌ من دمكم بل حتى من أنفاسِكُم الأخيرة
إن الذكرى لا تخصكم
تماماً مثل سطورى الجريئة التى لا تخصني آه
رغم أنها تسيل مَن قلمى الآن .

إنها مثل أشعة الشمس
وإنعكاسات أَضواء النجوم الميتة
فرغم أن ضوءها يصَل إلينا
إلا أنها ماتت منذ زمن قديم .

وإذا كان النسيان قدر الموتى
فالمجدُ دائماً أبداً
لِهؤلاء الذين خلفوا فى الحياة وهج الذكرياتْ .

الليلة العجيبة

لكأن الكونَ فى تلكَ الليلة العجيبة
تلكَ الليلة التى لا لونَ لها
أشبهُ بطبيب حاذق
يحبس أنفاسه لكى يصغى إلى دقات قلبه
فى تلك الليلة المنطوية على نفسها
أثمة مغزىً لأَنْ نعدَّ دقات
قلب الكون الذى لا يتوقف
حيث تُعَد كلُ دقة يوماً أو عاماً أَو حتى أَلف عام؟
آه، المهمُ أنه منذ قرون
منذ زمن قد يكون كافياً
لكى نعد هذه اللحظة التى تتباطأ
وتعبر لتصير ماضياً
فى ليلة كهذه تماماً
استيقظَ ليوناردو دافنشى فجأةً
من نوم عميق بلا أحلام
استيقظَ مندهشاً للحظة مثلما أنا الآن
ليرى مرةً أخرى معجزةً أمامه
حيث تتوهج الحياة ويمتلئ الوجود
إنها معجزة الحياة العجيبة
وفى صمت نظر إلى الحائط المواجه له
أو إلى الحاملِ الثلاثى القوائم

الأليف والقريب من قلبه
ركَّزَ نظرَتَهُ الإلهيةَ إلى نصف المرأة المقدسة
إلى وجه يسوع ذى الملامح الأنثويَة
إلى وجه الفتى المكتسى بالأحزان والأحلام اللانهائية
نظر صامتاً مليّا، مَتَشَكّكاً للحظة فى تلك المعجزة
فى امكانية وجود ذلكَ السرّ الصامت
يُتاق إليه ولكن لاَ يمكن احتضانه
ثم قامَ بتُؤَدَة للحظة وأوقدَ المشْعَل
وأيقظَ الفتىَ النائمَ فى الركنِ المعتم
من الناحية الأخرى من الحامل
هذا الفتى - رَبيبُه الحبيبُ بلترافيو
أتى به وقرَّبه من الحَامل
ثم طَفقَ ينظرُ إلى وجهه طويلاً طويلاً
نظرَ إلَى هذا الوجه الناعم، نصف المستدير
وجه العذراء والشاب فى آن واحد
هذا الوجه المَكلل بالجَمال الإلهيّ
نظرَ صامتاً مليا إلى اللوحَة حيناً
إلى وجه يسوع ذى الملامحَ الأنثوية
ثم حيناً آخر ارتد طَرْفُهُ
إلى وجه الفتى البيضاوى الرقيق
كأن هذا الوجه هو الأصلُ الذى يتنفس
الحياة اللا متناهية للوجه الذى باللوحة
لقد أمسك بيده المرتعشة

هذه الذراع النحيلة النسائيةَ المرمريةَ
لربيبه الحبيب، أمسكها طويلاً
بوجدٍ وشوقٍ وهُيام عنيفْ
راغباً فى أن يضمْ إلَى نفسه نهائياً
وإلى الأبد حفقانَ الكون
لقد نظرَ متأملا نافذاً إلى أَعماق روحه
بينما كان ضبابٌ صاف ورديٌ
يُوَشّح وجهَه وكان يهبِّطُ بنظره إلى أسفل خَجلاً
وبشوق الفتى والفتاة قد نظرَ هكذا تماما
مثلما نظرَ من الحائط المواجه
حيث يسوع بالوجه شبه الأنثوى
وجسدُ الفتى يلفه حُزْن الجمال اللامتناهى
ذلك اليسوعُ الحزين
الذى خَلَّدَتْه عبقريةُ الحبِّ والفُرشاة
ذلك من أجل اللوحة الجدارية
«العَشَاءُ الأخير» لليوناردو دافنشى
الذى ظل يبحثُ عنه ويحلمُ به أعواماً طويلةً
وأخيراً على لوحة صغيرة تركَ لنا ذكرى
اليسوع الأنثوى - تلميذ ليوناردو دافنشى
چيوڤاننى بلترافيو ذى الستة عشر ربيعاً.

شاعر الثورة يجد نفسه متهما بأنه عدو لها. تناقض رهيب لا يستطيع الشاعر أن يحله. وهو يبحث عن صور شعرية تستطيع أن تجسد عذابه بكل رهبة "دراماتيكيته"، فلا يجد - يا للغرابة - إلا قصة التضحية الكبرى في المسيحية، تضحية إبن الله من أجل خلاص البشرية. والغرابة هنا أن الشاعر ملحد.

وتشارنتس يلجأ إلى العناصر والشخصيات الأساسية في هذه القصة لتصوير مأساته. الشاعر يعرف أنه سوف يقبض عليه ويموت لا محاله، فيكون عزاؤه أنه سيكون مثل المسيح، يضحى نفسه من أجل الناس، ويحبه الناس إقرارا بالجميل.

ولكن هذا الإحساس لا يدوم. واليقين يستبدل بالشك. ومصدر هذا الشك الإتهامات التي توجه إليه، فلا يكون بطلا في عيون الشعب، بل مجرما يستحق العقاب. وهكذا تولد في مخيلة الشاعر أنه لن يموت مثل يسوع، بل مثل أحد اللصين المصلوبين على جانبي المسيح.

ولكنه يعود ويستدرك أن الشعب للذي يعرفه ويعرف أشعاره لا يمكن أن يرى فيه مجرما غادرا بمبادئ الثورة. ثم في الوقت نفسه يرى كيف يدير الناس ظهورهم له، كيف لا يكلمه الناس ويبتعدون عنه أينما ظهر. ومن المؤكد أن كل إنسان في ذلك الوقت كان يعيش في جو مرعب، يخاف أن تلتفت إليه أيضا أصابع الإتهام. ولذلك فلا يساعد أي إنسان إنساناً آخر، بل يفكر في أن ينجو بجلده. وهنا أيضا يجد الشاعر مشهدا مشابها في القصة الإنجيلية. فبيلاطس هو الحاكم الروماني الذي كان يرى أن المسيح لم يفعل شيئا يستحق عليه العقاب، ولكنه آثر ألا يغضب رجال الدين اليهود وتركهم يفعلون ما يشاؤون مع المسيح، غاسلا يديه، أي مخليا نفسه من المسؤلية. وهو بذلك مثال للإنسان الدنيء. وها قد أصبح الشعب كله دنيئا.

ولكن هل باستطاعة الشاعر أن يلوم الشعب في تلك الظروف القاهرة؟ فالشاعر نفسه، وهو المؤمن بمبادئ الشيوعية، يجد نفسه متهما بخيانة تلك المبادئ. وضراوة الإتهامات تؤثر سلبيا على نفسية الشاعر، كأنه يتعرض لغسيل مخ، فيبدأ بأن يشك في إيمانه. وهو تحليل سيكولوجي عميق. ويجد الشاعر صورته الأخيرة في القصة الإنجيلية. فبدلا من أن يكون مثل يسوع، يطرأ في عقله إحتمال أنه هو يهوذا الذي أسلم يسوع لليهود.

ولا يستطيع الشاعر أن يجد مخرجا من هذه الحيرة. فليست له منظومة أو منهج خارج إيمانه الأيديولوچى يستطيع أن يحلل به حاله وأن يصل إلى استنتاجات مقنعة. فيتوقف عقله فى «منتصف الليل» حيث ذروة الظلام وذروة الغموض!

فى مصيدة النظرات

هذه قصيدة عن مغازلة امرأة فى الشارع. ولكنها أيضا أكثر من ذلك. شبقية صريحة من جانب الرجل، واستجابة صريحة أيضا من المرأة. ومن الطبيعى أن استسلام المرأة لكل رجل ليست حقيقية. بل هى إعتراف بحق الرجال أن يعشقوا أنوثتها. فالكل فى هذه القصيدة، الرجال والمرأة، مستسلمون لسلطان الشبق ، كلٌ حسب طبيعته ، أو حسب الدور الذى اعتدنا أن نتوقعه من كليهما، الصياد هو الرجل والفريسة هى المرأة.

وقيم الفضيلة تمتنع فى هذا الشارع الذى تعمل فيه غريزة الجنس. ولكن ذروة الاستمتاع تأتى لا من إشباع الغريزة واقعيا، بل بالاعتراف بسطوتها. هى نشوة حسية دون لقاء فعلى. عربدة خيالية يشترك فيها الكل، وتعطى متعة فريدة. ولأنه ليس هناك إشباع، فإن الرغبة تتزايد بلا حدود، وتتعاظم المتعة إلى مقادير مستحيلة.

أغنية للموتى

قصيدة ذات وقع بطئ جنائزى. قصيدة من شاعر لا يؤمن بالحياة الأخرى ويعلم أن الموت يعنى الفناء التام لكل انسان. وفى القصيدة نزعة تحبذ الاستسلام لفكرة الموت وتملأ القلب بالحزن الثقيل الذى يشل النفس. ولكن بينما ينزع الشاعر عاطفيا إلى الحزن والاستسلام، فإن عقله ينتزعه من ذلك ويقنعه أن الانسان يجب أن يعمل ليؤكد وجوده وهو حى. ومفهوم العمل أو الفعل لدى الشاعر هو ذلك الشئ الذى يخرجه الانسان بجهده من ذاته ولكن ليس من أجل ذاته. أى أننا نعمل من أجل الآخرين، ذلك لأن عمر الفعل أطول كثيرا من عمر الفاعل وهو الإنسان. وهكذا فإن تأثير الفعل يأتى فى الأغلب بعد موت الفاعل. وقد يكون الفعل نتاج عمل شاق ومعذب بالنسبة للفاعل، ولكنه بالنسبة للآخرين نعمة تجلب السعادة. عرق هو يتحول إلى ندى،

كما يقدمها تشارنتس فى صورته الشعرية. وهى صورة مأخوذة من الطبيعة الأرضية. أما فى نهاية قصيدته، يقدم الشاعر صورة من الطبيعة الكونية، حيث ضوء النجوم التى ماتت من زمن قديم تسير فى الفضاء أبديا ودون أن تفنى. مثلها فعل الأنسان، أبدا لا يضيع.

قصيدة تنبذ الأنانية. فنحن نعمل ونبدع من أجل الآخرين وليس من أجل أنفسنا. نعمل من أجل تأكيد وجودنا، ولكن النتيجة ليست موجهة إلينا بل للآخرين. تماما مثل كتابة الشاعر لقصيدته، فسوف يقرأه الآخرون.

الليلة العجيبة

قصيدة عجيبة يتشابه فيها الماضى مع الحاضر، وتتجادل فيها الحياة التى هى المثال الحى والفن الذى يصور ذلك المثال معطيا إياه الخلود، ويتحد فيها العنصران المتضادان، الأنثوى والذكرى، لتعطى نموذج الجمال الأسمى.

أما الماضى فهو ليس ماضيا مطلقا يمتد إلى الحاضر، بل هو ماض محدود فى الزمن. والحاضر أيضا ليس غامضا مبهما ممتدا، بل يستشعره الشاعر فى أضيق حدوده. الحاضر هو اللحظة الحالية. ولكنها لحظة تستجلب وتتضمن اللحظة الماضية.

اللحظة هى الليلة، ليلة لا تجذب انتباه الشاعر إليها، بل تمكن الشاعر أن يتجرد من مكانه وزمانه بل حتى من ذاتيته، ويتقمص شخصية فنان آخر فى زمان ومكان آخرين. وهذا التقمص ممكن لأن الحقيقة (والتى يرغب الشاعر فى اكتشافها) لا تنتمى إلى زمن معين، بل إلى أى زمن. وهكذا يتوحد الماضى والحاضر.

وهذه اللحظة لحظة استيقاظ ليلى. لحظة الإستيقاظ من نوم عميق كالموت، فتبدو الحياة والوجود كمعجزة مستحيلة. والفنان هو ذلك الشخص الذى يرى الحياة كمعجزة مستحيلة، هذه طبعا فرضية من الشاعر. فمن أين تأتى؟ تأتى من إنسان يعرف أن موته وشيك، فيتعاظم احساسه بالحياة. يأتى من شخص لا يصدق أنه ما زال حيا عندما يفتح عينيه من نوم كالموت. والذى يراه الشاعر فى الواقع عندما يفتح عينيه هى تلك اللوحة، وفى تلك الليلة العجيبة عندما يصفو ذهنه، ينظم قصيدته.

هو الفنان الرسام فى تلك اللحظة الماضية التى يستحضرها الشاعر قد أتم منذ زمن رسمه لنموذجه ؛ كما أتم تخليده للمثال الحى. ولكن الأمر ليس منتهيا. فلا يزال الأصل يسحره، لا يزال الأصل يتصارع مع الصورة فى وجدان الفنان. فالفنان أبدا لن يقتنع أنه أستطاع أن يخلد الأصل بخفقانه، أى بالحياة التى تنبض فيه. فالفن لا يخلص الفنان من سطوة النموذج الذى كان يبحث عنه. وهكذا يتنازع الأصل الحى والصورة الخالدة. والنموذج فى نفس الوقت ليس جامدا، بل إنه يتفاعل مع الفنان، وهذا التفاعل بين النموذج والفنان هو الخفقان التى يسعى الفنان إلى أسره فى إبداعه الفنى لإعطائه الخلود. والنموذج يجمع بين صفات المرأة والشاب. أى أن الشاعر يرى أن تحديد جنس النموذج يجعله غير قادر على تمثل الجمال الكامل. وهناك إيحاء قوى فى القصيدة بأن الفن العظيم تولده علاقة ليست هى العلاقة بين حبيب وحبيبة أو أستاذ وربيبه. بل هى علاقة تعلو على المحلل والمحرم معا، هى علاقة شعور متبادل يبعث الصورة الخالدة. فالخلود هنا نتيجة حب الفنان لنموذجه ومقدرته أيضا على الإنجاز الفنى.

الشاعر يستحضر الرسام القديم العظيم في تلك الليلة. فهل هناك تشابه تام بين الإثنين؟ أم أن الشاعر ينقصه شئ أساسى؟ نعم، إن الشاعر ينقصه ذلك النموذج الذى بدونه لن يبدع عملا خالدا. وكان الرسام قد وجده بعد سنوات من البحث. فهل يجد الشاعر نموذجه؟ لم يسأل هو هذا السؤال. فهذا سؤال يتبع القصيدة ولا يظهر فيها. وهل يستتبع ذلك أيضا أنه أدرك خطأه فى إقرار مذهب أيديولوجى كنموذج له، أى فكرة مجردة، وليس علاقة إنسانية؟

ولقد قبض على الشاعر ، وقتل فى ظروف لا نعرف عنها شيئا، بل ولا نعرف فى أى مكان ووری التراب، فى نفس ذلك العام، ١٩٣٧ . وهذه القصيدة واحدة من مئات القصائد التى نظمها فى السنوات الأخيرة فى حياته، دون أن يكون له أمل فى نشرها، أى دون أن يكون مكبلا بفكرة رد فعلها عند نشرها. ثم بدأ النشر فى الخمسينات، وكان يستأنف عندما كانت الظروف تسمح بنشر المزيد الممكن فى ذلك الوقت. فإن كان الشاعر قد وضع أمامه على الجدار اللوحة الصغيرة للرسام الخالد، فنحن أيضا أمامنا هذه القصيدة للشاعر الخالد.

ميساك ميدزارينتس

« شاعر الأحاسيس المرهفة والروح النقي »

ميساك ميدزارينتس (١٨٨٦ - ١٩٠٨)

إسمه الحقيقى ميساك مدزادوريان.

ظهرت عليه بوادر السل فى ١٩٠٢ واشتدت فى ١٩٠٥ ، حيث إضطر إلى أن يقطع دراسته فى اسطمبول ويرجع إلى القرية والطبيعة. أعوام ١٩٠٥ - ١٩٠٧ تشهد مولد قصائده، حيث يُصدر ديوانيه «قوس قزح» و«أغانى جديدة» فى ١٩٠٧ . قوبل شعره بنقد شديد ودافع الشاعر عن نفسه بمقال مطول بعنوان «محاولة لنقد الذات». كتب أيضا «مع ناريجاتسى»، حيث أنه من المتأثرين به. تمكن السل منه فى ١٩٠٨ حيث وافته المنية.

شعره مزيج من مدرستين - الرومانتيكية والرمزية . وهو شاعر الحس والروح. شاعر يحب الحياة الصافية والجمال فى أشكاله الكثيرة. شاعر الأحاسيس المرهفة المستحيلة يجسدها باللجوء إلى مرادفات تبين الإختلافات الدقيقة لحالات تبدو متشابهة. وهو شاعر الليل، حيث يهدأ صخب الحياة ، ويبدأ هو حياته الشعرية النقية ، فهو يتهرب من الناس والحياة اليومية ليتحد مع الإنسانية والكون.

أغنيـــة حــب

عذبٌ هو الليلُ ، لذيذٌ هو الليل
مدهونٌ بالحشيش والبلسم
أمضى مخموراً عبرَ الطريق المضيئة
عذب هو الليل، لذيذٌ هو الليل.

تأتينى قبلاتٌ من الريح والبحر
قبلةٌ من النورِ الذى يزدهرُ حولى
عيد لروحى – ليلة الأحد هذه
تأتينى قبلاتٌ من الريح والبحر.

لكن ضوء حبى يتوارى رويدا رويدا
شفتاى متحرقةٌ لقبلة وحيدة
الليل المبتهج نورٌ وقمَر
لكن ضوءَ حبى يتوارى رويداً رويداً.

قبل فجر الأحد

على مهل يمضى الضوءُ الجَذلْ الأرجوانيُّ للمساء
ثمة خيوطٌ ذهبيةٌ تلتف حولَ ضباب البخور المُخْمَلىّ
أهدابٌ زرقاءُ، قوسُ قزح، أصواتٌ طافيةٌ، وردةٌ صوفيةٌ
دموعٌ مضيئة لشموع تَفْنَى فى سكينة.

ها هى روحى الظمآى للبَخور تتشربُ اللحظةَ الهادئة
وعندما تتأرجحُ المباخرُ ذاتُ العيون المشتعلة الذهبيةَ
تسيطرُ الرهبةُ على روحى وتتحجر عيونى
أحسُ بلمسةِ الموسلين اللأّزورديّ الذى يحيطُ بى.

إن ألوان حجر «الجمشت» تكثف دوائر البخور
خاشعٌ أنا للسرِّ وذراعى فى هيئة الصليب
وأنا أنتظر أن ينبلجَ «أحدٌ» روحِى الباهر.

كلُّ الشعلات تحلمُ الآن زبرجد وزمرد
يشرق ضحكٌ وضياء من الأقواسِ والهيكل
تغوصُ روحى رويداً رويداً فى هذَا التجلى الساطع.

الريـــح

بإصبَعَها دقَّتْ نافذتي ومَضَتْ
ريحُ الخَريف ذاتُ الشَّعر المُرسلِ
لعوبٌ ، مشاكسةٌ كفتاة
كخدنٍ راقص منسى خلف الباب
دقَّتْ بإصبعَهَا البابَ ومضت
ريحُ الخريفَ ذاتُ الشَّعر المرسل .
ألهثُ وراءَها متقطَع الأنفاسِ
مضطرباً ومتعباً
ولكنها تتفادى عناقى
وتقبض ذراعاى على الفراغِ
تُغْوينى وتهربُ من يدىَّ الإثنتين
بينما ألهثُ وراءَها متقطعَ الأنفاس
مضطرباً ومتعباً .
اطاردَها حتى أصلَ إلى الحقول
بل وإلى الغابةِ البعيدة
ولكنها حرةٌ تغازلُ الجميع
الشجيراتُ ، المياه ، أوراق الشجر
ثم ترتمى فى حِضن الغدير
أو تحط على قمم الأشجار
وأحياناً تتعلق كطفلة
بأهداب الشجيرات الأم

وحين أناديها مغتاظا

تقهقه هناك بعيداً

وأحياناً تُدَوِّى صَفعَةٌ

تهوِى بها على خدِّى

ثم تهربُ بسرعة

وعبثاً ألاحقها مَرةً أُخرى

أطاردها حتى أصلَ إلى الحقول

بل وإلى الغابة البعيدة

وعندمَا أفقدُ الأمل وأبتعدُ موليا

أراها تتسلقُ ظهرى .

وتحاول أن تحصى عددَ شعرات رأسى

أو تلْتفُّ فجأةً حولَ خَصْرى بقوة

وعندما أتلفتُ ورائى غاضباً

تكون قد هربت وتركتنى

تثيرُ الفوضى فى كلِّ ما حولى

وتقطفُ من الورد التويجاتِ الصغيرةَ

ذاتَ الدمِ القليل

وعندما أبتعدُ مرة أخرى

أراها تتسلقُ ظهرى .

أيــتها العــذراء

«ها هى قطرةٌ من حليب عذريتكِ تَقْطُر فى روحى»

ناريجاتسى

فى الليل ذى العُروقِ الزرقاء
والزهورِ البيضاء كالحليب
دعنى أكن نثار «الجمشت» الضبابىّ
والقميص الفضى على المياه العارية
دعنى أكن صوتاً، زهرةً، نسيماً
وأتحسس كلَّ شئ بأذرعِ بَضَّةٍ لعوب
دعنى أكنْ شلالاً، شاطئاً جميلاً
ظلاًّ للكروم التى لها لون البخور
دعنى أكن شهيق ريح النهر
أو لحن مرور الريح من فوق
قمم الجبال التى تتعالى إلى السماء.
فى الليل ذى العروق الزرقاء
والزهور البيضاء كالحليب
أصير قلادة ثمينة بلا جسد
وثياب القربان لعشائك المقدس الربانى
الذى ينثر الحليب.
تهتفين من الشاطئ الآخر للنهر «عد عد»
تمنحينى برقاً ساحراً يضئ روحى المظلمة
حتى لا أسقطَ فى هاوية موجةَ أوهامى

دعى عينى تُقَبِّل وهجَ عيونك العذراء
حتى لا أسقط في هاويةِ موجةِ أوهامى
ها أنا أتسلق جبلَ آلامى
بذّدى السحب من طريقى الصَّدَفية
أنت السحابة الوردية فوق زرقة أمنياتى
كونى السحابة الوردية التى تَسْتُر القمر
أنتِ أيتها العروسُ النورانية
للجمال الإلهى
عذراءُ القداسة ذاتُ الشَّعْر النارى
التى تنثر «الطهر».
في الليل ما زالَ ينهمرُ السيلُ النورانى
إمنحينى قطرةً من حليب قدسيتك
أصيرُ طفلاً أيتُها العذراء
أنظرى ترينني عدتُ طفلاً فى الليل
الذى سمعتُ فيه انهمارَ الصوتِ الإلهى
هذا الصوت الذى كان يُدَوِّى
من أجلِ روحى التى خلقها الله.

أغنيــة حــب

شاعر الليل، ولكنه أيضا شاعر الطريق المضيئة. والقصيدة ترينا حالة غريبة، حيث تتزايد نشوة الشاعر بالليل والطبيعة، ولكن فى الوقت نفسه تتناقص إرادته فى أن يحقق حبه الآخر، حبه للفتاة. ولذلك مع أن قبلات تأتيه من الريح والبحر، تظل شفتاه متحرقة للقبلة الوحيدة، لقبلة الفتاة.

قبل فجر الأحد

نحن فى الليل مرة أخرى. ولكن التجربة روحية هذه المرة، اللحظة هادئة كى يستطيع الشاعر أن يغوص فى الكشف الإلهى المتجلى أمامه فى الكنيسة. واللحظة الهادئة تمكن الشاعر من أن يتلقى كل التفاصيل التى تحيط به. والجدير بالملاحظة أن لحظة «الكشف الساطع» يسبقها «ضحك وضياء»، أى أن النشوة الروحية زاخرة بالسرور لا بالوجوم، هى نشوة تؤكد الحياة ولا تنفيها أو تتملص منها.

الريــح

ظاهرة من ظواهر الطبيعة تتبدى للشاعر كفتاة شقية تلاحقه وتشاغبه ولكنه لا يستطيع أن يمسكها أو يتملكها.

أيتهــا العـذراء

الليل مرة أخرى، حيث السيل النورانى.

ميدزارنتس شاعر الطبيعة، يتجسد فى مظاهرها المختلفة، وبإندماجه فيها يتقرب إلى الله ويسمع صوته. فالإندماج فى الطبيعة غاية، ولكن تخلص الشاعر من محدوديته الإنسانية تجعله قادرا على سماع صوت الرب.

أما صورة الحليب، فهى مأخوذة من «كتاب المآسى» لناريجاتسى. هو حليب الطهر، وفى هذه القصيدة يتمكن الشاعر من أن يرجع إلى طفولته، وبذلك يكون قد تخلص من أمواج أوهامه ومن جبال آلامه.

ڤاهان ديريان

«شاعر يحيا فى الغسق»

ڤاهان ديريان (١٨٨٥ - ١٩٢٠)

إسمه الحقيقى ڤاهان ديركريكوريان.

ولد فى قرية «كانتسا» فى چورچيا. إنتقل إلى «تفليس». ذهب إلى موسكو فى عام ١٩٠٦ ليدرس العلوم التاريخية واللغوية والإجتماعية، ويتعلم اللاتينية والفرنسية والروسية، ويقرأ الأدب الأوربى والروسى. وفى عام ١٩٠٦ التحق بكلية التاريخ فى جامعة موسكو. ذهب إلى بطرسبورج فى ١٩١٣ ليتعلم اللغات الشرقية، ومنها اللغة الچورچية. ظهرت عليه بوادر السل فى ١٩١٦. فحاول أن يسترد صحته فى وسط ريفى على شواطئ البحر الأسود. سمع عن الثورة الروسية هناك فكانت تعاطفه الشديد مع قضية الشيوعية. ولكن المرض انهكه ليموت فى ٢٠ يناير فى مدينة أرنبورج فى على نهر الأورال فى طريقه إلى طشقند فى تركستان حيث كان ينوى الإنضمام إلى أخيه.

بدأ ديريان نظم الشعر فى ١٩٠٣ وصدر له ديوانان، «أحلام الغسق» (١٩٠٨) و«قصائد» (١٩١٢). ينتمى ديريان إلى المدرسة الرمزية ولكن دون الأنانية التى تتميز بها. وهو شاعر يعيش بالحنين إلى الطبيعة الخلابة لمسقط رأسه وإلى الدار العائلية. هو شاعر يحب الغسق، حيث تفقد الأشياء واقعيتها وصلابتها وتنتشر فى عالم الأحلام والشعور.

أبدع ديريان لغة شعرية جلية ينفرد بها، لغة نقية مصقولة، لغة سلسة متناغمة.

واروني التـــراب

واروني الترابَ . . حينما ينطفئُ الشفقُ الأحمر
بينما تداعبُ الشمسُ المحتضرة بأسىً
قمَمَ الجبال الفضية فتشتعلُ
قَبل أن يغرَقَ البرُ والبحرُ في الظلامْ .

واروني الترابَ بينما ينسدلُ الغسقُ حزيناً
فيخرس صخبُ النهار السعيد
ينطفئ الضياءُ وتأوي إلَى النوم الزهور
وتغرق الجبال والحقول في الظلامْ .

انثروا فوق قبري زهوراً شاحبةً
تذوي في سكينة وسلام
وبلا بكاء أو كلام واروني التراب
في صمت وسكون
في صمت دائم وسكون .

أمنية

أن تنسى
أن تنسى كلَّ شيءٍ
أن تنسى الجميعَ
بلا حبٍّ
بلا فكرٍ
بلا ندمْ
ثم ترحل .

وسط هذا الألمِ المعذِّبِ الطاغي
في هذا الليل الحالكْ
ألا يوجد شعاعُ الغسق
شعاعُ نسيان ؟

أن تبتعد برهة عن الكل
أن تنسى الجميع
وحدك وحدك
تتحجر في الآلام
تتحجر في الظلام .

أن تنسى
أن تنسى كلَّ شيء
أن تنسى الجميع
بلا حب
بلا رغبة
بلا أمل
تبتعد فقط وترحل .

فـــردوس العـــودة

كأننى عدتُ إلى البيت،
حيث كلُ شيء كما اعتدتُ أن يكون.
وها أنت تجلسين فى موضعك القديمْ
تحركين مغزلك العتيق.
تغزلين وأنت تقصين القَصَصْ
تغزلين دوما وبسرعة
أحب لغتك الصافيةْ
أصابعَك المجهدةَ النحيلةْ.
أنظرَ إلىَ أن أنحنى خائرا
لأسندَ رأسى على ركبتيك
ها أنذا أعودُ اليوم طفلاً منَ جديد
الفردوسُ يتألق اليوم فى روحى.
الشمس تستريح بعيداً
يتصاعدُ الضبابُ من النهر
ودائما تهدهدنى حكاياتك
وعذوبة صوت مغزلك.

مصــــير

فى السماء ثَمَّ سلسلةٌ سحريةٌ مخبوءة
غائرة . . مثل ألم الروح العميق
تتنزل مُتمهلةً كالمساء
كى تنظمَ النجومَ فى عقْدٍ مضىءٍ .

تلك النجوم مثل شموع مقدسة
تخفق هائمة فى جدائل الحلم الهفهافة
لليل الهادئ . . تواقةً بعضُها إلى بعض . .
. . مقيدةً وحرةً . . إلى الأبد .

كذلك أنت وأنا ، مقيدان معا
يشتعل كل منا بالحنين إلى الآخر . .
تماما مثل النجوم يصحب بعضنا بعضا . .
بينما نحن غرباء .

أســى

بخطى رشيقة، لا تكادُ تُلحظ
واهنة مثل جنَاح ليلٍ ناعمْ
عَبَر خَيالٌ يتحسس الزهورَ والعشبَ بلطف
مر فى المساء خفيفاً كالريح
تهز الشجيرات
مر طيفُ فتاةٍ شاحبةٍ فى ثيابٍ بيضاء .

فى فضاء السهول الفسيحة
همستْ الفتاة بلطف فى آذان السهول النائمة
بكلمات كأنها غزل رقيق
لقد ظلت همسات العذراء الحالمة
كامنةً فى أعماق الزهور
الزهور التى ملأت بالهمساتِ المقدسةِ قلبى .

غـزليـة الـوداع

بحب أسيانْ وفى كل لحظة ، أقول وداعاً .
للشمس المشتعلة بلهيبها فى قلبى ، أقولُ وداعاً .

وداعاً ، أقولُها للجميع ، الطيبين والأشرار
للإنسان اليتيم المعذّب أقول وداعا .

وداعا ، لأصحابى ، القريب منهم والبعيد
اقولها لأعدائى من الأشرار المتربصين بى .

أقول وداعاً لزرقة السماء ، للبحر الأخضر ، للغابات القاتمة العميقة
لسحابة الربيع فى الفضاء المضئ أقولُ وداعاً .

للذكريات المنثورة كاالآلئ ، لليل وأشواكى
للقبرة فى حَقلها الذهبى أقولُ وداعاً .

للزهرة التى لم تتفتحْ بعد ، للأرواح التى لم تحترقْ
للأطفالِ الذين يمرحون أقول وداعاً .

هانذا ذاهب إلى عالم مظلم ، ذاهب إلى بلاد بعيدة ولا لن أعود
إن شئتم فاذكرونى بالخير فى قلوبكم ، وداعاً لكم ، وداعاً .

واروني التراب

الشاعر يرفض كل مظاهر الحداد على قبره، حقيقية كانت أو زائفة. وهو يسعى إلى السكون الدائم، فإن لم يجده فى حياته يريد أن يجده فى لحظة أنفصاله النهائى عن الحياة.

الشاعر لا يتشبث بالحياة. فالإنسان المتشبث بالحياة يفكر أيضا فى مراسيم جنازته ويريدها ضخمة طنانة. أما الشاعر فهو يقبل فكرة الموت، وهى ليست الفناء بل الرجوع إلى الطبيعة فى جلال صمتها. ولذلك تكثر فى القصيدة الصور الشعرية التى تأتى من الطبيعة. ونظرة الشاعر واسعة تحوى المشاهد الكبيرة الجليلة مثل الجبال والحقول والبحر والبر، ولكنها أيضا مدققة تلتفت إلى التفاصيل التى تزين الطبيعة مثل الزهور.

وللزهور دور هام فى القصيدة، فالفعل الوحيدالذىيحبذه الشاعر هو نثر الزهور الشاحبه فوق قبره. والزهور حالها تماثل حال الشاعر، فهى شاحبة وسوف تذبل تماما مثل جسد الشاعر وسوف يرجع كلاهما إلى الطبيعة.

والسكون بالفعل ملائم للموت. فالصخب يتلاشى فى السكون والشاعر يتلاشى فى الطبيعة فى لحظة تلاشى نور النهار فى ظلام الليل، لحظة الغسق التى يعشقها الشاعر.

فردوس العودة

كلمة «أنظر» تلعب دورا مزدوجا. فهل الشاعر ينظر إلى أمه من داخل الرؤية، أم ينظر إلى الرؤية نفسها، أى أنه فصل نفسه عنها لبرهة؟ كلمة «أنظر» فاصلة فى القصيدة. فبعدها يستسلم الشاعر تماما للرؤية ويصير جزءا منها. والشاعر يعود طفلا من جديد، لأن استسلامه للرؤية يحتم ذلك. فالرؤية ليست إلا تذكراً للماضى عندما كان طفلا. والرجوع إلى الطفولة يتحقق فى وقت الغسق السحرى عندما تفقد الأشياء ماديتها وتتجرد.

أسى

الواقع الذى يراه الشاعر هو زهور فى السهل تتأرجح من الريح. ولكن هذا الواقع يجعل الشاعر يحس بتجربة بعيدة مختلفة تماما عن تخيلنا. الشاعر لا يرغب فى لمس الفتاة ولا حتى أن يسمع كلامها. بل يسمع الشاعر همسات الزهور تبوح له بكلمات العذراء التى أفضت بها إليها.

تانييل ڤاروچـــان

« شاعر يبني حضارة بشعره »

تانييل ڤاروچان (١٨٨٤ - ١٩١٥)

إسمه الحقيقى تانييل تشبوكياريان .

ولد فى قرية «پركنيج» فى «سبسطيا» . درس فى مدرسة مراد-راپايليان فى مدينة البندقية فى ١٩٠٢ - ١٩٠٥ . ثم ذهب إلى مدينة جند البلچيكية ليدرس العلوم الإجتماعية فى جامعتها فى ١٩٠٥ - ١٩٠٨ . ثم رجع إلى أرض الوطنْ وإلى قريته فى ١٩٠٩ ليعمل كمدرس ويشترك فى عمل تثقيفى تنويرى . ولذلك نرى فى شعره فخامة البندقية وإشتراكية جند وواقعيتها القاسية وحلاوة الحياة الريفية . كان ضمن المثقفين الأرمن الذين أقتيدوا إلى الصحراء وقتلوا فى مذابح ١٩١٥ الكبرى . وكان الشاعر قد أخذ معه ديوانية «أغنية الخبز» ليعمل على استكماله ، وقد أمكن استعادته بعد ذلك من القتلة نظير مبلغ من المال .

هو شاعر يجمع بين الروح الكلاسيكية والعاطفة الرومانتيكية والجرأة الواقعية والحس الجمالى والنزعة الرمزية .

إلى تمثال الجمال

أود أن يكونَ مرمرُك
منتزعاً من أعمقِ رحَمٍ في جبل الأولمب
وأن تكسُوَ بفضلِ مطرقتى جسداً نارياً
لامرأةٍ مذهولةٍ بالحمّى والضياءِ.

وتكون عيناك هوتين سحيقتين
يشعرُ المرءُ عندما يغوص فيهما
بأنه قد أصبحَ خالداً فى الأبدية
قسماتُكِ طاهرةٌ وفى انسجام نهديك يموجُ رحيقُ الحياة.

عاريةً تتبدين مثل روحِ الشاعر
وتحتَ هذا العرى الوثنىَّ
يتعذبُ المرء ولا يقدرُ أن يلمسكِ.

لو كان من الضرورىِّ أن يقدَّم إليك قربان
فأنا الذى أبتهلُ كى أُذْبَحَ على هيكلكِ
ليشربَ مرمركِ آخر قطراتِ دمى.

يــا داليــدا

هـا هي حانتُك تشتعلُ، يا داليدا
في الأضواء ذات الأشعة الحمراء
ناوليني الجعَّةَ ودَعي رغوَتهَا بفقَاقيعها
تقطر علىَ أصابعكَ

لاَ يهمني أن أبدوَ نبيلاً ذا يدِ ناعمة
كما لا يهم أن تكوني
فتاةً مُتبذلةً
تستقبل العمالَ

كم أمقتُ النساءَ اللواتي يُلَطِّخْن
وجوهَهُن بالأصباغ أمام المرايا
ويتلاعبن بأعضاء مجلس الشيوخ
بشهوانية داعرة

أكره نساءَ الصالونات المرفهات
الذهب قَوَّادُهُن
يُنْهكن عُشَاقهن ويَنْهكُهُن
لسَانُ جروِ المنزلِ

ناوليني الجعَّة يا داليدا
واجلسي فَوق رُكبتي
واحسرَي ثوبَ الخادمة القصير
واكشفي سيقانَك في جَواربها السوداء

دعى المصابيحَ تذوى حتى الصباح
حيث يقفُ المُغَنىِّ الضريرُ على العتبةِ
محدِّقا وهو يغنى
بعيونٍ منطفئة

انثرى ضفائر شَعَرْك الذهبىُ
فى الكأس البللورىَ
وهزى سيقانَك على ركبتى
حتى يتأجَّجَ عِشقِى

لا أهتم أن يعض البحارةُ الغلاظُ
شفاهَك وهم يسكبونَ
عَرق شَهَوتهم
فى حِضنكِ وعينيكِ

ما أريدُه اليوم أن اسكرَ على صدركِ
مثل جندى ثمل
أن أفرغ كأسَك وأنت تفرغين قلبى
الناضج مثل الرمان

أبغى اليومَ أن أُدنِّسَ الحب
الذى يسخرون منه فى الصالونات
أبيعَ روحي المخدوعة لهذه الفتاة المتبذلة
مقابل الجعةَّ.

تخـــلى

أمامَ باب منزلِنَا فى المساء
تتطاولُ إلى مالا نهاية
ظلالٌ أشجارُ السنديان

أضعُ كوعى على حافةِ البئر
وحيداً حزيناً فى المساء

أنظر إلى أسفل
أحدق فى الأعماق وأبكى .

فى داخل منزلنا
تنخرط أمِّى مع جَدَّتى
فى عصر العنب
وهما تغنيان بطمأنينة
بينما إخوتى مُنتَشون حولهما
بأريجِ العناقيدِ يمرحون .

لا يدرك أحدٌ
الأسى الذى يكمنُ فى رئتِى
مثلَ خشخاشٍ سامٍ
يزدهرُ بسرعة
لا أحدَ يعرفُ
كيف يألفنى اليأس
يوماً بعد يوم
حتى إننى لأمضى فى أى سبيل

لأزن رمادَ حياتى فى كَفِّى
أما بيتُ العنكبوت
الذى أنسجُه بصمتَى على أطلال روحى
فسوف يكونُ حاجزاً
للنظرات الفانيةِ.
أنت وحدك تدركين
مصيرى الزهيب
يا قمراً ذا محيا غامض
تبتسمين بأسى فى البئر
وتدعيننى إليك
أنت التى تعرفين بأى طينٍ سامٍّ
جُبلت تلكَ الكأسُ
التى قُدِّرَ لى أن أتجرعَ منها حياتى
تتأملين حَظى
وتُشفقين علىَّ
وكل قطرةِ دمعٍ تسقُط من عَينى
فى أعماق البئر
تُبْدلُ هَيْئَتَك وتجعلك تتنهدين.
لم يَحن الوقتُ بعد
كى أريقَ دمى
لم يئن الأوان بعد
سيحين وقت ذلك

عندما تخلو منى القلوب
التى تحتاج إلى وجودى
عندئذ
سأُسْلِّمُ قيثارتى للآلهة الأوليمبية
تلك التى ظلت حتى اليوم تجعلُ حياتى
مرغوبةً من حيوات أخرى
تعشقُ الشمس .
وعندما برَكَ «جَمَلُ الأمَل» مُتْعَباً
وقد ثنَى ركبتيه
فى صحارى أيامى المجدبة
التى لا تعرفُ الزهورَ
عندئذ يا بئرى الحميمةَ
كل الذين يقطفون لى أكاليلَ الغار
دعيهم يطوفون حولَ حافتك
ليَنسجوا أكاليل الموت
وفى ذلك اليوم
سوف ألعن تلك القُبلَةَ الأبوية
التى قادت إلى أن تُنبت بذرتى السوداء
سوف آتى إليك أيتها البئرُ
مرةً أخرى
إلى مياهك الحالمة الصافية
مياهك التى تُطهرَ الجبينَ
من وشمِ الشمس الدنِّس

حيث يغتسلُ كل عنصرٍ
وكل فراقٍ ينهزم
تتحرر الروح طاهرة
لتسكن فى حضن الراحةِ الأبدية
سآتيك مرةً أخرى
فى مثل هذا المساءِ الهادئ
وبينما تغنى أمى وهى منشغلة
سوف أرمى جسدى المتعب الجريحَ
فى المهالك
يقتلنى ظمأُ الموتِ الشديد
وأنا لا أبالى
بشجرِ اللبلاب
حول حافتك
وهو يتشبث مشفقا بذيل ملبسى
سألقى بجسدى فى أعماقك
وستردد الأحجار القاتمة
آخر صيحة لأجلى الدانى
وسوف تُهرعُ أمى مفزَّعة
حالما تسمعها من الباب القريب
ولكن أمواجَك الغافية
سوف تستيقظُ وتبتلعُنى على الفور
ومع طول التحديق المعتاد
سيمحى كلَ أثرٍ للسقوطِ الفاجع

وسينسج الصمت فوقى من جديد

كفنه الممزق

أما القمرُ الذى سيُفَتِّتُه سقوطى

فسيلدُ آلافَ النجوم

ثم يعود هادئا

مرةً أخرى إلى هيئته السابقَةَ

ستطفو على مياهكِ

من روحِى المنتحرة

شجرةُ نيلوفر هائلةُ

تنبت ملطخةً بالدماءِ

ولا أحدَ يدرى

أين تكمن

جذورها .

الضـــوء

راحلٌ أنَا إلى يَنْبُوع الضوءِ
نعمْ، الطريقُ طويلة
وممهدةٌ بأحجارِ الصوَّان الحَديدىّ
مسورةٌ بأشواكَ الاسى
الطريقُ منحدرةً
مثلُ الشُّعاع
إننى أصعدُ مُرْتكزاً على رُكبتىَّ المرتَجفَتَين
دمى الساخنُ ينسَكبُ من ركبتىَّ
اللَتين سَمَّرهُما إخوتى
الخفقانُ يُجَنُّ فى صَدَرى
وينتثرُ الترابُ فوق رُموَشى
وقلبى قارورة خاوية
بينما أنا راحل إلى يَنَبوعَ الضوء .

كم هو جميلٌ هذا النورُ المتدفُق
فى عليائه
عادلٌ فى تواضعه
رأيتُ جزءا مقدَساً منهُ
فى روحِ أمِّى
التى تَشعُّ بهاءً
رأيتهُ بازغاً فوق الرابيةِ المُنيفَةَ

لأحد أبطالَ قريتنا القُدَامَى
وفي الظَهيرة رأيته فراشةً كبيرةً بيضاء
تَرِفُّ على حَجَرِ نافذتي الهادئة
الضَوءُ
إنه يَنْسكِبُ طَهُوراً كاللبنِ الطازَجِ الساخِنِ
فوق الأرصفةِ
ينسكبُ شفوقاً متسامحاً
فوق الشارعِ الدنِس
أمَّا في المساء
فإن الضَوءَ يترامَى من أفق لأفق
مُمتداً مثل أنهارِ الياقوت
ليشكِّلَ في السمَواتِ المطمئنة
بحيراتٍ من الخيالِ
حيث تشتعلُ فيها
جزرٌ من زهورِ النَّيْلُوفَر
رأيتهُ يوقظُ في روحي
رغبةً عارمةً مبهمةً
رغبةَ مغتربٍ يهفو
لإقليمٍ مجهولٍ مشمسٍ
ولهذا أنا راحلٌ إلى ينبوعِ الضوءِ.

الضوءُ عروسُ أفْكاري
إنه ابنُ الله
وخمرِ انتشاءِ الكون

الذى تَدَفَّق ذاتَ مساء

كالسيل من ضُلوعِ يسوع

تدفق كالغُفْرَان نحو الوهاد

لِيَصُبَّ فى كئوسِ اليأسِ الفارغة

لأناس يَتَجَمَّعُون حولَ مائدة الخطيئة

الضوءُ انه دمُ الطبيعة

وتاجُ الليلِ ورداءُ النهار

إنه الإلهُ «أكنى»

والذى يخلقُ وهو يحتضر

مثلَ أمٍّ تموتُ عندَ المخاض

الإلهُ «أكْنى» ذو الأحداق النارية

والذى تخفقُ روحُه كلَّ ربيع

فى الذَرَّة والفكرِ الإنسانى

ومن أجله تشتعلَ الضفافُ المقدسةُ

لنَهر «الجانج» الغزير بالقرابين .

وراحلٌ أنا إلى يَنبُوع الضوءِ .

الضوءُ مَرْمرُ المناجم السماوية

وبه ينحتُ الفن بالحلم الخالد

أجسادَ آلهة بيضاءَ كالثلج

وفى حِضْنه يولدَ دانتى العبوس

وهوميروسُ العملاقُ

وفى حِضْنه تصيرُ الحكمةُ أُغْنيةً

يَرْشُفُها الشعراءُ في الليل العميق
من كئوسِ النُّجوم
ليصدَحُوا بها للبشرِ في النهار.
الضوءُ إنه يمنح نفسَه للجميع
يتوزعُ على الجميع
ولكنه يبقَى كُلاً لا يتجزأ كالخُبْز المباركِ
بل إنه هو الخبزُ المُباركُ
الذي يَتَنَزَّلُ كلَّ صباحٍ على مائدتنا
كَسَرَّ التَّجَسُّد المضرجِ بالدماء.
وراحلٌ أنا إلى ينبوعِ الضوءِ.

كم ألف ألف عام
ينبغي أن أمضى على هذا النحوِ؟
كم مرةً يجب أن أسقُط
في الجرح الغائر
على الطريق التي تفتَحُها
مطرقة غايتي التي تهشم الصخور
آه إنني لا أعْرِفُ
ولكن يا إخوتي الذين تَصْلبُونني
دعوني وحيداً في رحلتي
وحيداً وصامتاً لدرجة أن أسمعَ دقات قلبي
موسيقاي المفضلةُ من بين آلاف الألحانَ
أرجوكم الا تنشرُوا ظلالكم

فوق طريقى المضيئة

المؤدية إلى الشمس

هذه الظلال مثلُ جنَاحِ الغُدَّافِ المظلم

ولا تدعوننى كذلكَ

إلى ولائمكمْ التى يُعْربِد فيه الفجورُ

من العبثِ أن تُمَنُّوا قلبى بالعذارَى

قلبى قارورَةٌ خاويةٌ

وأنا ذاهبُ إلى ينبوعِ الضوء .

الظـهيــرة

تلك هى الساعةُ التى يتوقف فيها
العملُ فى البَيْدَر
حيث يشتد اللُّهاثُ تحتَ الشمس .
ينام الفلاحون .
فى الكهف البعيد يتأوه النسيم العليل
ويموت فى سجنه المغلق .

ينقبض قلب المدى في شبكة نارية
يخفق بمشقة فى الصمت المشع .
أى نحيب ، أى حلم ، أى أريج
ترسله أعواد القصب المشذبة فى الصباح !!

تنامُ الغاباتُ على حوافِ الجبلِ القاتمة
وقد غطَّاها برقعٌ فضى
بينما تمضى سحابة لها لونُ الحليب
موغلةً فى زرقة السماء
تاركة على الصَخر
جدائل هفهافةً من الصوف الناعم .

ها هو رمحُ الضوء الدامى
تستقبله الأرض
ينشق قلبها ينبوعًا بجوار الشجرة
يتنهدُ مغشيًا عليه

رافضاً أن يموت فوق الزهرة

التى يرويها .

ثمةَ جواميسُ قد هجرت أنيارها
تنام فى المستنقع
وخيوطُ اللُّعَابِ الفضية تنسابُ من فمها .
العرباتُ بجانبَ الأكوام
بخطامها الضخم تنظر للفراغ .

هذه هى الساعة يا روحى

حيث أكون وحيدا

مثل الجدجد القابع على القمة .
وفى الهدوءِ الخالص

أنتشى بأغنيتى

مثل الشمس التى تنتشى وحيدةً بضوئها .

الحمـام الشـرقـى

من أغصانِ الاشجارِ تَنْعَقِدُ قبةُ «الحَمام»
يَنْفَتِحُ متثائباً بابُه الدَّاخلى
هذا الباب الأبنوسيُّ العريضُ الصُّلْبُ
الذى لا يتوقفُ الطرّقُ عليه بالمدق
يتصبب عَرَقاً على الدوام
وهو يَصرُّ مُنْهكاً
وراءَ «الجميلاتِ» اللواتى
تدْخُلْن على مَهلٍ
عاريات، فاتنات كلهن
لقد طوين أذْرَعهُن
على صُدورهنَّ الضخمةِ البناء
وعليها تتكدسُ أكوامُ نهودهنَّ
بحلماتها الجميلة الداكنةِ
وعلى الأرض
يُسمَعُ رنينُ صَنَادلِهِنَّ المزينة بالصَّدف
ولهاثُ صدورَهنَّ العذبِ
اصواتهنَّ الرخيمة
تتحول فى الحمَّامِ إلى طنين يأتى
من أعماق الغَوْرِ
مثلَ النجومِ السابحةِ فى الضَّبابِ الظليل
تبعث عيونُهُنَّ
بومضات نَديَّةٍ

ويلفُّ البخارُ أجسادَهُنَّ بأوشحته المبتلة
هذه الاجسادُ التي يسبحُ فوقها العَرَقُ
الحورياتُ تَسْتَحْمِمْنَ
يستلقي بعضهن علَى حجر «العقد» الساخن
وهنَّ تحلمن بنظراتٍ واهنةٍ
وعبْر القبةِ التي تنثر الضياء
يتغربَلُ شعاعُ الشمس البيضاء
مثل مطرٍ منهمرٍ من اللآلئ
ويصيرُ البخارُ السابحُ
بحيرةً فضيةً
تعومُ فوقَها بَجَعاتُ اللذةِ الشَّرقية .
تلتصقُ الثيابُ بأفخاذهِنَّ
مثل خثَّارةَ اللبن
تُنضَى الثياب
لتتحولَ الاجسادُ الى تماثيلَ
وتَحلُلْنَ شعورَهن ضَفيرةً بعد ضفيرة
فتموج كالبحار
حيث تتساقطُ فيها حباتُ اللؤلؤ
آهِ من شُعُورِهِن
شعورهِن التي تجعل الحَمَّامَ كُلَّهُ
يبدو طافياً
بينما الحَجر المَرْمَرِيُّ
يُعتمُ بأمواج هذه الشعور
ذاتِ الرغوةِ السوداء .

إنهن تُمَشِّطن رؤوسهن
بأمشاطٍ محلاةٍ برسومٍ من الذَّهب
تذهبُ أصابعهن بعَيداً بعيدا
إلى آخر شعورهَن التى لا آخرَ لها
بتمهل ودلال
سابحةً دائماً فى وميض الخواتم الماسية
إنهن يَشْعُرن تارةً بالاغماء
وتارةً أخرى تَقْشَعِّر أجسادُهن
عندما تسقط من القبةِ قطرةٌ باردةٌ
فى فجوةِ مؤخرةِ العنقِ المشتهاة.
ها هى الصنابيرُ المائة
الصنابيرُ المرمرية
يَنفتحُ الواحدُ تلْوَ الآخر
بخرير يثيرُ الضوضَاءَ
يصعدُ البخارُ الرماديُّ
نفثةَ إثرَ نَفْثَةَ
الاحواضُ الفارغةُ
تنعم كلُّها بالحياة .
يفيضُ الماءُ فى كل ناحية
يغنّى بعذوبة
الحورياتُ تَسْتَحْممْنْ
وهن مجتمعاتٌ حولَ الاحواض
تلك إلهاتُ الجَمَال

تَحتَضِنَّ بعضُهُنَّ بعضاً
وتَخلطن نهودَهُنَّ
تتداخلُ أذرعهن وسيقانهن الَرقراقة
وسُّراتَهُّن المعطرة
والتى تفوحُ منها وتنتشر حباتُ المسْك
يَجْلِسْن علي المرْمَر
عريضة افخاذهن
تشربُ لذةَ المياه التى تجرى من تَحْتِها
وها هى الطَّاسَاتُ المذَهبةُ
تَرنُّ على الأحجار
الطاساتُ الخشبية
والتى هى الأخرى تنفطرُ أحياناً
مثلَ القلوب
وهى تدورُ وسْطَ مشاهد عرى
لا يمكنُ وصفُهَا
حتى الصلصالُ المُنعشُ
يهتاجُ الآن وهو برحيقِ الزعترِ يفوحُ
ممتزجا برحيق الأزهارَ
فى خلطة كان يأكلُها أجدَادُنا
حيث يَدْهنَّ به الشعور
لتغدو حريرية
كما يَدْهنَّ به القوامَ
حتى يصبحَ مثلَ الرغوة
بعجينته الباردةِ وطينه الزلق
تنتَعشُ الحوريات

تُنَعِّمْنَ بُطُونَهُنَّ فتصير ملساء
مثلَ حصى النهر
تَغْلِى المياهُ
وتغسلُ تلكَ النيرانَ المعبودة
تُزْبِد الرَغوة
كى تطهر مرة أخرى النظيفات
فى أضوائها اللزجة الرغوية .
تنحدر المياهُ من كل جانبٍ إلى أسفلَ
من حولِ حجر العقد
كى تملأ حتى المجارى بالعطْرِ
لقد اغْبَرَّ الحجرُ بالصلصال والجصِّ
الذى يَنْزَعُ الشَّعْرِ
ومع تدفقها تَتَدَحْرَجْ وتحملُ
اكواماً داكنةَ من العُقَد
ولفائف الإبطِ
والزغبِ العُشْبى
لتلك التماثيلِ السَّاطعَة
المفعمة بالحياة
والتى صارتْ الأن خائرةَ القُوىَ .
إنهن . . تملأن الطاسات لمرةٍ أخيرة
كما تفرغنهن للمرةِ الأخيرة أيضاً
تَغلى الأحواضُ من جديد
وتملأ الضوضاءُ الحَمَّام
تتدفق المياهُ وهى تغلى

والحوريات تستحممن
تشتعلُ جلُودُهُن مثل ورودٍ وهاجة
وبأحداقٍ ناعسة
والطاساتُ فوق رؤوسهِن
يسرعن الآن خارجاتٍ من الحمَّام
صفاً بَعد صف
وهن يحتضن نُهودَهُنَّ
لاهثات مُنهكَات
يتهزهزنَ من البُخار
وهن قرمزياتٌ مثلُ الخُزُامى .
آه يا للشَّعْرِ المتَموِّج
على صدورهن العَارية
آهٍ للشَّعْرِ المبتل المثقل بالقطرات
التي تنسكبُ كالندى الفضيِّ
على الأقدامِ الحافيةِ
كيف أصف رائحتكن
كيف أصفُ زينتكن
عندما تُجَففْن اجسادكُن وتلبسن ثيابكُنَّ كالأصنام
دعوني أُقَبِّلُ أصابِعكُنَّ
التي تَغْمسنَها في عمق عجينة الحناء
كما لو كَانت تَنْغَرسُ في قلبٍ يَدْمَى
دعوني أُقَبِّلُ شُعُورَكُنَّ
التي تَفوحُ منها فيَ الليل
تحتَ القمرِ على الوسادة
رائحةُ اللُّبَان الأصيل

حَوَاجِبكُنّ المكحولةُ
ورموشكُن السحابيةُ
وصدوركُن المزدانة بالقِلاَدَاتِ الذهبية
كلها تصبحُ الشعلةَ الملتمعة
لفراشِ الزوجية
دعونى أُقَبِّلُ سُرَّاتكنَ
حيث تخفين فيها
الحشيشَ المجلوبَ من بلادِ العرب
والمسكَ الافريقى .
تَتَهَادَيْنَ الآن إلى بُيُوتِكُن
مثقلات بالحُلِىّ
ليصبحُ بلاطُ المدينة نَضِراً
مِن خطواتِكُن
وليلذعَ البردُ أذْقَانُكن
وخُدُودكُن القرمزيةَ
من خلالِ الخِمارِ الرَّطِب
والأطراف الهفهافة
لتفوح وتغمرَ رائحةُ الحمام المُزَعْتَر
الحارات والميدان والطريق .
والجزء المتبقى من الخبز
الذى تَأخُذْنه معكن الى الحَمَّام
وتَضَعْنَه فى الطاس
وتغطينه بالمِنْشَفة

ليطلق اريجَه بالتوابلِ الغريبة
لأن فى ذلك الحينَ
سوف يشعرُ العابرون
فى شوارع المدينة الشرقية
أن «مايو» يزدهرُ
على آثارِ أقدامكُن
وعلى الأرصفةِ النضرة
يعبرُ الربيعُ
الربيعُ يعبر.

بهذه القصيدة يستهل الشاعر ديوانه «أغانى وثنية». ومن عادة الشاعر أن يستهل دواوينه بقصيدة يرفعها إلى ربة الشعر، يطلب منها الإلهام. ولكن الوضع مختلف هنا. فهذه القصيدة موجهة إلى تمثال الجمال ولكن تمثال الجمال ليس له وجود يسبق القصيدة، بل إن القصيدة (أو الشاعر) هى التى تخلق تمثال الجمال.

تمثال الجمال. أى التمثال الذى يجسد الجمال المثالى، الجمال الإلهى. فالمرمر الذى سوف ينحت منه التمثال من جبل الأولمب، جبل الآلهة الهيلينية. ولكن المرمر الإلهى هو فقط المادة الأولية ولا يمثل جمالا فى حد ذاته، خالق الجمال هو الشاعر، هو الذى يقوم بتشكيل المادة الإلهية.

والجمال له قوة التخليد، تخليد من يغوص فيه. وهذه إشارة إلى تأثير الفن الجميل على المتلقى. ولكن الفن لا يخلد الموجود فقط، فالخلود فى هذه الحالة قد يدل على شئ من الجمود، بل إن الجمال الفنى يخلق أيضا رحيق الحياة.

ومن ناحية أخرى، فإن القصيدة تبدو لأول وهلة تجسيدا للشهوة إلى حد ما، خاصة أن الجمال يتجسد فى هيئة إمرأة. والشهوة بالفعل أساسية فى الحياة، فالحياة تبدأ وتستمر بفضل الشهوة. ولكن الشهوة فى القصيدة ليست الشهوة الجنسية الضيقة. فالشاعر يوضح فى البيت الثالث أن عرى تمثال الجمال، أو عرى جسد المرأة، إنما يماثل عرى روح الشاعر. وروح الشاعر يجب أن يكون عاريا، أى يكون نقيا، يكون تمثيلا للحقيقة الكاملة غير المشوبة بأى زيف، وألا يستر أيضا الشاعر هذه الحقيقة أمام أعين الناس.

ولذلك فإن الرغبة المثارة هى أيضا رغبة النقاء، رغبة معرفة الحقيقة. والمرء، أو الشخص العادى، يتعذب، لأنه لن يستطيع أن ينال المرأة العارية، لن يستطيع أن يصل إلى نقاء وصدق روح الشاعر.

وهنا يبدو التناقض. فكيف أمكن للمرء أن يغوص فى عينى التمثال ولا يستطيع الآن أن يلمسه؟ ولكن هناك فرق بين الحالتين. ففى الحالة الأولى يسلم المرء ذاته للفن، أما فى الحالة الثانية فهو يرغب فى إمتلاكه. وتمثال الجمال كأى إله أو إلهه له معبد وهيكل ويطلب القرابين. ويعرف الشاعر أن أنسب قربان للإلهة هو الشاعر نفسه. لأن الجمال أو الفن يطلب دم الشاعر، يطلب كل شئ من خالق الجمال، حتى حياته. ورغبة الشاعر فى تقديم نفسه كقربان إنما هى رغبة المبدع أن يفنى نفسه فى الجمال الذى صنعه بنقاء الروح.

يا داليـــدا

بداية القصيدة توحى أننا مقبلون على واقعية معربدة فى حانة شعبية تشتعل بالأضواء الحمراء. والتفاصيل التى تليها لا تنفى ذلك، تلك التى تصف داليدا واستعدادها الدائم لإرضاء زبائنها، بل تؤكدها. ولكن واقعية القصيدة لا تتحدد بذلك. هى ليست فقط واقعية وصفية. فالشاعر الذى له دوره فى القصيدة لا يتمتع فقط بالقدرة الوصفية، بل أيضا بالقدرة على التحليل والإكتشاف. ولقد تطورت لديه تلك القدرة من واقع تجاربه الشخصية. ولذلك هناك بعد المستوى الأول، مستوى وصف الحانة، المستوى الثانى، مستوى إدراك الشاعر لحقيقة عالم الصالونات فى الطبقة الأرستقراطية - وهى تقابل الحانة فى الطبقة الشعبية، طبقة الكادحين - حيث انحراف الحياة الجنسية للعاهرات ذوات المستوى الرفيع اللائى يشبعن رغبات كهول الطبقة الأرستقراطية وترتوى رغباتهن من كلابهن! وإدراك الشاعر لكل ذلك لم يأت بالفحص من بعيد. بل أن القصيدة توحى أنه كان شابا بريئا إنخدع وأحب أمرأة من هؤلاء العاهرات وقد قوبل حبه بالسخرية طبعا. فتألم الشاعر وتفتحت عيناه على الحقيقة.

أما المستوى الثالث فهو يجمع بين رد فعل الشاعر ومعرفته له. فالشاعر يأتى للحانة لكى يبيع حبه لساقية الجعة، أى يتظاهر لها بالحب وهو يعلم أن ذلك تدنيس للحب. وهو يعرف تمام المعرفة أن الحب ليس حقيقيا بل زائف فى الحانة أيضا، وهو يؤكد ذلك ببراعة بصورة «المغني الضرير الذى يغنى بعيون منطفئة». فلا حب ولا حياة لا فى الطبقة الأرستقراطية ولا فى طبقة العمال. ولذلك فإننا يمكن أن نعتبر أن الشاعر بكونه خارج الطبقات، لا ينصاع لأيديولوجية تمجد طبقة وتدين طبقة أخرى. وهكذا يجب أن يكون الشعراء.

تخــلى

رغبة فى الإنتحار لا يشرح الشاعر الدافع إليها، ويرجئ تنفيذها بسبب مسؤلياته تجاه أحبائه وأقاربه وقدرته الشعرية التى وهبته الآلهة، ولكنه يتخيله أيضا بكل تفاصيله وينهى بها قصيدته.

ورغبة الإنتحار هذه ليست مجردة من المكان والزمان، بل تبدو كأنها تولد أو تتجسد فى القصيدة أثناء نظر الشاعر فى أعماق البئر أمام منزله الريفى ذات مساء. والشاعر ينظر فى أعماق البئر، وفى نفس الوقت يسمع أمه وجدته تغنيان وهما منهمكتان فى عصر العنب، وإخوته يمرحون حولهما. وبهذه الطريقة يكون الشاعر قد أكمل صورة الحياة الريفية السعيدة التى لا يستطيع هو أن يشارك فيها. فهو ينظر فى البئر، وهو بهذا يكون قد فصل نفسه عنهم، وتبقى حاسة السمع لتدله على أهله وتمد القارئ بالمعلومات الاساسية.

والشاعر بالنظر فى البئر قطعا ينقطع عن الحياة ولا يستطيع أن يفكر إلا فى الموت. فالبئر نفسها تجذب الشاعر إليها، والشاعر يبرر الرغبة في الإنتحار وهو يأمل أن تطهر مياه البئر روحه.

والقصيدة واقعية فى مجملها وتفاصيلها. والكثير من صورها الشعرية تولد من تلك التفاصيل. أى أن الشاعر يحول الواقع الذى يعايشه إلى شعر.

والشاعر لا يبوح بأسباب الحزن الذى يدفعه إلى الإنتحار. ولكنه فى نفس الوقت يفسر الشعور الذى تمكن منه وسيطر عليه بالتخلى، وتخلى هى عنوان القصيدة ذاتها. وهذا احساس انسان يشعر بالغربة بين الأهل والناس. هم لم يتخلوا عنه، بل أن الناس «يقطفون له أكاليل الغار». أى أن شعوره بالتخلى ليس موضوعيا، بل شخصى. فهل السبب أنه يعرف ما لا يعرفون؟ فهناك فى القصيدة إشارة إلى «وشم الشمس الذى يدنس جبينه». فهل الشمس ترمز إلى المعرفة والعقل؟ فالشخص الذى يعرف الكثير قد يفقد حبه الطبيعي للحياة وغريزته الأصلية فى البقاء. فهل المعرفة قد قطعته من الناس؟ والشمس فى القصيدة يقابلها القمر. وللقمر دور رئيسى فى القصيدة. فالوقت مساء، وقت ظهور القمر، وهو بالفعل قد ظهر، والشاعر لا ينظر إليه وهو فى السماء، بل يراه وهو منعكس فى مياه البئر، وهو الذى يدعو الشاعر أن يأتى إليه، أى أن القمر هو الذى يدعو الشاعر إلى الإنتحار. فهل القمر يرمز إلى الأحاسيس؟

وحتى بعد موته، لن يعرف أحد لماذا انتحر الشاعر، وما الذى كان يعذبه، ويجعله غريبا وحيدا.

نظرة الشاعر فى البئر تولد الرغبة فى الانتحار، تولد القصيدة.

الضـــوء

الضوء بالنسبة للشاعر أصل وجوهر كل الأشياء، أصل وجوهر الوجود نفسه.

الضوء نقى فى مصدره، إليه يذهب الشاعر، وإليه يرجع الشاعر.

أما فى هذا العالم فإن الضوء ليس بنقائه وكماله الأول، بل نرى أجزاء منه متجلية فى أشخاص وأشياء ومظاهر وآلهة. ولأن الشاعر - وليس أى شخص آخر - له قدرة أن يرى تجليات الضوء، فإنه ينزع إلى الضوء فى نقائه وكماله الأول. والشاعر يحس أنه مغترب فى هذا العالم، وأنه هاجر إليه من مكان آخر ولذلك فإن ذهابه إلى منبع الضوء هو رجوعه إلى أصل الوجود وإلى أصله شخصيا.

والضوء هو المرمر السماوى الإلهى الذى منه ينحت الشاعر الفن. (فكرة مشابهة موجودة فى قصيدة «إلى تمثال الجمال»).

والشعراء هم الذين لهم القدرة على شرب أشعة الضوء لينقلوها بعد ذلك إلى عامة الناس . لأن الشعر أيضا يتجلى الضوء فيه . ومع ذلك فإن الضوء ، كما يؤكد الشاعر ، ليس مخصصا للشعراء فقط ، بل لكل الناس ، يصل إلى الناس فى تجل مفهوم لهم إذا استشعروا هم ذلك بالطبع .

أما الرجوع إلى الضوء ، فهو ليس سهلا . والرجوع لن يتحقق أثناء حياة واحدة . وهناك محن وإغواءات وإغراءات كثيرة ، من مؤامرات الناس حتى حب العذارى . والشاعر يجب ألا ينصاع لكل ذلك ، ألا يثنيه كل ذلك من مواصلة طريقة نحو الضوء ، نحو الأصل ، نحو الجوهر .

الحمـــام الشـــرقى

قد يتسائل القارئ ماذا يمكن أن يقال فى قصيدة يستحوذ فيها الوصف على المساحة الأكبر؟ ولكننى أريد أن ألفت القارئ إلى خاصية ذلك الوصف . ففى هذه القصيدة نرى ، دون أدنى شك ، التكنيك السينمائى . نرى هذا التكنيك أو الأسلوب من فاتحة القصيدة . وهناك بعض التفاصيل تضيع للأسف فى الترجمة ، حيث أن تركيب الجمل فى اللغة الأرمنية يختلف عنه فى اللغة العربية . فلنتخيل أن أول سطر يبدأ من القبة ثم ينتقل إلى الباب الداخلى الذى يفتح فى اللحظة ذاتها لنرى الحوريات وهن يدخلن . وطبعا هذه هى حركة الكاميرا .

والقصيدة تموج بالحركة . مثلا (١) دخول الحوريات (٢) بداية الإستحمام وإختلاف الطريقة وأوضاع الحوريات ثم إستغنائهن عن آخر ساتر على أجسادهن . أى أن هناك حركة كاميرا تبتعد وتقترب لكى تخلق التأثير الجمالى الصحيح .

والمشهد فى الحمام طبعا ، أى أن المكان لا يتغير . ولكن الوقت يمضى . ولذلك يلجأ الشاعر إلى خلق المناظر داخل المشهد الواحد . فهو ينقل نظرنا فجأة إلى تفصيل ما ، كأن الكاميرا تبدأ منظرا جديدا . مثلا عندما يقول الشاعر : «ها هى الصنابير المائة ، الصنابير المرمرية ، ينفتح الواحد تلو الاخر» ، هذا منظر جديد ، فالكاميرا تركز على الصنابير والكاميرا تتبع الصنابير صنبورا صنبورا والماء يبدأ فى الجرى منها الواحد تلو الآخر ، وكأن حركة الكاميرا نفسها هى التى تفتح الصنابير .

ولا أريد أن أطيل ، فلن يصعب على القارئ أن يقرأ القصيدة وكأنه يرى فيلما . ولكن الأمر الذى يستحق الدراسة هو علاقة الشاعر بالسينما . من المعروف أن السينما كانت بدايتها أواخر القرن التاسع عشر ، بينما كتبت هذه القصيدة بعد عام ١٩٠٩ وقبل عام ١٩١٣ . فهل كان الشاعر

قد تعرف على ذلك الفن الوليد وهو طالب فى بلجيكا مثلا، وهل كانت السينما متطورة كما نراها فى القصيدة؟ أم أن الشاعر لم يرى السينما اطلاقا وطريقة وصفه ليست إلا استلهاما شخصيا؟

وفى هذا الصدد يجب أن نشير إلى نقطة أخرى. فلنسأل من هو الشاعر فى هذه القصيدة. أهو الرجل الشرقى الذى يكتب عن الحمام الشرقى، أم هو الغربى الذى يصف بعيون المستشرق؟ لا هذا ولا ذاك.

الشاعر هو الشرقى الذى ذهب إلى الغرب ورجع. ولذلك نجده مع وصفه الفاضح للحمام الشرقى يكتب عنه بمنطق الغرب الذى يحلل ويقدم كل التفاصيل بأمانة ووثائقية. فالشاعر لا يستسلم للعرايا، بل يصنع منهم تماثيلا للجمال. وليس هناك أى استحواذ للحوريات من قبل الشاعر، بل أنه يرى أن استحمامهن وتطهرهن وتجملهن هو فقط من أجل أزواجهن. ولكن لكل ذلك أثره العام غير المباشر أيضا، فالمرأة الخارجة ناضرة من الحمام تشيع بين الناس نشوة الحياة.

ڤاهان تيكييان

« شاعر يبوح بالحقيقة ولكن ليس بكل الحقيقة »

ڤـاهـان تيكييـان (١٨٧٨ - ١٩٤٥)

ولد فى حى «أورتاكيوغ» فى اسطمبول. وقد كان خارج تركيا فى ١٩١٥ فنجا من المذابح الأرمنية. إشترك فى رعاية الأيتام بعد الحرب العالمية الأولى. مات فى القاهرة.

شاعر يصنع شعره من تجاربه ومعاناته الشخصية، ونجدها فى شعره تارة بطريقة صريحة وتارة بالتستر على الأسباب. وهو متألم أيضا بمصير الشعب الأرمنى الذى شتته مذبحة ١٩١٥ الكبرى، ففى ديوان «من منتصف الليل حتى الشروق» يصور أهوال المذابح والنفسية المعذبة لشعب مهدد بالفناء. وهو مع كل هذا شاعر الحب، حبه هو للنساء، وليس حبهن له.

تميل لغته إلى التخلص من الشاعرية ليقنعنا بجدية التجربة الوجودية التى يقدمها. ومع ذلك فهو شديد الإلتصاق بقوالب نظم الشعر، وقد ألف الكثير من قصائده فى قالب السوناتا الذى يتطلب براعة فائقة من قبل الشاعر.

الحســـناوات

ستظلُ حسناءَ إلى الأبد
تلكَ التى عبرت يوماً إلى جوارِك
ومَسَّتْ بعطر جمالها عينيكَ كزائر إلهى
تلك التى لم تَلْتَفِتْ خلفَكَ لتراهَا مرةً ثانية
ولم ترغبْ أن تُقَابِلَها ولو مرةً أخرى .

وحسناء ابدية تلك التى كانت تنمو ببطء أخاذ
تحت شمس نظرتك الساحرة
والتى مثلَ زهرة تتأرجُ فى نسماتِ الربيع
ظَلَّتْ فى وجدانك
نضرةً فواحةً منذ أن رَحَلت .

وحسناءُ تعرفُ أنتَ إسمهَا المباركَ
والتى كانتْ على وشْك أن تَقَعَ فى غَرامكَ
كانتْ تُوقِن أنكَ تَعْشَقُهاَ وانتظرتْ مرتبَكَةً
ولكنكَ آثرتَ ألاَّ تزعجَ قَلْبَها وحسناً فَعَلْتْ .

الحسناواتُ هن من عبرنَ
خلالَ أشواقِكَ
ورحلنَ والآنَ يُنادينكَ من بعيدِ .

جاءنى هاتفٌ لاسلكىٌّ
يُنْبئُنى أن امرأةً ما
علَى ضفاف الأمازُون
تهفُو إلى حُبِّى.

لقد لاطفتُ بتأثر واضح
الأمواجَ التى حمَّلَتْ إلىَّ النبَأ
سألتُ الأمواجَ هل كنت معَها
هل تصفين ملامحَها ولونَ عينَيْهَا؟

غيرَ أن الأمواجَ لم تحرْ جوَاباً
تركتْنى لا أعرف شيئاً
عن مصير ذلك الكائن.

لا بدَّ أنها كانتْ
وحيدةً ومسكينةً إلى حد
أن تهفو بالنداء إلىّ.

وحيـــدتـــى

ها أنتِ الآن يا وحيدتى
تتأملينني بيأسٍ
وأنتِ تنظرين إلىَّ
من قاعِ المرآة
إننى مثلُكَ وبكِ انظرُ إليكَ
طويلاً مثقلاً .

ياترى ، أينا أشدُّ شفقةً على الآخر
أنا أم أنتِ
ننظر فى صمت إلى بعضنا البعض
كانت إلى جانبِكِ أختك التى ماتت
رفيقتك القديمة فى النور
تلك التى ما زلنا نرثيها حتى اليوم .

كانتْ قد جُرِحَت فى التوِّ
عندما رأيتُ فى الحلم
أننى ألهثُ فى الظلام
وأنا أجرُّ عربةً ضخمةً تحملُ الأثاث
بينما يرافقنى ظلٌّ أسود .

كم كنتُ أخاطبها فى قلقٍ وخشية
رفيقتى . . إننى لا أرى بوضوح
هل ترين أنتِ؟

ورغم أننا كنا نمضى جنباً إلى جنب
لم تنبس رفيقتى
بِبنتِ شفة .

لم أكن أعرفُ أن المسكينة
قد فارقت الحياة فى تلك اللحظة
ولن تستيقظ أبدا
ولن تنطق مطلقا .
رأيتها أنت بعد ذلك
أما هى فلم ترك قط .

بينما تنظر إلىَّ من قاعِ المرآة
وأحدق أنا فى هذا القاع
أبصرها طافية، لا نهائية
مثل رأس قديس مغمور فى الماء .

آه يا وحيدتى
كم يرتعش قلبى
عندما بكِ أراكِ
وبدمعكِ أتوسلُ إليكِ الآن
ألاَّ تهجرينى أنتِ أيضاً .

إبنــــى

حَرَمتَنى - يا إلهى - نعمةَ الإبنِ إلى الأبد
هذا الجانبَ المقدسَ من الحبِّ
حَرَمَتْنى ومنعتَ النعمةَ بمغاليقَ لا فكاكَ منها
وبلا هوادةٍ أعدَمْتَنِى فى داخلِى

كان سيفُ منتصباً إلى جانبى .
حين يتقوسُ ظهرِى
مُمتَلئاً بعصير حياتِى التى مَضَتَ
أنَا كَتَفٌ له وهو سندٌ لى
وحين أغلق عينى فى عينيه
تشرقُ شمسٌ جَديدةٌ

غيرَ أننى سوفَ أبقَى مُشرَّداً إلى النهاية
أنتقلُ من باب لباب
ألتمسُ بعضَ العطفَ لَدَى الأبناءِ الغرباءِ

سأظَلُ مرتجفاً أبحثُ
فى عيونهم وأرواحهم عن ابنى
وسوفَ ألقَى حتفِى غَريباً أمَامَهُم .

تصــفية الحســاب

هذا وقتُ تَصْفِيةِ الحسابِ. ماذَا قد تَبَقَّى؟
ما الذى أبقتْ لِى الحياة؟
إنه ما قدْ منحتُه للآخرين
يا للغرابة، ليس سوى ذلك
عطفٌ خفىّ، بركاتٌ مستورةٌ، إشفاقُ القَلْبِ القلق
وأحياناً مَنَحْتُهم دموعاً صامتة.

كلُّ ما منحتُه للآخرين
عادَ وافراً حلواً وأشدَّ قوةً
ليستقرَّ فى روحى إلى الأبدْ
وما أخذَهُ الحبُ منِّى
لم يضعْ أبداً عندَ الله
لقد ردَّهُ إلىَّ وتَعَطَّرت بعَبَقه حياتى.

يا إلهى، هانَذَا على الرَّغْم من عَذَابِى
وجفاف يَنْبُوعِ السعادة فى قلبى
ما زلتُ أَنْتَشِى بهذَا النبَيذِ المُعَتَّقِ الذى لا ينفد.

لن أقولَ ماذا تَبَقَّى؟ ماذا بَقِى من أعوادِ القَصَبُ اللَّدْنة
فى أغوارِ الأرض
ماذَا بَقِى من السنديانة
ذَات الجذعِ القوى
إنها تَتَعَزَّى عزَاءً لا نهايةَ له
بأنها ارتوت من الشمس.

الشاعر يخلق الجمال من كل شيء، حتى من خوف اللقاء مع المرأة التي تأسره، حتى من خوف البوح لها بحبه.

وفي القصيدة ثلاث حالات كل واحدة منها تمثل تطورا بالنسبة إلى ما قبلها. وكل حالة تقدم حسناء من «حسناوات» القصيدة.

الحالة الأولى نتاج لحظة. الثانية على العكس تمتد عبر سنين طويلة. ولكن لا الحسناء الأولى ولا الثانية عرفت أي شيء عن شعور الشاعر نحوها. وهذه ليست مستغربة بالنسبة للأولى لأنها تمضي في طريقها حيث المئات من المارة، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للحسناء الثانية التي كبرت تحت نظرة الشاعر، فلا بد أنه كتم مشاعره بطريقة ناجحة جدا حتى أنها لا تشك للحظة أنه يحبها.

أما في الحالة الثالثة، فإن الحسناء، رغم كتمان الشاعر لشعوره كالعادة، تحس بعشقه لها وتنتظر إفصاحه عن شعوره. ولكنه لم يفعل، ويعلق أنه حسنا فعل. وهذا التعليق من اسرار الشاعر التي يحاول القراء أن يجدوا إجابة لها.

ولكن الشاعر لا يبكي على حاله لأنه يهفو إليهن وسوف يهفو إليهن إلى الأبد. وهذه الرغبة والشوق إليهن وهن بعيدات عنه وإلى الأبد هو ما يجعلهن حسناوات ويكسبهن الجمال، وهو ما تستلهمه القصيدة.

وحيـــدتـي

فقد الشاعر إحدى عينيه في حادث هجوم عليه، فكتب هذه القصيدة التي يركز فيها على مأساته ولا يشير أبدا إلى الهجوم أو المهاجمين عليه.

قصيدة واقعية. فالشاعر يريد أن يطمئن على عينه السليمة ولذلك ينظر في المرآة. وهذه النظرة، نظرة العين في العين تخلق القصيدة. المرآة تجعل من العين الواحدة عينين، وكأن الشاعر يريد بهذه الحيلة أن يعوض فقدانه للعين الأخرى. تمثل القصيدة تراسلا بين العين الحقيقية والعين المنعكسة في المرآة أو بين الشاعر والعين المنعكسة في المرآة. وهو يحكي لها حلما كان قد رآه بعد فقدانه لعينه. وهذا الحلم رآه الشاعر بالفعل. يؤكد ذلك تفصيل لا تبدو له أهمية شعرية وهو أن الشاعر كان يجر عربة ضخمة وهذه العربة كانت محملة بالأثاث بالذات وليس بأي شيء آخر. أما جر العربة، فمن المؤكد أنه يدل على القهر، على أنه كان مرغما على ذلك ولم يكن جر العربة

الثقيلة بمحض إرادته. الشاعر مرغم، ولكن فى نفس الوقت يشغله هم أثقل، إنه لا يستطيع أن يرى بوضوح . أما حال الرفيقة التى يخاطبها والتى تجر العربة معه فهى أسوأ، فقد ماتت. ولهذا فإن حلم الشاعر أشد وطأة من واقعه ومفزع أكثر.

وهذا الموت بالنسبة للشاعر إستشهاد، فهو يرى العين الأخرى فى المرآة «مثل رأس قديس مغمور فى الماء». وربما يكون هذا رده الوحيد على الذين هجموا عليه وفقأوا عينه.

سيامانطو

« شاعر الكارثة القومية »

سيامانطو (١٨٧٨ - ١٩١٥)

إسمه الحقيقى أدوم يرچانيان .

ولد فى مدينة «أجن» فى أرمينيا التاريخية . كان ضمن المثقفين الأرمن الذين أقتيدوا إلى الصحراء وقتلوا فى مذابح ١٩١٥ الكبرى .

وكان قد هرب من اسطمبول إلى الخارج (القاهرة ، ثم چنيف وباريس ليدرس فى كلية الآداب فى جامعة السوربون) هاربا من المذابح التى اقترفها السلطان عبد الحميد ضد الأرمن فى ١٨٩٦ ، فأصبح شاعر الكارثة القومية واضطهاد الأرمن على يد الأتراك . وهو شاعر يدعو أبناء الوطن إلى الثأر والبطولات المستحيلة ويتنبأ بالنصر الأكيد . وأبطال الشاعر قد تضخموا ليصبحوا أفكارا ترمز إلى معانى التضحية والثأر والوطنية والقوة . وهو بذلك ينتمى إلى المدرسة الرمزية . رجع إلى اسطمبول فى ١٩٠٨ بعد إعلان الدستور . ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليدعو المهاجرين إلى الرجوع لأرمينيا التى تيتمت .

أسلوبه فذ فريد ، وهو تيار جارف ومنهمر يرسم مشاهد مأساوية ذات جسامة ملحمية . وفى مرحلة من ممارسته للشعر استلهم اسلوب «كتاب المآسى» لكريكور ناريجاتسى .

شعره حر لا يتقيد بالعروض والقافية ولكنه ذو إيقاع داخلى .

نختار من شعره قصيدتين تنعدم فيهما المبالغة الخطابية .

حفنة من الرماد

وا أسفاه، كم كنت ضخماً فخماً مثل قصر
أعتلى أسطحك البيضاء
لأتأمل الليالى التى تنهمر بالنجوم
حيث أصغى إلى الفرات الهدار من أسفل

لقد علمت ودموعى تنسكب بغزارة
أنك غدوت خرابا فوق خراب
خربت فى يوم مروع، فى يوم مذبحة دموية
وأن جدرانك العالية قد اصبحت حطاما
تتداعى فوق أزاهير بستانك الذى يحيط بك

هل أصبحت رمادا تلك الغرفة الزرقاء
التى كم أبهجت طفولتى السعيدة
وراء جدرانها وفوق سجاجيدها
حيث حياتى تنمو وتنبت لروحى الأجنحة؟

هل دمرت إذن تلك المرآة المؤطرة بالذهب
والتى حلقت فى أعماقها الأثيرية
أحلامى وآمالى وهواى وإرادتى «الحمراء»
حيث ظلتْ لأعوامٍ تنعكسُ نورا على فكرى؟

هل جفَّ الينبوعُ الذى كان يُغَنى فى الفنَاء
هل أصبحتْ هشيماً أشجارُ التوت والصَفصاف
هل جفَّ الجدولُ الذى كان يترقرقُ وسطَ الأشجار
هل جفَّ؟ هل جفَّ؟ هل حقا قد جف؟!

آه ما أكثرَ ما أحلمُ بذلك القَفَص
حيث يسكن طائرُ «الحجل»
الذى كان يقأقئ بصوت شجي
مع شروق الشمس، وأمام شجيرات الورد، لدى موعد يقظتى

صدقنى يا بيت عائلتى
لسوف تحضر روحى بعد موتى
مثل يمامة منفية لتقف على أطلالك السوداء
لكى تبكى وهى تنشد ولتسفح دموعها البائسة.

ترى من الذى سوف يجلب
حفنة من رمادك المقدس
فى يوم موتى، ليخلطه فى نعشى الحزين
برفاتى الذى يشدو بالوطن!

من يا تُرى سوف يجلبُ يا بيتَ عائلتى
حفنةً من رماد رفاتك، حفنةً من رمادك
من ذكرياتك، من آلامك، من ماضيك
حفنة رماد لينثرها على قلبى.

دمـــوعـــى

فى وديان الوطن
كنت وحيداً مع حلمى ذى الأجنحة الطاهرة
كانت خطواتى رشيقةً
مثل خطوات «أيل» أشقر جميل
كنت أرتَعُ مرحاً منتشياً تسكرنى الزرقة والأيام
عينى مفعمة بالرضى والأمل
وروحى ممتلئةُ بالآلهة

ثم يقبل الصيفُ موفورَ الخيرات
سلال فواكه تتابعُ سلةً وراءَ سلة
تهدى من أشجار بستانى
إلى الأرضِ وإلىّ
وأنا فى عجب
من اتساق قوام الصفصاف ذ ى الأفرع السامقة
أقطع فرع نايى الغامض لأبتكر أغانىً

كنت أغنى للغدير الماسى ولطيور الوطن الجميلة
كنتُ أعزف الالحانَ الشجية اللانهائية
للينابيع الإلهية
ولنسمة الصباح التى تشبه فى لمساتها
حنان الأخت
كل تلك الأشياء كانت تصاحبُ تمتماتِ أغنياتى السعيدة

هذه الليلة أخذتُكَ في يدى أيها الناىُ الرخيم
لقد تعرَّفت عليكَ شفاهى
كقبلة حية منذ أيام قديمة
ولكن نفسى أنطفأت فجأة وماتت
حيث استيقظت الذكريات
وبدلا من أغنياتى
انسكبت دموعى
قطـرة قطـرة
قطــرة .

حفنة من الرماد

الشاعر فى هذه القصيدة لا يصب سخطه على الذين دمروا بيت عائلته، لا يدعو إلى مقاتلتهم والثأر منهم. فهناك موضوع يستولى على تفكيره، وهو بيت العائلة نفسها. والترجمة الحرفية للتعبير هى البيت الوطنى، أو البيت الذى فى الوطن. فيجب أن ننتبه إلى أن البيت مع كونه بيتا حقيقيا، يمثل أيضا الوطن، أو البيت الكبير، حيث يشير الشاعر أيضا فى القصيدة إلى أنه شاعر يشدو بالوطن. وسيطرة البيت على تفكير الشاعر فعلا مطلقة، وهو لا يتذكر إلا هو، وكأن لم يسكنه أى أشخاص أو أفراد من العائلة. من الممكن طبعاً أن يقال أن ساكنى الدار كانوا قد تركوها هاربين من مذبحة وشيكة، مثل الشاعر الذى سمع عن دمار الدار وهو فى الغربة. ولكن الشاعر يتذكر أشياء كثيرة فى بيت العائلة دون أن يتذكر أى شخص. إذن العلاقة بين الشاعر والبيت كانت حميمة إلى درجة إقصاء الساكنين الآخرين عنه، إلى حد تجريده - فى ذاكرته - من الساكنين الآخرين. ولكن هكذا أيضاً فكرة الوطن، فهى فكرة مجردة، لا تشمل بالضرورة الناس الذين يعيشون فيه. وهذه العلاقة الحميمة تجعل من تدميره ألما فاجعا مستمراً للشاعر، مستمراً إلى بعد موته أيضا. وإذا كان من المستحيل مادياً أن يرجع الشاعر إلى بيته المدمر أو إلى وطنه من غربته القهرية، فسيبقى الشوق إليه غلابا ورغبة التوحد معه مرة أخرى قوية عارمة. ولذلك يتساءل ملحا من سوف يستطيع أن يجلب حفنة من رماد البيت المقدس، أو الوطن المقدس، لينثرها على قلبه بعد موته.

دموعى

فى القصيدة زمنان. زمن السعادة اللامتناهية فى الماضى، كان يتغنى بها الشاعر فى حينها، وزمن الحاضر الذى لا يشير الشاعر إلى حالته. وبين الزمنين فترة كان الشاعر قد تخلى فيها عن غنائه وعزفه للناى. فهل كان ذلك بسبب تبدل الحال، وفقدان السعادة؟ فعندما يتذكر الشاعر نايه ذات ليلة، يفشل فى أن يغنى أو يعزف أو يبدع، لأن ذكريات الأيام السعيدة التى ولت دون

رجعة، تسكب من عينيه الدموع قطرة وراء قطرة وهو يتابعها ساكنا مشلولا .

والجدير بالذكر أن الحياة الجميلة كانت فى وديان الوطن . فهذه أيضا قصيدة وطنية ، ولكن الشاعر هنا لا يشير إلى العوامل التى أدت إلى تبدل الحال، مع أن الغالب الأعظم من شعره لقو صرخات ضد الظالمين ودعوة أبناء الوطن إلى البطولات وبذل الحياة من أجل الوطن . ففى هذه القصيدة لا يريد الشاعر أن يختلط ذكر قتلة قومه بسعادة الأيام التى عاشها وطهارة دموعه المنسكبة .

إنـــــدرا

«شاعر ينزع للأبدية فيأخذ الوجود معه»

إندرا (١٨٧٥ - ١٩٢١)

إسمه الحقيقى ديران تشراكيان . أما إندرا (إله الصاعقة والنور الهندى) فهو نتاج تغيير ترتيب حروف إسمه ديران .

ولد فى حى «إسجودار» في اسطمبول .

شاعر يجول فى العالم الخارجى ليثرى عالمه الداخلى . وهو رسام أيضا ، إلتحق لفترة بكلية الفنون الجميلة في اسطمبول . ذهب إلى باريس فى ١٨٩٨ ، وحاول أن يعيش فيه برسمه الكاريكاتورات . وبعد هذه الزيارة لعاصمة الغرب ، جاء إلى مصر ، ليجد فى أهراماتها تجسيدا لإيمانه الفلسفى . وقد عمل مدرسا فى مدارس أرمنية عديدة في اسطمبول وخارجها بين ١٨٩٥ - ١٩١٥ . ألقى القبض عليه وأقتيد إلى طرق النفى فى مذبحة ١٩١٥ الكبرى . استطاع أن يهرب من الموت ، ولكنه فقد توازنه العقلى . قبض عليه مرة أخرى فى ١٩٢١ ومات أو قتل على طرق النفى قرب مدينة «دياربكر» .

شاعر تعذبه نزعته إلى الأبدية وذو نهاية مأسوية ، أنتج أجمل الصفحات التى تسمو إلى الكمال .

أهم أعماله «العالم الداخلى» (نشرعام ١٩٠٦) ، عمل نثرى فريد يصعد بالتجربة الشخصية من خلال ملاحظاته الدقيقة والشعرية إلى افاق الفلسفة . وهو يسعى أن يجد الكمال فى الطبيعة تارة ، وفى المرأة تارة ، يخفق فى سعيه ، ولكنه فى محاولته هذا يخلق جمالا شعريا . ومن ناحية أخرى ، فإن مبدأ الوصول إلى الكمال يتعارض مع مبدأ الاحتفاظ بالذات ، فالشاعر ينشد الكمال من خلال الحب ، ولكنه ينجذب أيضا إلى الموت منبهرا به ، يسعى إلى النور ولكنه يسعى أيضا إلى الظلام . لم يفهمه معاصروه ، فشرع إلى شرح «العالم الداخلى» . فى سلسلة مقالات فى١٩٠٦ .

له أيضاً ديوان بعنوان «حديقة السرو» (نشر عام ١٩٠٨) يحتوى على أربعين سوناتا ، وهى إستكمال منظوم «للعالم الداخلى» . إلى جانب صفحات وصفية أخرى عن رحلاته ، ودراسات أدبية وفلسفية ، ونفسية وروحانية .

له جسارة لغوية ، يؤلف الكلمات الجديدة لتجسيد احاسيسه وتجاربه الجديدة .

من «العـالم الداخـلى»

المطـــر

لا يزالُ المطريهطلُ برفقٍ فوقَ
أشجارِ السرو
ها هى الآلامَ كلُّها تتثاءبُ
بعد أن استيقظتْ
مللٌ هائلٌ عتيقٌ يظللُ نافذتى
الألوانُ الرماديةُ المقبضة
تتأرجحُ فى الأعالى فوق السروِ
فوقَ العالم

وتبكى تقطرُ كآبةً بلا نهاية
وبهذا البكاء البطئ الصامتِ الحزين
الذى ينسكبُ بلا نأمة
فإن هذه الرمادية العدميةَ
تدفعُ كل شئ إلى البكاء
هذه الألوانُ التى تشبهُ لون العدم
الذى يتوقعهُ المتشائمُ ويتخيلهُ
هذا العدمُ الذى يهبطُ على العالمِ قادماً
من حقيقةٍ مظلمة
لونٌ باطشٌ يبعثُ الرهبةَ
ولا يَنْبِس ببنت شَفَه

يسقطُ مثلَ كتلةٍ واحدةٍ ونهائية
فيها تختنق كلُ الأحلام .
. . تمطرُ ، تمطرُ برفق
فى تأرجح الأشجار القائمة
فى النُّواح الهائلَ للسرو تمطرُ برفق
تنهمرُ ذراتُ الرَذاذ الدخانيةُ من المطر
رخْوةً سائلةً تطوّقُ السروَ وتغمرهُ
وعند الحدود الضبابية للفضاء اللامتناه
تتأرجحُ ذؤابَاتُ السروِ المعلقةُ
وهى تُحلّقُ مذهولة فى الأبدية .
حركةٌ بمتقطعةٌ وعاجزةٌ للريح
التى تطردُ ظلالاً من عتمة المياه الراكدة
تحت السرو
وفوق السطحِ الحادِّ للغدران الساكنة
التى تلتفُ حولَ السيقان المبَتلة للنباتَاتِ المرتجفة .
يرتعش حشدٌ من أشجارَ السروَ
تحت الريح
حيث يتحللُ نسيجُها
فترسمُ فوق الفضاءِ الرماديِّ بألوانها السوداء
رعبَ هياكلها المترنحة
ينطلق نعيبُ الغرابِ من القمم الباردةِ
من أطراف السرو المعتمة
وتبدوُ الغرَبانُ الطائرةُ مثلَ
قطع تنتزع منها

وكأنما السروُ يَتَنَهَّدُ غرباناً .
ينهمرُ المطرُ بلا توقف
المطرُ ذو الرذاذ اللطيف يَنْدَى
كأنهُ مُلاَطَفَةٌ عَنيدةٌ لفكرة

الإنْشغال بالذات

هذا المطرُ المرعبُ المستحيلُ
يأتى من الأجواء الرمادية العالية
كأنما يسقطُ من سَبيكة ثلجَية
للرؤى المتشائمة
تتحولُ سُحُبه إلى مطاردات فى المدَى .
الافراحُ الصغيرةُ التى تمورُ فَى روحى تنطفئُ
عندما تسقطُ المياهُ على الشرارة
تتأوهُ الشرارةُ وتنطفئُ
ها هى الأفراحُ كُلُّها
يُطْفِئها المطرُ الأسودُ
وينطفئُ كلُّ الشرر الذى كان يواسى
حزنَ قلبى المفعمِ بالمرارة السوداء
وقد أصبحَ رأسى
مجردَ رمادٍ مُوحِلٍ .

من «العالم الداخلى»

الضوء

أحدقُ دائماً مطعوناً بالأحلام يائساً

في دروب الكحُول المضيئة

تتمادى فى ابتعادها فى الكأس البللورية

أليسَ هذا اليأس الذى لا ينتهى

يأسَ رغبة نهمة تنبعثُ دائماً

وتتجددُ بغبطةٍ وهمية

ولكنها مُواسيةٌ

هذه الرَّغْبَةُ تطلُ فى عينىَ

المثالية المحرومة والمجنونة

ترنوا إلىَّ حيث تلمعُ ومضة

انعكاسة تطيرُ وتمضى

أو تلبث بلا حَرَاك ذاهلةً

نقوشٌ من الضوء

فوق شفاه إناء نُحَاسىّ

أو فوق انحناء حافة

أو زاوية إناء مَعْدنىٌّ

الوميضُ المتكسرُ تحت المجداف

فى بؤبؤ القارب أو فى الينبوعِ

الشعاعُ الذى ينفذُ فى مصفاة الغابة

البريقُ الساطعُ المرتجفُ فى حَضن موجة

الضوءُ المنسكبُ فى الكنيسة
توهجُ النارِ، أشعةُ تسقط على البللورِ
رقرقةُ الماسِ، البهاءُ الذهبى
لسحابةٍ تطيرُ فى الفجر أو تسبحُ فى المساء
الضوءُ الخافتُ لنافذة الدَّيْر
بَريقُ ألوانِ قوسِ قزحَ
فى «مقطع الزجاج»
قطرةُ ماء أضيئَتَ
أشواك مَصبَاح بعيد فى الليل
لهيبُ نَجمِ «الدبران»
تألقُ نجم «ريكل»
وهجُ «سيريوس الكبير»
شعلةُ «عطاردَ» الفضية الساكنة

قبل طلوع الشمس
كلُّ شئ يلمعُ . يتوهجُ . يبعث أشعةً كالسِّهَامِ
يتلألأ يشتعلُ .
كلُ إشراقةٍ لا تبهرُ العينَ فَحَسْب
بل إنها تُطربُ
كأنها تُحبُ

تَجذبُنى . تَطَوقُنى . تغمرُنى .
آه، كَيف أحدّقَ فى الضوء!
إنَ عينى قد تتشوشُ
لكن كَيانِى المضئ راسخٌ

وروحى لا تزالُ تحدِّقُ مثلَ نَسَرْ
هى ومَضاتٌ فكريةٌ
أحلِّلُ أغوارَها التى أغوصُ فيها
وفى قطراتها
أنغمسُ كما فى بحيرة الإلهامَ
كما لو كنتُ فى دروب حَدْسَيَّة متشَابكة
رُوحى ترتشفُ الضوءَ ، فأستغرقُ فيه
كلهاَث طيف كحلم طيف
الضوءَ . إنه نَقاءُ كلِّ شيءٍ . وكلُ شيءٍ يهفو إليه .
إلى الضوءِ .

من «العـالم الداخـلى»

زهـــرة البـنـــج

ذاتَ مساء
بينما كنتُ أتجولُ فى القريةِ مع «إيرين»
وكان الوقتُ متأخراً
دُفعْتُ فجأةً، ربما بفعل عادةٍ قديمةٍ،
لألتفتَ إلى الوراء
إلى خلفيةِ كوخٍ كُنَّا قدْ مررنَا بجواره
رأيتُ نفسَ زُهورَ «الفربيون» الشكَسَة
وهذه زهور «الشامغيداخ» المألوفة أيضا
وفجأة أبصرتُ «زهرةَ البنج»
يا إلهى لماذا شَحُبتُ هكَذَا؟
كانتْ هى . نعمْ لا سبيلَ إلى الشك فى ذلك
كأنها كانت تواجهنى . هى وحدَها مجرّدةً
تقفُ منتصبةً تحت حائط الكوخ المطْلىِّ بالطينِ
ضخمةً ترفعُ أجنحتها، غبراء .
سامحينى يا إيرين
إذا تركتُ يدك لأدْنُوَ منها بسرعةٍ
أعرفُ أن ذلكَ قد بدَا لك
تصرفًا أحمق فَظًا .
لو كنت تعرفين من البداية
كمْ أضنَّانى البَحثُ عنهَا
لمَا حزنت وأنت تسمعين صرخةَ فَزعِى ودَهْشتِى

وأنا أترك يَدك لأنظرَ إليها لأدنو مِنهَا
أدرى أن انتبَاهى المعلق بها
إن لم يكنْ قد بَدَا من بعيدٍ فى ظلالِ المساءِ
وكأنهُ عناقٌ لها
فقد تَبَدَّى وكأنه إنحناءٌ
أمامَ هذا النبات الجبار الكئيب.
إغفر لى أننى قدَ نسيتُ السعادةَ
التى مَنَحْتنى إيَّاهَا
حين لاحتْ لى «زهرةُ البنْجِ» المقشعرة
نسيتُ العذابَ الذي سبَّبَته لَى
وأنا أبصرُ فتنتها الشيطانية المشعوذةَ
كَبَلَتْنى بأوراقها الناعمة المقززة
حتى إننى نسيتُ بسحرها الطاغى
عبق جسدك الأسمر الفواح
نسيتُ كلَّ شئ فى زفرتها الكريهةِ التى ملأتْ
خياشيمى بشوقٍ مشمئز
لا لا ينبغى أن تعتقدى
أن حركة الاقتراب منها
تعدُ إنكاراً لسلطانك علىَّ
يا إيرين العذبةُ التَى لَم تتذمرً من شئ
من يدرى أن نفسَ الحماسة التى جَعلَتْنى مولعاً بكِ
هى التَى جَعَلْتنى مفتوناً «بالبنج»؟
من يدريك يا إيرين
أنتِ التى كنت حزينةً

لدرجة صرَفَتْك عن
مشاركتى فرحةَ العثور على الزهرةِ السامةِ
بل ودفعَتك إلى احتقارها
إن الروحَ التى خلقت لتنسجم معك وتُحبَّكِ
لن يثيرَها البنجُ أيضاً
والعكسُ صحيحُ كذلك؟
وأن الذى يؤخذُ بسحرِ الأسرارِ المطلقةِ
والغايات النهائية
لن يؤخذَ بك أنت أيضاً
يا عذرائى السَمْراَء ؟
ألا تعرفين أن الذى يحلمُ
بالمتعة الممزوجة المفعمة بالعذابَ
والأسَرار والرُّعب والتَضحية
سوف يعشَق المرأةَ المليئةَ بالغموض
والطبيعة العميقةَ الهائلة؟
يعشقكُ أنت
لأنكَ مليئةٌ بالَظلال
ويحبُ هذه الزهرةَ
لأنها تفورُ بالسموم؟
أليستْ الشخصيةُ منسجمةً
متوحدةً فى ذاتها
بحيثُ يضيعُ اخَتلافُ الأفعال
فى وحدة ينَبوعها؟
ألا تتحولَ كلُّ الَرغباتِ

إلى مَيل واحد وحيد
لا يمكنُ إدراكُ كُنْهه
وكلُ الأشياء المرغَوبة
والأشياء المكَروهة
رغم أنَّهاَ تبدُو متناقضةً
هي نتاجُ جنسٍ واحد
لا يمكنُ تحديدُهُ ؟
مع أن زفرتَك
عاطفتك المسُكِرَة
نورانيةٌ بلَا حدَود
تغذينى بحنان
بينما عصيرُ البنْج المسكر يُسَمِّمنى ،
مع أن حلاوتكَ تُوحى إلَىَّ بفكرةِ أبدية الحياة
أمَّا الزهرةُ المرةُ فَهي تَدعونى
إلى التفكير فى القبر
رغم أنك أنَت يا إيرين تستطيعين
أن تغمرينَى باَلحياة
فإن زهرة البنْجِ قادرةٌ
على أن تَقتُلَنِى .

من «العالم الداخلى»

الأهرامات

ها هى متراصةٌ بثقَلٍ هائلٍ
كأنها جبالٌ ترتفعُ بتأملاتٍ خارقة
كانت الأهراماتُ تبدو وكأنها
تحيط وتكبح حماقة الجبال
بسُمُوِّهَا ودقّتها
تُوحى إلى الجبال بالعقلِ والتَدَيُّن
فى أقدسِ الأشكَال
وأعظمها عدلاً .
إنها فوق اختلاف الدياناتِ والفلسفات
التى تنحنى فى التَراب ناعيةً فَنَاءَهَا .
كل المعتقداتِ والزندقات
تبدو متحدةً
فى دينٍ أصلىٍّ خالص
لا يرجوَ شيئاً من المطلَق
بل كان يعيد كلَّ شئ إليها
وفى كلِّ مكان
كان يعيدُ إهداءَ نفسه إليها .
أكوامُ الصخور الهُلاَمَية
كانت تعلوُ وتَعلو
حتى تصل إلى المطلق
حيث تستكين .

لقد كانت الأهراماتُ
تمثلُ ابتلاع الأبدية
لَلأزمنة الحضارية الأرضية .
الأهراماتُ تغوصُ فى السماء
حيث تتحدُ الجهاتُ الأربعُ للأَرضِ
وترتفعُ الحيواتُ
إلى السَّمْت ،
إلى الموقد الخفىِّ للقوى
جميعُ الكَائنات متحدةٌ فى هدفها .
إهداءُ العالِم لنفَسه
مرفوعٌ على الأحجار
إَلى الأعلى حيث الكاملُ .
فإن كانت الأهراماتُ
قبوراً للفراعنة
فهى تعدُ تصغيراً للدُنْيويَّة الهائجة
وإقراراً أمامَ الخليقة
بتسليم النَفس فى صمتْ
وإن كانتْ حاويَةً للأسرارِ الدينية
فهى نفىٌ شديدٌ عميقٌ
للحسيات الدائمة التَّأجُجِ
وصولاً إلى العذرية الروحية .
وسواءُ كانت أوعية للضياع أَوسبيلاً للخلاصِ
فهى تبدو تكفيراً لا ينفدُ

إنها نصبٌ قائمةٌ
لتعظيم التحرير من الجسدية
خلاصُ وتقديس بالقانون
حيث تهربُ الاشكالُ إلى اللا شئ
وباختفاء حدود الأنا الغائبة
ووحدة المُتَعَدِّد
كانت تتوجهُ فى الفضاء إلى البؤرة الذرية
تأكيدٌ للمبدأ الغورىٌ
الذى لا يتغير أبداً .
كانت تحدِّدُ إتجاهَ الكرة الأرضية
وانجذابَها خارجَ مدارها
وكأنها ماردٌ يهيم فى السماء
يسعَى إلى الأبدية .
كانت تشكيلاً خاشعاً
للصِّفر الضخمِ الذى ترسمه الأرض
فى الفضاء .
يا «أدوناى» لم يكن ثمةَ شئٌ
من غرور مصر
بل تواضعٌ هائلٌ ومَهيبٌ .
كانت هى الوعىَ بعدمية العالمِ
الهائلة
تنتصبُ دائماً هناك
من أجلِ التحديق فى الأبدية
وقد تحولتْ إلى أساطير .

المطـــــر

واقعة هطول المطر علي أشجار السرو خارج نافذة الشاعر. ولكن هذا المنظر المألوف يوقظ فيه مشاعر الملل والكآبة والعدمية إلخ يحللها الشاعر إلى نهاياتها، مستلهما صورته الشعرية كلها من الواقعة ذاتها. إن للشاعر قدرات وصفية هائلة، حيث يأتى وصفه لتفاصيل الواقعة بأبعاد وجدانية، شعورية، فلسفية. ولا نجد فى القصيدة أى شعور أو فكرة لم يولدها تفصيل معين.

ويجب أن ننوه أن أشجار السرو تمثل للشاعر النزعة إلى الأبدية، فهى تخرج من الأرض وترتفع عاليا نحو السماء. ولكن فى الظروف الموصوفة فى القصيدة هذه النزعة «تتأرجح مذهولة».

والقصيدة أيضا صراع من قبل الشاعر ضد العجز الشعورى والفكرى والوجدانى الذى يتغلغل فيه بسبب الواقعة نفسها. هذا الصراع يقوده الشاعر بالجهد الإبداعى. ومع أن الشاعر فى نهاية القصيدة يعترف بالهزيمة: «أصبح رأسى مجرد رماد موحل»، فإن القصيدة نفسها هى شهادة انتصار.

الضــــوء

أمام الشاعر كأس ممتلئة بمشروب كحولى. ولكنه لا يشربه. أو أنه لا يلجأ إلى إحتساء الكحول ليهرب من واقعه. الشاعر ينظر فى الكحول ويرى فيه انعكاسات الضوء. الشاعر يائس، نعم، ولكن اليأس يقوده إلى حيث توجد أى تنويعة ضوئية. والقصيدة أغلبها وصف لهذه التنويعات، وهو «يراها» أى يتخيلها في «دروب الكأس المضيئة». ولذا، فبالتحديق الطويل فى الكأس يشوش عينيه، ولكن لا تشوش روحه التى هى مصدر الخيال. وعلاقة الشاعر بالضوء تستحق التعليق، فهو لكى يحلل أغواره يغوص فيه، أى أنه لا يستطيع أن يصف الضوء من خارجه، بل أن درجة معرفته بالضوء مقرونة بدرجة انغماسه فيه. هى معرفة داخلية، معرفة صوفية. ولأن الشاعر يختم قصيدته بتأكيده أن «كل شئ يهفو إلى الضوء»، فيجب أن نقيس سموه الشخصى بدرجة إذابته هو شخصيا فى الضوء، علما أن الدرجة النهائية هى التوحد الكامل مع الضوء. ومن المؤكد فى هذا الصدد أن الشاعر بوصفه لتنويعات ومظاهر الضوء كما تستطيع العين أن تراها يسعى إلى الضوء وهو الشكل الأول والأخير لكل الأشياء.

زهــرة البنـــج

تبدأ القصيدة بطريقة عرضية غير مبالية، ولكنها تتطور فجأة إلى ازدواجية نزعة الإنسان نحو الحياة والموت. فالشاعر يتجول فى القرية مع إيرين، وهى حبيبته ويراها الشاعر كتجسيد للضوء. ولكنه يلمح فجأة زهرة البنج، فيترك يد إيرين وينجذب نحو الزهرة. وهو يكشف لها ولنا أنه كان يبحث عن هذه الزهرة منذ أمد بعيد. ثم يحلل إنجذابه المزدوج نحو إيرين والزهرة، نحو الحياة والموت بنفس الدرجة. ولا شك أن شعوره صادق ولكننا نرى فى الأمر تأثير الفلسفة الهندية «حيث يضيع اختلاف الأفعال فى وحدة ينبوعها»، وهى أيضا الفلسفة الصوفية حيث أن الطريق إلى الله هو الطريق إلى الموت.

ولكن ماذا عن إيرين، ما هو رد فعلها لهذا التصرف الغريب، ماذا تقول للشاعر بعد شرحه الفلسفى المطول، حيث يساويها مع زهرة مقززة فى مظهرها، سامة فى مضمونها؟ لا تعطينا القصيدة أية إجابة. ذلك لأن الشاعر المنغمس فى تأملاته الفلسفية يفشل أو يرفض أن يراها كإمرأة.

الأهــرامــات

جاء الشاعر زائرا إلى مصر فى عام ١٨٩٨ . وفى كتابه «العالم الداخلى» جزء خاص عن إنطباعاته وتجاربه النفسية فى مصر، منها هذه المقطوعة. والهرم بالنسبة للشاعر أكثر الأشكال الهندسية كمالا. لأنه يبدأ بقاعدة مربعة وراسخة فى الأرض وتنتهى بنقطة فى السماء. أى أن الهرم رمز لسمو الإنسان عن دنيويته حتى يصل إلى المطلق. ومكانه على الهرم يبين مدى تحقيقه لهذا الهدف. فإذا استطاع أن يصل إلى القمة فإنه أصبح نقطة، أى أنه فقد أبعاده المكانية والزمانية وتلاشى تماما. وهذا هو التوحد الصوفى المراد مع الأبدية. ويتبع هذا التفسير أن الأهرامات ليست علامات غرور مصرية انسانية، بل بالعكس تدل على «تواضع هائل ومهيب».

أڤـيديـك إِسـاهـاجـيـان

«شاعر اللحظة التأملية»

أفـــيديك إســاهــاجيــان (١٨٧٥ - ١٩٥٧)

ولد فى مدينة «الكساندرابول» («كيومرى» حاليا) فى أرمينيا.

حياته حياة المتجول. فى ١٨٩٣ نجده فى أوربا يدرس الفنون الفولكورية والأدب فى جامعة فيينا ثم ليبزج. يرجع إلى أرض الوطن فى ١٨٩٥ وبعد أربع سنوات يذهب إلى أوربا مرة أخرى ليدرس الفلسفة والأدب فى جامعة زيوريخ. يرجع إلى أرض الوطن فى ١٩٠٢ ويتجول فى مدن القوقاز وروسيا وتركيا. من ١٩١١ إلى ١٩٣٦ نجده فى برلين وباريس والبندقية. ثم يستقر فى أرمينيا السوفيتية.

إشتهر بقصائده الغنائية القصيرة. يستلهم فيها الأساليب التعبيرية لشعراء القرون الوسطى، يقرنها بالتأملات الفلسفية أحيانا.

له أيضاً قصيدة طويلة، هى «أبو العلاء المعرى»، يصور فيها هرب الشاعر من بغداد مشمئزا من دناءة الإنسان ورحلته فى الصحراء الواسعة نحو الشمس التى ترمز للنقاء والعدل.

الحياة حلم

ينحنى الصفصافُ
على الغدير،
يُمعنُ النظرَ فى صمتٍ
للمياهِ المسرعة.

فى هذه الحياة
التى تشبهُ الحلَمَ،
كلُ شيءٍ يأتى
ويختفى إلى الأبد.

الصفصاف يبكى
حانيا رأسه،
المياه المرحه
تغدو وتروحْ.

خـــلــود

مثل ثوان عبرتْ القرونُ
فوق قمةَ جبلِ أراراتْ العتيقةْ
ومضتْ .

صواعقُ بلا عددْ
تكسرت سيوفها على الماس الثلجَي
ومضتْ .

وكم من أجيال مذعورة من الموت
مرت عينُها علَى تلك القمة المضيئةَ
ومضتْ .

والآن حان دورك للحظة
فانظر إلى الجبهة الشّامخةَ
وامض .

حجــــر

يا ترى أين يكمن الآن
ذلك الحجر
الذى سيغدو
ضريحى .

كيف لى أن أتأكد
أننى لم أجلس حزينا
خلال حياتى أنا الهائم
فوق ذلك الحجر .

الحياة حلم

صورة مألوفة من الطبيعة، صورة شجرة الصفصاف المنحنية على الغدير، يجعلها الشاعر مادة للتأمل.

والشاعر يرى مفارقة بين حزن الصفصاف ومرح الغدير. بل يرى المفارقة بين من يتأمل الحياة فيمتلئ بالحزن ومن يعيش الحياة بلا تأمل فيجرى مرحا. المتأمل يمتلئ بالحزن لأنه يرى أن أى شئ لا يدوم. أما غير المتأمل فيذهب إلى نهايته الحتمية التى يجهلها - إلى فنائها - بفرح.

والعلاقة بين المتأمل وغير المتأمل غير متبادلة مع أنهما متجاوران، فالأول يرى الثانى ويدرس أحواله، أما الثانى فهو يجهل وجود الأول ولا يلتفت إليه. الأول يفجع لمصير الثانى، أما الثانى فلا يعى مصيره. والمتأمل هو فرد واحد، أما الغير المتأمل جموع الناس التى لا تنتهى، فالذى يختفى بلا أثر يأتى غيره فى الحال. والحياة حلم بالنسبة للمتأمل لأنها تجرى دائما أمامه ولا يستطيع أن يحتويها أو ينغمس فيها، ولكنه لا يستطيع ألا يراها أيضا.

المتأمل هو الشاعر.

خلود

الجبل رمز الخلود، وجبل «أرارات» رمز خلود الشعب الأرمنى. فالأجيال المذعورة من الموت (من بطش الأعداء المعتدين) تنظر إلى القمة إيمانا بأنها قد تموت ولكن الشعب لن يموت. أما حياة الفرد فهى لحظة مقارنة بخلود الجبل، فليرتق بنفسه بالنظر إلى الجبل الخالد، أى بالإيمان بخلود الشعب.

حجر

الجدل بين الحتمية والصدفة. الحتمية أن تموت ويوضع حجر على مقبرتك ليغدو ضريحا. والصدفة أن تجلس على نفس الحجر أثناء حياتك دون أن تدرى.

فجأة يصبح للحجر الذى سيغدو ضريحا له بعد موته أهمية كبيرة بالنسبة للشاعر الذى ربما قد أنهى رحلة حياته أو هكذا يشعر. ولكن هذا الإهتمام بذلك الحجر المجهول يوازيه إدراك أنه قد فاته تملك ذلك الحجر عندما جلس عليه بدون أن يدرى قبل سنين. فالحجر الذى استراح عليه الشاعر من احزانه سوف يكون شاهدا أبديا لخلاص الشاعر من أحزانه.

هوڤانيس تومانيان

«شاعر أبدع للشعب فلقبه الشعب بشاعر كل الشعب»

هوڤانيس تومانيان (١٨٦٩ - ١٩٢٣)

ولد فى قرية «تسيغ» فى مقاطعة «لورى» فى أرمينيا . ذهب إلى مدينة «تفليس» واستقر هناك . مات بالسرطان فى موسكو . دفن فى «تفليس» فى چورچيا .

أعلن فى بداية عمله كشاعر : «إلى الطبيعة وإلى الشعب ، أيها الكتاب الأرمن» . هو إبن القرية وقريب جدا من نفسية الشعب وقلبه . فالطبيعة الوطنية والصور الريفية وخاصة سحر مسقط رأسه بقمم جباله العالية ووديانه السحيقة قد أثرت فيه . وهو الشاعر الشعبى الذى يستلهم التراث الشعبى من قصص وحكم فى إبداعاته . كان يحب الناس وكان محبوبا من الناس ، وبسبب شعبيته الجارفة لقب «شاعر كل الأرمن» .

له قصائد غنائية وقصص شعرية ورباعيات . كتب أيضا قصصا قصيرة وحكايات للأطفال .

شعره يتميز بلغة بسيطة جذابة وأيضا باللون المحلى الذى يجعل شعره ذا حلاوة خاصة وحيوية .

مبــــاركة قديمـــــة

تحت شجرة الجوز الخضراء العملاقةِ
يجلسُ أجدادُنا وآبَاؤنا
سادةُ القرية
يجلسون القرفصاء
بقاماتهم العالية
يشكلون حلقَة
من المرح والفرح.

كنا ثلاثة أطفال ريفيين
نموج بالحيوية والنشُاط
ثلاثة من زملاء الدراسة
نقفُ أمامهم
حاسري الرؤوس
خاشعين نضعُ أيدَينا على قلوبنا
نؤدى بصوتٍ حاد قوى
أنشودةَ سعيدةً
وننتظر رأيهم.

وحينما انتهت أغنيتنُا المرحةُ
فتل رئيس الحفل المتجهم شاربه
ورفع كأسه
ومعه كلُ الكبار فى المجلس

كلهم باركونا قائلين
«عيشوا أيها الأطفال
ولكن لا تعيشوا مثلنا» .

ثم انقضت تلك السنون وهم انقضوا كذلك
وامتلأت أغنياتى المرحة بالأحزان
وها أنا أتذكر باكيا ذلك اليوم
أتساءل لماذا كانوا حين يباركوننا
يقولون «عيشوا أيها الأطفال
ولكن لا تعيشوا مثلنا» .

رحمكم الله يا أجدادنا التعساء
إن الألم الذى أضناكم يحدق بنا أيضاً
وها نحن فى أوقات الفرح أو الحزن
نقول أيضا مثلكم
حين نباركُ أبناءنَا
«عيشوا أيها الأطفال
ولكن لا تعيشوا مثلنا» .

مباركة قديمة

هناك المرح الشكلي والحزن الدفين كما يحسهما كبار رجال القرية، وهناك أيضا المرح الغير مشوب بالحزن كما يحسه أطفال القرية ومنهم شاعر المستقبل. فالأطفال تنقصهم تجربة الحياة التى سوف تجلب لهم الشقاء وتعلمهم أن الحزن يغوص فى القلب أكثر من الفرح. ولكن معرفة الكبار بهذه الحقيقة لا تمنعهم أن يتمنوا للصغار ألا يدركهم الحزن. والكبار يعرفون أيضا من تجربتهم الشخصية أن الصغار لا يعلمون شيئا عن الحزن ولذلك يلقون أمنيتهم بطريقة مبهمة: «عيشوا أيها الأطفال، ولكن لا تعيشوا مثلنا». والغريب أن الأطفال يكشفون غموضها عندما يكبرون ويمرون بتجارب مؤلمة، ولكنهم، مثل آبائهم، يستخدمون نفس الألفاظ لمباركة صغارهم. كأن كل جيل يتمنى المستحيل للجيل الجديد.

يغيا دميرچيباشيان

«شاعر الصدق المخيف»

يغيا دميرچيباشيان (١٨٥١ - ١٩٠٨)

ولد فى حى «خاسكيوغ» فى اسطمبول .

كان كاتب مقالات ويوميات وقصص قصيرة ونظم الشعر أيضا . لم يهتم بنشر أعماله الشعرية فى كتب فبقيت منثورة فى الصحف والمجلات إلى أن صدرت مختارات من اعماله الشعرية والنثرية فى عام ١٩٥٥ فى باريس . حياته كانت مليئة بالآلام النفسية . تملكته رغبة الإنتحار تعللها فكرة النيرڤانا الهندية ، ونتجت عنها محاولة فشلت فى عام ١٨٧٤ ومحاولة أخرى أنهت حياته .

ويغيا دميرچيباشيان له نصيب كبير فى تطوير وتجميل «الاشخاراپار» ، وهو مؤلف عدة قواميس ، أبدع كلمات جديدة لتستطيع اللغة الأرمنية أن تساير العصر .

قصائده المتوترة عاطفيا تتميز بالصدق الشديد المخيف .

أطـــل علـــى قـــبرى

دعنى يا إلهى أغادرُ قبرِى ذاتْ ليلةِ
أخَرجُ من مهدى
الذى رضَعَتُ فيه دون جدوى
أخرجُ من حجرةِ عُرسى
التى عانقت فيها ظلّى البارد
كى أزورَ المكانَ الأسمى والدموعُ فى عينى .

أحضن بين ذرَاعَىَّ الشاهدَ الرُّخامى
(زوج شجر الصفصاف) مثل كنزٍ مضىء
أقرأُ النقوشَ الذهبية الحروف
ذاتَ الحكمة القاتمة وفى عينىَّ الدموع .

ولأننى بلا أمٍّ تأتى لتبكى فوق قبرى
فالأمُّ وحدها هىَ التى تبكى بصدق
سوف أشبع بكاءً على حياتى
التى عبرت إلى الهاوية .

قلبى فارغٌ وكان ينبغى أن يغمره الحبُّ
أملؤه بدموع مرة تذيبُ حتى النار
ويلى ، هذا هو اليومُ الوحيدُ
الذى قدّرَ لى أن أعيشهُ على الأرضِ .

وحيـــد

السنين التى تقبعُ ورائى

تُعَذِّبُنى بالذِّكرَى المريرة

للبهجةِ التى مرتْ

السنين التى تلوحُ أمامى

تحجرِنى بالجنونِ المخيفِ المرتقب .

لقدـ أخذتْ السنين الغابرةُ

معها كلَّ شئٍ، كل شئ

أما السنينُ القادمةُ

فلا أتوقعُ أن تأتى بأىِّ شئ

فقط سوف تجلبُ مزيداً من الشكوكَ

لعقلى

ومزيداً من خيبة الأمل

لقلبى

ومزيداً من الغموضِ الكثيفَ

لروحى

تأتِى السنينُ مسرعةً مثلَ نَذيرِ الشؤْم

ثم ترحلُ بطيئةً بطيئةً

إنها دوماً تذهبُ مُثْقَلَةً

تلك السنواتُ الجديدةُ

التى أضَحتْ قَديِمةً .

ها هي الأسِرَّةُ قد حُزِمَتْ
واحداً بعدَ الآخر
والاطباق قد رفعت عن المائدة
واحداً بعدَ الآخر
والاصواتُ خفتت هي الأخرى
صوتاً صوتاً
منزلي الآن - سريرٌ وحيد
ومائدتي الآن - طبقٌ واحد
وليس ثمةَ من صدىً
لصوتِ كائنٍ حيٍّ.
إنني آكلُ طعامي
وطعامي يأكُلني
وحيداً أتجولُ في غرفي
أرى أشباحَ جمجمتي تتجول معي
وعلى الجدران
تمضي متعانقةً أطيافُ أحبائي
تتجولُ متعانقةً أطيافُ السنوات الغابرةِ
السنواتُ الطيبةُ القديمةُ القاسيةَ
تمضي وهي تعرضُ أمامَ عيني
صورَ السعادةِ الصافيةِ
أما السنينُ الآتية
فسوف تحملُ لروحي
ارتعاشاتٍ سوداءْ.

هكذا أريد أن أموت

أتعلمونَ على أيّ نحو أريدُ أن أموت؟
منتحراً . وقد تعلقَ جسدى فى الهواء
مشدوداً إلى الطرفِ اللامعِ
للسوطِ الناريِّ
الذى يمزقُ الأعزبَ الأبديَّ
وقد كبّلَهُ وأشعله بالشهوةِ الحارقة
الأعزبُ الذى يضربُ العاصفةَ
يجعلها تجرى على البحرِ بأقدامٍ رغوية
وأجنحةٍ رعدية مثلَ المعتوه
ويطاردها ويبعثرها مزقاً مزقاً .
وأنا وحدى داخلٌ فى نسيجِ اليأسِ القاتم
أمضى ساحبا السوط الناريِّ
إلى المهاوى العميقة
لأقذف به مع اليد التى تمسكه .
لكى تبقى العاصفةُ بلا رعد
وإلهُ الصواعق بدون ذراع
ويبقى اسمى بلا ذكرى
أو لكى أصبح ذكرىً وحشيةً
باقية فى السماء والأرض
تظل ملعونةً بشفاه مضطرمة
وأيدٍ مضطربة
إلى أبد الآبدين .

البحر مستيقظا والبحر نائما

هَمَسَتْ الموجةُ قائلةً للزورق
تعطينى الريح زبَداً أبيضَ
كما تَعطيكَ شراعاً أبيضَ
حتى نصيرَ أنا وأنتَ فى فتنةِ امرأة .

ولكن ألسنَا أسْمَى بلا ريح
عندما تغفو الريحُ وينامُ البحر
تبحرُ أنت بالمجداف
وأصبحُ أنا محيطاً .

أطل على قبرى

قصيدة غريبة تنتهى بالتناقض. فالشاعر لم يستطع أن يعيش حياته ويرى أنه كان ميتا طوال حياته. والتناقض أن اليوم الوحيد الذى يعيش فيه هو بعد موته ودفنه. يخرج الشاعر من قبره ويبكى على حياته التى مرت خاوية من الحب. وهذه الدموع هى التى تبرهن على إن لوجوده معنى، وأنه، فى هذه اللحظات، لحظات البكاء، يعيش. فقد كانت حياته خاوية من الحب ومن القدرة على البكاء على ذلك الخواء.

وحيـــــد

قصيدة يصارع بها الشاعر الجنون الذى تجلبه الوحدة. والشاعر يصف حالته بدقة. وهو لا يحتمل الوحدة، فيخلق من خياله كائنات أخرى تناطحه. فالطعام يصبح كائنا وعندما يأكله الشاعر، يرد عليه بأن يأكله. وعندما ينضب الواقع يخصب خيال المريض نفسيا، فيرى الشاعر الأطياف على الجدران. وقد يتعرف الشاعر على أحباء الماضى ولكن المستقبل مجهول ولذلك لن يجلب إلا «إرتعاشات سوداء» مبهمة سوف تفقده وعيه ليحل الجنون.

هكذا أريد أن أموت

قصيدة تتسم بالصدق الشديد، فقد انتحر الشاعر فعلا بالطريقة التى رغب فيها، بشنق نفسه. والشاعر لأنه لا يستطيع الحياة يريد أن يموت وأن يدمر كل شئ معه، وبالذات الإله الذى قد قرر مصيره بأن يعيش راغبا فى الموت. وهذه الرغبة، كما يفسرها الشاعر نفسه، هى نتيجة شهوة جنسية لم يستطع أن يشبعها فاستعبدته.

البحر مستيقظا والبحر نائما

جلال السكون، الذى يسعى الشاعر أن ينعم به.

بدروس توريان

« شاعر يتحرق روحه تمرداً ضد مصيره »

بدروس توريان (١٨٥١ - ١٨٧٢)

ولد فى حى «إسجودار» فى اسطمبول. مات بالسل وهو لم يكمل عامه الحادى والعشرين.

أعظم وأشهر الشعراء الرومانتيكيين. رومانتيكيته ليست محاكاة تيار ما، بل تنبع من شخصيته ومن واقع حياته وتجربته النفسية البائسة وهو يتعذب من المرض ويعرف أن الأجل قريب. قصائده قوية فى تدفق العاطفة وجريئة فى تعبيراتها وانصور الشعرية. عدد قصائده ٣٩، منها ٢٦ ألفها عام ١٨٧١. كتب أيضا عدد من المسرحيات ساعدت على تطور الفن المسرحى الأرمنى.

البحيـــرة

لماذا أيتها البحيرةُ . . أنتِ مشدوهةٌ
لا تتراقصُ أمواجُك
هل تطلّع بشغفٍ في سطحِ مرآتكِ
وجهُ امرأةٍ جميلة؟

ربما كانت أمواجُك
مفتونةً بزرقة السماءَ
وبتلك السحَب المعَشبة بالضياء
تلك السحب التى تشبهُ زَبَدكِ .

دعينى يا بحيرتى المكتئبة
أكنْ حميماً معكْ
فأنا مثلك مغرمٌ
بالصمتِ والاستغراقِ فى التأمل .

وبقدر ما فيك من أمواج
بقدرِ ما يصطرعُ فِى جبهتى من أفكار
وبقدَر ما لديك من زَبَد
بقدر ما بقلبى من جراح وآلامْ .

فحتى لو انفرطتْ فى حضنك
أسرابُ وأسرابُ من نجومِ السماء

فلن تكونى مثل روحى
التى تشتعل بلهب أبدى .

فى أعماقها لا تموتُ النجوم
والزهورُ لا تذوى
والسحبُ لا تنهمرُ بالماء
أنت والجو هادئان .

أيتها البحيرة أنتِ ملكتى
من نسمة تتجعدين
ولكنك تحتفظين بى
فى أعماقكِ المضطربة .

لقد أعرضتْ عنى الكثيراتُ ورفضْننَى
قلن : «ليس سوى شاعر»
وقالت امرأة « إنه شاحبٌ يرتعش»
بينما قالت أخرى : «سيموت» .

لم تقلْ واحدةٌ : « إن هذا الشابَ بائسٌ
تُرى لم هو غاضب؟
هو جميلٌ وربما
لو أحببتُه لا يموت» .

لم ترْث له إحداهن فَتقول
«يتمزقَ القلبُ مما ألمَّ بهذا الشاب
يا تُرى ماذا كتب له فى لوح القدر الحزين
ليس ثمة مكتوب بل حريق .

ذكريات ورماد . . هذا كل ما هناك
فلتصطخبْ أمواجُك أيتها البحيرة
فإن بائساً قد رأى
وجهه فى أعماقك .

الغادة التركية

فى المساء والأفق يشتعل باللهيب
تمضى عربة مثقلة بطيئة كنعش
وبها غادة مستلقية تخفق هناك
يا إلهى، هى فتاة الغسق
توشك أن تظن أنها لو نظرت
فسوف تقضى عليها.

كأنها تمثالٌ من شمع العسل الأبيض
كم هى شاحبةٌ وكأن البرقعَ الشفافَ
كَفَنٌ محكمُ فوق ورودها الناصلة
يضيئها الله بعينين
لو أنها ابتسمت
تظن أنها سوف تمضى الآن.

هى تود أن تنظر لكنها سرعان ما يغشى عليها
يصعدُ الدخانُ من قلبها كالبخور المتقد بالحب
هى ملكةُ العطورِ والأضواء
فراشةُ منهكةٌ تلتمسُ قلبَ الزَهر
تخالها لو تحركتْ
بأنها سوف تنطلقُ على الفور.

صدرُها مضطربٌ كالبحر
لكم تتوقُ إلى أن تحب ويُغْشَى َعليها من قبلة عميقة
تتوقُ إلى أن تفنى وتذوى وتموتُ من تعب الحب
تتمنى أن تَعْصر آخرَ قطرة من كأس الحب النارىّ
حين تستحى تَقولَ لنفسكَ
سوف تشتعلُ حالا .

هى «نحلةُ القلب» كما وصفها «لامرتين»
الزهرةُ التى يستنشَقُها القلب ، عسلُها هو الحبُّ ،
أسميها عذراء قلبها سماء حبٍ
لا نهائى لا يُحدها أفق
لو تكلمت
فسوف تظن أنها سوف تنتهى .

هى تحترق ، دوما تحترق ، لا تفنى
كالمصباح الذى أوقدته المرأة المحتاجة فى المعبد
مثلُ النجوم التى تشتهى الليل لكى تتلألأ
هى نورٌ متوهجٌ انفلتت من ضلعِ الحب
حتى لو ماتت أمامك
فستقول : سوف تولدُ الآنَ .

موتى

لو أن ملاكَ الموت الشاحب
هبطَ بابتسامة عريَضة أمامى
فتبخرتْ روحَى وتبدَدتْ آلامى
إعلموا أننى ماَ زلتُ حيًا .

لو أن شمعةً نحيلةً مثلى
رأتْ الموت أمام فراشى
ومضت بشعاعٍ باردْ
إعلموا أننى ماَ زلتُ حيًا .

لو أنهم أدرجونى مثل حجرٍ باردٍ فى الكفن
وقد اغتسلت جبهتى بالدموع
ثم وضعونى فى النَعشِ الأسود
اعلموا أننى ما زلت حيًا .

لو دقَّ الناقوسُ الحزينُ
مثل الضحكة المجلجلة للموت الحاقد
ثم خطا نعشَى خطوته البطيئةَ
إعلموا أننىَ ما زلتُ حيًا .

لو أن هؤلاء الناسِ الذين يغنون للموت
الناس ذوو الأرديةَ السوداء والوجوه المتجهمة
نشروا فى كل مكان البخور والصلوات
إعلموا أننى ما زلت حيًا .

لو أنهم أعدُّوا مقبرتى
وبالنواح والأسى
فارقنى الأحبابُ
إعلموا أننى ما زلتُ حيًا .

لكن لو أن مَقْبَرتِى ظلت بلا علامة
مجهولةَ فى أحَدِ جحورِ البرية
لو ذبلتُ ذكراىْ
آهٍ عندئذٍ سأموت .

تمــرد

آه وداعاً أيها الإله وأيتها الشمس
أنتما اللذان تلتمعان فوق روحى
إن أنا إلا نجمٌ أمضى لألحق بالسماء
وما هذه النجومُ إلا اللعناتُ الفاجعةُ
للأرواح البريئة البائسة
تلك التى تطير لَتحرقَ جبهة السماء
إن هذه النجومَ تضاعفُ العتاد
والزينة التى تتشكل من النار
لهذا الإله باعث الصواعق .
ماذا أقولَ؟ إصعقنى يا إلهى
أصعق هذا الفكر المكابر لتلك الذرة التى
تجرؤ على الغوص فى أعماق السماء
لتصعد سلم النجوم السامق .
سبحانك ، يا خالقَ الكائن المرتجف
والضياء والنبات والأمواَجِ والكلماَت
أنت الذى ورد جبينى ونور عينى انتزعت
أسكت لحن شفاهى وأخمدت تَوثُّبَ روحى
منحت السحابَ لعينى والوجيب لقلبى
قلت بأنك عند باب الموت سوف تبتسم لى .
إنك تحتفظُ لى بلا شك بحياة أخرى أبدية
حياةِ بلا نهاية من الضياَءِ والعطرِ والصلوات

لكن لو توارى هنا وسط الضباب
نفسى الأخيرِ دون همس
سأتحول إلى صاعقة شاحبة
تلتف حولك وتزمجرُ بدون انقطاع
سأصبحُ لعنة وأنغمسُ فى ضلعك
وأنعتُكَ بالإله الحقود .
آه إننى لأرتجفَ ، شاحبٌ أنا
يموج داخلى بحُمَمٍ كالجحيم
ما أشبهنى بتنهيدة بين أشجار السرو السوداء
حيث يجفُ ورقُ الخريف ويدنو من السقوط .
آه امنحونى ومضةً من أمل
ومضةً من أمل لأعيش
هل سأحتضن بعد هذا الحلم القبر المظلم؟
كم هو أسود هذا المصير يا إلهى
هل كتب هذا المصير بالرميم؟
امنحوا روحى قطرةً من نار
فما زلت أرغب فى أن أحيا وأحب
أسقطى يا نجومَ السماء
إمنحى ومضةَ حياة لعاشقك البائس .
ها هو الربيع حولىَ ولا وردَ لجبينى الشاحب
وكل أشعة السماء لا تمنحنى ابتسامةً واحدة
هذا الليلُ ليس إلا تابوتى الدائم
والنجوم شعلات والقمر يبكى ويجوس الوهاد

هنالك من ليس لهم من يبكى عليهم
من أجلِ هؤلاء كان القمرُ .
إن من يرقدُ علَى فراش الموت
يشتهى أمرين : الحياة أولا وأحداً يبكيه .
عبثا قدرت لى النجوم أن أحب
وعبثا كان الحب الذى علمنى أياه البلبل
وبلا جدوى كان العشق الذى ألهمتنيه الأنسام
وعبثا عكس الموج الصافى فتوة شبابى
وبلا معنى كان هدوء الغياض من حولى
وكتمان الأوراق للأسرار التى لم تبح بها
حتى لا تضطرب أحلامى السامية
التى سمحت لى بأن أحلم بها دوما
عبثا إذن كانت الأزهار ونباتات الربيع
وكلها خشعت فى سكون أمام هيكل أفكارى
آه كل هذه الأشياء سخرت منى
وما هذا الكون سوى سخرية الإله .

نـــــدم

أمس كنت فى غفو ة سوداء
أتصبب عرقاً بارداً
وحرائق من الورد الذابل
تشتعل على وجنتى
وعلى جبينى يلمع شحوب النهاية
كنت فى صحوة الموت
سمعت تأوُّهَ أمِّى
آه حين فتحتُ عينىَ المتعبة
رأيتُ هذه اللآلئ الذائبةَ
دموع أمى ، لآلَئ الحنان الحقيقى
كان فى أعماقها ألمٌ بلا حدود
وأنا كنتُ ذلك الألمَ الأسود
عصفت دموعها برأسى
وفجرت كل هذا السيل القاتم
آه إغفر لى يا إلهى
إنَّنى قد رأيت دموع أمى .

الغـادة التـركية

العربة التى تستلقى فيها الغادة التركية تشبه «النعش» والبرقع الشفاف على وجهها يشبه «الكفن»، ذلك لأنها مسلوبة الحرية، مسجونة ضد إرادتها. يجب أن نتذكر أننا فى عام ١٨٧١ فى عصر الحريم فى اسطمبول. وهذه الفتاة التى لمحها الشاعر وهى تمر فى العربة قد تكون من حريم أحد الأعيان، ولكن الشاعر الرومانتيكى يراها كعذراء. والدنيا محرمة على الغادة التركية وهى محرومة من الحب. فى خيال وتقدير الشاعر ترغب العذراء أن تحب وأن تُحَب و«تموت من تعب الحب». والعبارة الأخيرة موحية جداً، فالشاعر الرومانتيكى لا يكتفى هنا بالحب العذرى، بل يريد حبا كاملا. وفى الوقت نفسه فإن ممارسة الجنس بدون عاطفة (والغادة التركية مضطرة إلى ذلك فى الحريم) لا يعتبر حبا على الإطلاق. و«الغادة التركية» تظهر لنا كقصيدة رومانتيكية لها كل مظاهر الرومانتيكية من كلمات وصور، ولكن يمكن قراءتها أيضا كقصيدة سياسية تثور ضد أوضاع قائمة دون أن يستطيع عين الرقيب الرهيبة أن تلاحظ ذلك.

أما الفقرة الأخيرة من كل بيت فإن الشاعر يستخدمها لكى يبين الحالة المتناقضة للغادة، حيث الشئ قد يكون عكس ما يظهر به، وأن هناك دائما مفاجأة على عكس توقعنا. إلى أن يصل الشاعر بنا إلى نهاية موحية: «حتى لو ماتت أمامك، سوف تولد الآن». أى أنها لا يمكن أن تموت، فهى طراز ورمز، رمز الإحتياج إلى الحب برغم كل الموانع والمحرمات.

والقصيدة انطباعية أكثر منها وصفية. فكيف نفسر انطباع الشاعر على هذا النحو المعين؟ ذلك أن الشاعر أيضا يريد أن يحب ويجد استجابة لحبه.

مـوتـى

الشاعر مريض بالسل ويحس بدنو الأجل ولكن القضية التى تشغله ليست الموت، بل النسيان. وهو لا يخشى الموت، بل يتخيل نفسه وقد مات، ويصف بكل دقة وشجاعة كل الخطوات والمراسم التى سوف تلى موته، إبتداء من فراش الموت وحتى فراق الأحباب لقبره. والشاعر يخصص بيتا من أربعة سطور لكل خطوة من تلك الخطوات التى تلى موته، ويؤكد فى السطر الرابع من كل بيت أنه مازال حيا. فكيف يكون الشاعر على قيد الحياة بعد موته؟ هذا هو التناقض فى القصيدة. البيت الأخير يقدم لنا الإجابة. لأن الناس لا تزال تتذكره. أما إذا «ذبلت ذكراه» عندئذ يموت، كما يبين لنا فى آخر سطر من القصيدة، والتى بها يحل تناقض القصيدة.

تمـــــرد

من أشهر قصائد الشعر الأرمنى على الإطلاق. والسبب طبعاً جرأته غير المعهودة، وأيضا جرأة الصور الشعرية التى تمور بها القصيدة.

لا يريد الشاعر شيئا مبالغا فيه، فقط أن يعيش وأن يحب. ولكن القدر (أو أى كلمة أخرى بنفس المعنى) قد حكم عليه بالموت الوشيك. والتمرد (والترجمة الحرفية هى «التذمر»، وهى تدل على نوع معين من القصيدة يتمرد فيها الشاعر على الواقع المعاصر وضد الضغط والظلم والاضطهاد، ويعيش مأساة داخلية تولد الأفكار الفلسفية) هو تمرد على الإله الوثنى الذى يتصف بالجبروت كذلك على الإله المسيحى الذى يتصف بالحب. الإله الوثنى يمكن أن يدمر الشاعر بسبب جرأته، أما الإله المسيحى فلا يهتم بالحياة على هذه الدنيا، بل بالآخرة. ولكن الشاعر يرفض الحياة الأخرى لو كانت مرهونة ببقائه محروما من أن يحب ويُحَب فى هذه الدنيا. «وما العالم إلا سخرية الإله» كما ينهى الشاعر قصيدته، لأنه يخلق الإنسان بنزعات معينة ثم يحبط إشباع تلك النزعات.

نـــــدم

وقصيدة «تمرد» يجب أن تقرأ مع القصيدة القصيرة التى تليها، «ندم». فتكشف أن حبا من نوع آخر (وربما أسمى) كان وراء مولد القصيدة الأولى، حب الأم لإبنها، وآلامها التى بلا حدود بسبب آلام إبنها. والشاعر الإبن يؤلمه تألمها أكثر من آلامه التى يعانيها بسبب مرضه. هو يستطيع أن يتحمل آلامه وفكرة دنو الموت، ولكنه لا يتحمل آلام أمه ولذلك يفجر «كل هذا السيل القاتم» الذى هو القصيدة الأولى «تمرد».

ساياط نوڤا

«شاعر لا تحده التقاليد الشعرية»

سـايـاط نوفـا (١٧١٢ - ١٧٩٥)

ولد فى تفليس. يعتقد أنه تجول فى بلاد الفرس والهند ومختلف أقاليم الدولة العثمانية. ذاع صيته في تفليس وعاش خمسة عشرة عاما فى بلاطملك چورچيا، وفصل من عمله بسبب الشك بأنه على علاقة مع «آنا» أخت أو بنت الملك. وبأمر الملك أصبح قسيسا، وقد نسخ «كتاب المآسى» لناريجتسى فى الدير الذى نفى إليه. مات فى تفليس إثناء حملة أغا محمد خان.

يمثل قمة فن «الأشوغ».

ألف سایاط نوڤا (قد يعنى لقبه صياد الأغانى، أما اسمه الحقيقى فهو أروتين) قصائده الغنائية بثلاث لغات، واشتهر بين شعوبها، ٦٨ قصيدة باللغة الأرمنية، ٣٢ قصيدة باللغة الچورچية، و٨٥ قصيدة باللغة الأذربيچانية.

وقصائده الأرمنية مكتوبة بلهجة مدينة تفليس، مليئة بالكلمات والتعبيرات الفارسية والتركية إلخ، لم يكن همه الأول نقاء اللغة بل أن تستسيغ الفئات الشعبية أغانية.

أما سبب عظمته فهو ليس بسبب استاذيته فى نظم الشعر «الأشوغى» فحسب، بل لأنه طوع الأنماط التقليدية ليعبر عن تجارب شخصية واقعية أهتز لها وقام بتحليل ابعادها العاطفية والنفسية والفلسفية.

الكمـانجـا

من بينِ كلِّ آلاتِ الموسيقى أنتِ الملكةُ
أيتها الكمانجا
لا يقدرُ الرجلُ الوضيعُ أن يُقَدِّرَكِ
فأنت ممتنعة عليه أيتها الكمانجا
حاولى أن تلحقى بالأيامِ الطيبة أيتها الكمانجا
لا أحدَ يستطيعُ أن ينزعكِ منى
فأنتِ رهانُ العشاق أيتها الكمانجا .

من الفضة : أُذُنُك
يزين الجوهرُ رأسَكِ
ومَقْبَضُكِ من العاج
وبطنكَ منقوشةٌ بالصدف
وتَرُكِ من ذَهب
وحَديدُك نافذة
من ذا الذى يَجْهَلُ قَدْرَكَ
ما أنتِ إلا لآلىءُ وماس أيتها الكمانجا .

قوسك المحلاة بالذَّهَب
تصدرُ نغماً بألفِ لون
أما شعرُكِ فهو من ذيل «الراش»
حين تبوحين بالقافية الجميلة

يسهر كثيرون حتى الصباح

وينام الكثيرون كأنهم مخدرون

أنت كأسٌ ذهبيةٌ ممتلئةٌ بالنبيذِ الحلو المذاق أيتها الكمانجا .

تعطين للساقى من غناء أضعافَ ما يمنحهُ من نشوة

أنت معظمةٌ فى الايوان

وحين يجيء وقت الراحة ترقدين على الرف

ينعقد المجلس من جديد

تشيعين ندى حُلوا وصفاء

تصطفُ حَولَكِ الجميلات

وأنت نصفُ المجلس أيتها الكمانجا .

تُسعدين الكثيرَ من القلوبِ الحزينة

وتشفين داءَ المريض

حين ينبعث صوتُك الحلو

ينشرح صدرُ المُغَنّى

لا أعَنى إلا أن يقول الناس

«طابت الحياة لمن يعزف عليكِ»

ومادام ساياط نوڤا حيا

سترين الكثير أيتها الكمانجا .

ضـــــراعة

إننى أتضرعُ إليك أن تسمعينى يا نورَ العين
قلبى مفعمٌ بالرجاء
أن أراك بخير يا نور العين
إنى لأعجب من خصامك لىَ
قولى ماذا فعلتُ يا نورَ العين
كم شبعت الدنيا من الدنيا
بينما أنا محرومٌ منك يا نورَ العين.

ما هذا الذى تفعلين بى
وكأن أحداً ما عرف الحب سواى
جننتُ بعشْقك
وها أنذا أسعى بلا وعى
لا أظن أن أحدًا أصابه مثلُ هذا الألم من قبل
ولن يطيق أحد مثقال ذرةٍ منه
إن قلبى يشوى بنار عشقك
مثلَ طائرِ السمان يا نورَ العين.

صيرتِ أصدقائى أعداءَ
فكيف أتخذُ العدوَّ صديقاً
لم أعد أذكرُ يومى الذى مضى
أما الغدُ فيريدنى أن أسعى بجدٍّ
أقسم بالله إنه لأمر عسير

أن أنجوَ مما حلَّ بى

ما أنا الا كزورقٍ صغير
أما عشقكِ فَيَمٌّ عظيم يا نورَ العين .

كم أتوق إلى أن أتغنى بكِ وأشبِّبَ بحسنك
طوفتُ عشرة أعوام مثل رَسولِ الملك
فى يدى الشبابة وأنا مثل «غريبَ»
أقدر أن أطوف سبعة أعوام أخرى
آه يا معبودتى «شاهسانام»
ليس لى سواكِ يا نور العين .

سأصبر مهما تزاحمت الهموم من حولى
ولن أنطق بالآه من قلبى
وضعتُ مصيرى بين يديكِ وحدكِ
لا أسمى ملكةً سواك
لقد قال سياط نوڤا أيتها الظالمة
إذا متُّ فلن أسمى موتى موتا
إذا ما بكيتِ علىَّ ناشرةً شعرك يا نورَ العين .

لأنك أشد فطنة

إنك لأشدُّ فطنةً
من أن تجعل عقلك يقودك إلى الحمق
بالله عليك، لا تأخذنى بما تراه
من رؤى فى منامك
آه لقد احترقت وانتهيت منذ زمن
فلا تبدأ فى كَيِّى من جديد
كل ما اعلمه أنك سئمتنى، فلا تلتمس ذرائع أخرى.

أيها الملك أنت رستم زال
ما من حكيم قُدِّرَ له أن يحكم بمثل حكمتك
أنت جميلٌ أيها الملك وشعبك مبرز بين الشعوب
إقطع رأسى أيها الملك
لو رأيت أننى بمثل ما تظن من السوء
فلترع الله فىَّ برهة ولا تعاقبنى بلا جريرة.

الجريح يبغى طبيبا يعطيه الدواء لا ألما
ومهما يكن العبد محروما
فلا ينبغى أن يخون سيده
فليكن قلبكُ طاهراً
ولا تصدق فىَّ أقوال العذَّال
إن من ينشدُ حب الله
لا ينبغى أن يردنا من الأعتاب.

ليس كل أحد بقادر على أن يشرب مائى

فلمائى مذاق آخر

وليس كل أحد بقادر على قراءة سطورى

لأنها بعيدة الغور

لا تظنن بأن أساسى رخو كالرمال

بل هو من الحجر والجص

أنت كالسيل العرم الذى لا يجف

فلا تتعجل خرابى .

هل ترى رمل الشاطئ ينقص

مهما أخذت منه الريح؟

وسواء وجدت أو فنيت

فإن الطرب لن يغيب عن المأدبه

ولو أننى غبت أنت فقط الذى يلحظ غيابى

لكن لن تنقص شعره من رأس الدنيا

لا تحفر قبر سياط نوقا

فى الهند أو الحبشة أو بلاد العرب .

الدنيـــا نافـــذة

ما الدنيا إلا نافذةٌ
وأنا سئمت الدروبَ
من نظرَ إليها جَرحَتْهُ
وأنا سئمتُ الجراح
ما أجملَ الأمسَ إذا قورنَ باليوم
لقد سئمتُ حتى من الغدِ
لا يبقى الانسانُ على حاله
لقد سئمتُ الأغانى.

لا أمانَ للغنَى
كله يذهبُ حتى القليلُ لا يبقى
أما الإنسانُ الإنسان
فهو الذى يصون كرامتَه ولا يحنى رأسه
لا دوامَ لهذه الدنيا كما يؤكدُ الحكماء
أتوق إلى أن أطير مثل البلبل لم تعد تغوينى البساتين.

من ذا الذى يضمن العيش من الصباح حتى مقدم الليل
كل شيء بيد الله
دخول الانسان وخروجه
لقد تَفَشَّى الكذبُ بين الناس
حتى لم يعد طريق للصدق
سيدٌ واحد وعشرون لا يملكون شيئا
لقد سئمت الأسياد.

مهما طالت متعتنا فلا بقاء لهذه الدنيا
فلتلعن رذائلك
أيها الجاهل ياابن آدم
آه لقد نفد صبرى
وما عدت أطيق سخرية الخلق
ها هم أصدقائى قد باتوا خصومى
لقد سئمت الأعداء.

قال ساياط نوفا
طفح كيل الأحزان
لا أنتظر مجدا ولا سعادة
فقد ملأت المرارة كأسى
وأنا أبكى مثل البلبل
تكاثرَ الشوكُ فى الورد
حتى ليمنعه من التفتح فى أوانه
لقد سئمت حتى قطف الورود.

كمانجـــا

بعد كل هذا الوصف والمدح للكمانجا الذى هو القصيدة كلها، يأتى السطر الأخير ليؤكد أن الذى يعطى الكمانجا قيمتها هو الذى يعزف عليها، ينشد أشعاره بمصاحبتها، هو الشاعر نفسه، ساياط نوڤا.

ضراعة

قد تكون هذه القصيدة هى التى جعلت الناس تشى للملك أن الشاعر يحب أخته أو إبنته، وربما قدم أعداء الشاعر هذه القصيدة كبرهان على أنه يحب الأميرة.

لأنك أشد فطنة

الكلام موجه إلى الملك الذى كان يعمل ساياط نوڤا شاعرا مغنيا فى بلاطه حينما أتهم أنه على علاقة حب بأخته أو ابنته. وكلام الشاعر الموجه للملك والذى كان يتغنى به أيضاً موحى جداً. فهناك كلمات توحى أنه فعلا كان يحبها وربما صدته تلك الأميرة: «لقد أحترقت وانتهيت من زمن». وهو فى الوقت نفسه محاور ماهر يريد أن يثنى الملك عن اعتقاده بقوله أن الملك قد سئم منه ويريد أن يختلق أعذارا أخرى كى يتخلص منه أو يطرده ليرد عليه الملك: «لا لم أسأم منك يا ساياط نوڤا». وفى هذه القصيدة كلمات شهيرة جدا نقشت بعد موت الشاعر على قبره يؤكد فيها ساياط نوڤا قدرته وعبقريته كشاعر، وأنه شامخ وعميق فى شعره، وأن قوته فى شعره، أما الملك فسيطرته على الشاعر وليس على شعره. والشاعر كإنسان يمكن الإستغناء عنه ولكن يبقى شعره.

الملك يمكن أن يطرده من بلاطه ليهيم الشاعر من بلد إلى بلد ويلقى حتفه غريبا وينساه الناس، ولكن شعره سيبقى. الملك لا يستطيع أن يفهم كل أسرار شعر ساياط نوڤا، ولكن يستطيع أن يفعل ما يشاء بالشاعر نفسه. والبيت «ليس كل أحد بقادر» يؤكد ذلك. فبعد السطرين الأول والثانى اللذين يشيران إلى الشعر، يشير السطر الثالث بإبهام إلى الشعْر والشاعر معا. والذى يمكن للملك أن يقضى عليه هو الشاعر وليس الشعر. وهكذا يمكن للملك أن يخرب أساس الشاعر حتى لو كان من الحجر والجص.

قصيدة تتبع تقاليد وتستخدم أساليب الشعر «الأشوغى»، ولكنها تبدو حديثة جدا بسبب موضوعها، وهو شعور الشاعر بالسأم من كل شئ. وهذا السأم يشمل أيضاً سأم الشاعر من المواضيع المعتادة والتى كان يكررها ناظموا هذا النوع من الشعر الغنائى. فيؤكد أنه سئم الجراح وسئم أغانيه أيضا. والقصيدة شديدة الخصوصية، فالشاعر هو الإنسان الذى لا يحنى رأسه، هذه هى القيمة الكبرى، قيمة عزة النفس والإعتزاز بالنفس.

وينهى الشاعر قصيدته بإعلانه أنه سئم حتى «قطف الزهور» ، وهى هواية أو نشاط تدل على حب الجمال والإستمتاع بالطبيعة والذوق المرهف، وراحة البال أيضا، ولكن هناك معنى آخر خفى. فلمن تقطف الزهور؟ للحبيبة. أى أن الشاعر قد سئم حتى من الحب بسبب الهجوم الشديد الذى تعرض له لا لشئ بل أنه فقط أحب.

والقصيدة مكتوبة فى ١٧٥٩ ، عام طرده من البلاط، فهل هى آخر قصيدة ألفها، لأنه فعلا سئم الأغانى، سئم فنه الذى به أصبح ساياط نوفا؟

باغداسار تبير

«شاعر يبحث عن الصديق ليسمو به، ويحث الوطن أن ينهض»

باغداسار تبير (١٦٨٣ - ١٧٦٨)

ولد فى مدينة جيساريا (قيصرية) . ثم هاجرت العائلة إلى اسطمبول .

ذاع صيته كمحقق للنصوص القديمة وناشر واشتهر كشاعر وملحن وهو لا يزال شابا .

ضمن المؤلفات القديمة الكثيرة التي حققها بمقارنة المخطوطات المختلفة وكتب المقدمات لها «كتاب المآسى» لكريكور ناريجاتسى وسلسلة «الهايرينات» نسبت لاحقا إلى ناهابيد كوتشاج .

كان أول ناظر لكلية أسسها البطريرك هاجوب ناليان في الأربعينات من القرن الثامن عشر فى اسطمبول . وكان يدرس فيها التاريخ والفلسفة والموسيقى . وكان عالم لغة وألف كتبا عن القواعد اللغوية بـ«الكراپار» و«الأشخاراپار» .

وديوان باغداسار تبير للقصائد الغنائية طبع سبع مرات ببعض التغييرات والإضافات، ويحتوى على ١٧١ قصيدة، دينية ودنيوية، لحن جزءا منها هو شخصيا . وبفضل معرفته المتعمقة بمختلف الأشكال الشعرية، يمزج فى قصائده بين الشعر الشعبي الغنائى، والمعروف باسم الـ«أشوغية» ، والذى وصل الى قمته التعبيرية على يد ساياط نوفا، وبين الشعر الكلاسيكى الرصين .

وباغداسار تبير عالم لغوى أيضا، فقد قام بتنقية «الكراپار» من الشوائب اللاتينية التى علقت بها ، وألف بها الكثير من قصائده الدينية . وهو من أوائل من قاموا بتهذيب وتقنين اللغة العامية وجعلها اللغة المكتوبة الحديثة، «الاشخاراپار»، وألف بها قصائده العاطفية خاصة .

قومى من نومك الملكى

من نومك الملكىّ
قومى يَا ذاتَ الدلال قومى
فقد بَزَغَ شعاعُ الشمس
قومى يا ذاتَ الدلال قومى

هيئتك جميلةٌ وجهك مستديرٌ
مثلُ القمر فى التمامْ
أنت بلا شبيه فى أى مكان
قومَى يا ذاتَ الدلال قومى

بجمالك الذى تتحلين به
تجعلين العالم عبداً لك
حتى لا تلفحك الشمس
قومى يا ذات الدلال قومى

بالقلبِ الغائب أنَّى لى أن أنوح
أيتها الوَردة الحمراءُ التى لا تعرفُ الذبول
أنظرى، كم أنا بائسٌ
قومى يا ذات الدلال قومى

ها هو القيظ وها هى الريح السَّموم
أقبلا يَوَدَّان إحراق جمال أوراقك
ويَقذفانك فى سواد الليل
قومى يا ذات الدلال قومى

تلك التى أشبِّبُ بها لا مثيل لها
ومن بين الأحجار الكريمة تنفرد بجمالها
فى عام ألف وسبعمائة وثمانية
قومى يا ذات الدلال قومى .

عذاباتى و ضجرى من هؤلاء

كم سئمتُ هذه الحياةَ الزائفة
و أنصاف المحبينَ والخائنينَ
هؤلاء الأصدقاء الذين لا أثقُ فى مودتهم
وهؤلاَء الاصحابَ
الذين يأتى ودهم من اللسان
لقد تكدرْت وضجرتْ حقاً نفسى .

كم هو جليل أن تجد محبا وفيا
كم هو جديرا بالثناء ، كم وددتُ
منذ زمن بعيد أن يكون لى
مثلُ هذا الصديق لتطيبَ نفسى .

سأل سائلٌ الإسكندر الأكبر
الذى قهر العالم « إين هى كنوزُكَ؟ »
وأشارَ إلى كل الذين كانوا يحومون حوله
فهمت ومن ردِّه سُرَّتْ نَفْسِى .

أىُّ عظمة تعدلُ أن يحصلَ الإنسانُ
على صديق يتَحد فيه الجسدُ والروح؟
أن يجد شخصى البائس رفيقا كهذا
عندئذ أقول لقد سمت نفسى .

قومى من نومك الملكى

هذه القصيدة قد تبدو عاطفية، وهى بالفعل منشورة ضمن القصائد العاطفية. ولكن كلمة «الملكى» تفتح لنا إمكانية قراءة أخرى. فـ «ذات الدلال» ليست فتاة، بل هى الوطن الذى فقد حريته واستقلاله منذ عدة قرون. ويرى الشاعر أن هناك اخطارا تهدد بمحو الوطن بصفة نهائية: «ها هو القيظ وها هى الريح السموم أقبلا يودان إحراق جمال أوراقك». وهو يريد أن يسجل فى التاريخ نداءه إلى الوطن كى ينهض، ولذلك يضم تاريخ كتابة القصيدة فى آخرها. والتاريخ ليس مكتوبا بالأرقام، بل إن الشاعر يلجأ إلى النظام القديم ويدونها بالحروف، حيث كل حرف من حروف الأبجدية الأرمنية ترمز لرقم، ويجمع الحروف فى كلمة ليس لها أى معنى آخر. وهذه القصيدة هى إحدى قصيدتين فى شعر باغداسار تبير اللتين تتضمنان تاريخ كتابتهما، وهذه الحقيقة لها دلالتها طبعا.

عذاباتى و ضجرى من هؤلاء

قيمة الصداقة الحقة. تقدمها القصيدة بطريقة تصاعدية.

ففى البيت الأول يعبر الشاعر عن ضجره من الصداقة الزائفة المنافقة. أما فى البيت الثانى فهو يفصح عن توقه الشديد إلى الصديق الحق. فى البيت الثالث يعطى لنا مثلا من التاريخ، حيث أن اسكندر الأكبر، قاهر العالم، يؤكد أن كنوزه الحقيقية هم أصدقاؤه الذين لا يبارحون جواره. وفى البيت الأخير يعلن الشاعر أن لا شئ آخر فى الحياة يرتقى إلى مرتبة الصداقة. وهو يشبه علو الصداقة عن أى شئ أخر فى الدنيا، بعلو الروح على الجسد. وبذلك يكون قد وضح أيضا كنه الصداقة المرجوة وهى ترتكز على القيم الروحية وليس على مجرد الصفات المادية.

والشاعر إنسان يبغى الكمال، ولذلك نجده يضجر من أنصاف المحبين فى البيت الأول، وهو يعترف أن شاغله الأكبر منذ سنين طويلة هو إيجاد الصديق الحق فى البيت الثانى، وفى البيت الثالث نجد الشاعر يؤكد أن حتى الإنسان الكامل (اسكندر الأكبر فى نظره) يحتاج إلى الأصدقاء ويعتبرهم أكثر قيمة من البلاد التى أكتنزها أو فتحها، وتأتى ذروة الفكرة فى البيت الأخير حيث يؤكد الشاعر أن الإنسان (وهو يصفه بالبؤس ويشير إلى نفسه) لا يسمو إلا بصديق يشاركه القيم النفسية العليا.

ناغاش هوفناطان

« شاعر التفاصيل الجميلة »

ناغـاش هـوڤنــاطـان (١٦٦١ - ١٧٢٢)

ولد فى قرية «شوروط» فى «ناخيتشيڤان».

نستقى المعلومات عن حياته من «ڤوغپ» كتبها ابنه ناغاش هاجوب بمناسبة موته. عاش فترة فى «تفليس»، وحسب المصادر الچورچية كان المغنى والرسام الملكى فى بلاط الملك ڤاغطانك السادس، ألف فيها على سبيل المثال أغنية عن جميلات چورچيات. عاش أيضاً وألف فى مدينة «يـريڤان».

هو مؤسس الشعر «الأشوغى» فى القرن السابع عشر. وهو شاعر وملحن ومغنى وعازف. وكان أيضا فنانا تشكيليا ورسام منمنمات.

وقد تأثر ناغاش هوڤناطان بالأساليب الشعبية، وله قصائد فى الحب والربيع والفرح، وقصائد هزلية وتأملية. أما الربيع فهو يأتى بالخيرات والحياة وأيضا بالحب الذى هو معنى ومتعة الحياة.

يكتب بلغة عامية موسيقية جميلة.

أغنيـــة للربيـــع والفـــرح

عندما يحل الربيع وتسطع الشمس
تهب الرياح الجنوبية وتذوب الثلوج
تخضر الدنيا، وتزهر الأشجار.
لنحتس النبيذ يا أصدقائى
ولِنَكِلْ أمرَنَا إلى الله.

تحت الشجرة المزهرة ينعقد مجلس الصحاب
يحملون فى أيديهم كؤوس النبيذ الأحمر الرائق
وتسقط الزهرة البيضاء فوق الكأس.
لنحتس النبيذ يا أصدقائى
ولنكل أَمرنا إلى الله.

أنت لا تعرف ماذا سيلد الغد
إن حياة الانسان تشبه الزهرة البرية
تتفتح اليوم وتذبل غدا.
لنحتس النبيذ يا أصدقائى
ولِنَكِلْ أَمرنا إلى الله.

ها هو ربيع جديد يقبل، شمس جديدة مزهرة مجللة بالنعم

وسوف نرى كيف سيتفتح البنفسج والورد
ويصغى الناس لغناء البلبل وهديل الحمام .
لنحتسِ النبيذ يا أصدقائى
ولنكِل أمرنا إلى الله .

خذوا النبيذ الأحمر واسكبوه من القنينة
أحْضِروا ذبيحةَ الضأن المشوية فوق الآنية الفضية
وحولَها الأرز الشهى المَتبل باللوز والقرنفل .
لنحتسِ النبيذ يا أصدقائى
ولنكِل أمرنا إلى الله .

فلنجلس على الأرض الخضراء وسط العشب ومن حولنا الماء
ولنحتسِ معا النبيذ الأحمر
ولنتبادل الزهور والورد الشذىّ .
لنحتس النبيذ يا أصدقائى
ولنكل أمرنا إلى الله .

حلال أن نشرب فى هدوء وسلام
دون عربدةٍ أو شجار أو غضب
نشرب باعتدال ولطف كى نبتهج فى حب .
لنحتس النبيذ يا أصدقائى
ولنكِل أمرنا إلى الله .

إجلس «يا ناغاش هوڤنطان»
إيك واستغفر لذنوبك
إن الدنيا فانيةٌ لا تدوم لأحد .
كلوا واشربوا أيها الصحب الكرام
واطلبوا البركة من الله الآن وإلى الأبد .

أغنية مناسبة للمآدب .

عن الاستمتاع بالحياة وبخيراتها من مشرب ومأكل فى أجمل الفصول مع صحبة خيرة وأذهان صافية دون تفريط ودون تفكير فى الغد بل الاتكال التام على الله .

وهذا الاستمتاع الهادئ المتوازن يجعل الانسان فنانا ، يجعله قادرا على تذوق الجمال الذى يحيط به ، والذى قد يتراءى فى التفاصيل الصغيرة ، مثل الزهرة البيضاء التى تسقط فوق الكأس الملئ بالنبيذ الأحمر ، والذى ينتهى كل بيت من أبيات هذه القصيدة بالدعوة إلى احتسائه .

ونهاية القصيدة تبين الصراع بين رغبة الإنسان فى الاستمتاع بهذه الحياة وخوفه من أن ذنوبه ستوقع به العقاب فى الحياة الآخرة . ولذلك يبعد الشاعر نفسه عن الصحبة ، ولكنه يطلب منهم فى نفس الوقت أن يواصلوا الشرب والأكل وأن يطلبوا من الله أن يباركهم ، أى يواصل توفير خيرات الدنيا لهم .

نرسيس موجاتسي

«شاعر أنزل الشعر من السماء للأرض»

نرسيس موجاتسى (١٥٧٥ ؟ - ١٦٢٥)

ولد فى قرية «هاسجنتشاف» فى اقليم «موجك» فى أرمينيا التاريخية .

كان راهبا قام بعمل تعليمى تنويرى فى أديرة عدة - دير «امرتولو» فى «باغيش» ودير الصحراء الكبرى لمقاطعة «سيونيك» ودير جزيرة «ليم» في بحيرة «ڤان»، حيث كان هو مؤسسها وتوفى فيها أيضاً .

كان أعظم ممثلى الفكر الفلسفى فى زمانه .

كتب قصائد ذات مضامين دينية ووطنية وتنويرية . فى قصيدة «كنت طفلا متمرسا فى الفكر» ينتقد الأمراض الاجتماعية مثل الولع باكتناز المال والرشوة واستغلال القوى للضعيف، والكثير من نقده ينصب خاصة على رجال الدين، فقد كان غرضه تأسيس اديرة تتحلى بالطهر .

وقد نظم الشعر بعديد من الأشكال : «نربوغ (أضاف إليه موضوعات جديدة، مثل حب الوطن والعلم)، «ڤوغب»، «داغ»، «كانتس» (أضاف إليه أعمال الوطنيين من أبناء الشعب)، محاورة (قام بتطويرها بصياغة مادة شعبية هى الجدل بين السماء والأرض صياغة فنية) .

يكتب بـ«الكرابار»، ولكن أسلوبه سهل ومفهوم، حتى أنه فى بعض الأحيان يقترب من مستوى اللغة العامية، كما فى قصيدته الرمزية «جدل بين السماء والأرض» .

جدل بين السماء والأرض

السماءُ أم الأرضُ يا أصدقائى
أيهما أعظمُ من الأخرى
لو قلت : السماءُ مرتفعةٌ
لرأيت أن فاكهة الأرضِ أكثر.

قالت السماءُ للأرض :
إن لى ميزةً عليك
فكلُ النجوم الساطعة الباهرة
تبزغُ من أضْلُعِى.

قالت الأرضُ للسماء :
مننُ الله بلا عدد
إَن زهوراً بستة آلاف لونِ
تنبتُ كُلها فى ترابى.

قالت السماءُ للأرض
إن لى ميزةً عليك
تخيلى : لو أننى منعت عنكِ الندى
فبم تتزينُ زهورِك؟

قالت الأرضُ للسماء
منَن الله بلا عدد
أَنت إنماَ تأخذين الندَّى من البحرِ
وينَبوع البحر عندى
لو سحبتُ ينبوعى لدىً
قولى : من أين يأتِى نَدَاك؟

قالت السماءُ للأرض
إن لى ميزةً عليك
لو صحا جوِّى وَسلطتُ لفحةَ الشمسِ فوقك
فإن كل زهوركِ سوف تذبلُ .

قالت الأرضُ للسماء
منَنُ الله بلا عدد
سَتخرجُ المياه من أغوارِى
كى تتزينَ أزهارى .

قالت السماءُ للأرض
إن لى ميزة عليك
أقدر أن أرسل كرَات الثلج
فتحجبَ كلَّ زهوركِ .

قالت الأرضُ للسماء
مِنَنُ اللهِ بلا عدد

كم عندى من وديان وغدران
ستبتلع كراتِ ثلجكِ

وسوف يتحول الثلجُ إلى سيول
تفيض به بحارى
ثم يصير سحابا جديدا
تكتمل به كل أزهارى.

قالت السماءُ للأرض
إن لى ميزة عليك
ما من فتى شجاع
إلا وابتلعه ترابك.

قالت الأرضُ للسماء
منَنُ الله بلا عدد
عَندما يَستردُ اللهُ
هبةَ الروحِ منه

فلو لم أطو الجسد فى ترابى
فسوف يملأ عفنهُ الَدنيا
حتى إن الملائكة سوف تهرب
وترتجُ الأرضُ والسماء.

قالت السماءُ للأرض :
إن لى ميزة عليك
كلُ الملائكة فى درجاتِها التسع
تبزغُ من أضَلعى .

قالت الأرضُ للسماء :
منَنُ الله بلا عدد
كَلُ الأنبَياء والرسل والقديسين
يولدون من جنباتى

قالت السماءُ للأرض :
إن لى ميزة عليك
أنا سماواتٌ سبع
فى أدناها الشمس والقمر

إن الشمس والقمر والنجوم
كلها تبزغُ من بين أضلعى
والله الخالقُ العظيم
يجلس على عرشِه فوقى .

قالت الأرضُ للسماء :
منَنُ الله بلا عدد
كَل سماَوتك السبع سوف تهوى
وستظلمُ الشمسُ والقمرُ والنجوم

ويوم الحساب فإن الخالقَ العظيمَ
سينزل بعرشه إلى الأرض
لأن يومَ الحسَاب
سيكون فى الأرض.

تدلتْ السماءُ،
ولامست برأسها الأرضَ :
لا تدعى شكواى تثقلُ قلبكِ
لقد شكوت لك مرةً أو اثنتينَ.

أنت أساس الكنيسة
أنتَ قبر الراهب القديس
أنت بخورٌ يملأ المبخرة
وعليكِ يستقر القانون.

يا جميع الأبناء، تعجبوا
فالأمر عجيبٌ حقا
تواضعوا أنتم يا أبنائى
وضعوا هاماتكم على الأرض.

هل هناك ما هو أسمى من السماء؟
إنها تمسح الأرض بجبينها.
الأرض التى نمشى فوقها اليوم
ندخل ترابها غداً.

جدل بين السماء والأرض

العلاقة المتبادلة بين الروح والجسد، بين السماء والأرض، شغلت الإنسان من قديم الزمان وطغت على التفكير العام في القرون الوسطى. وفي قصيدة «نرسيس موجاتسي» يتطور الجدل حجة مقابل حجة، مارا بثلاثة مراحل تتدرج إلى أعلى. الأولى هي الطبيعة ومظاهرها من زهور وندى، شمس ومطر، بحور وسحب، إلخ، ومحور هذه المرحلة هي الزهور، أجمل وأكمل ما في الطبيعة، فتحاول السماء أن تبرهن بحججها على أن الزهور لا تستطيع أن تحيا بدونها، أما الأرض فهي تثبت بحجج مضادة أنها - أي الأرض - قادرة على إحباط كل محاولات السماء بإلحاق الأذى بالزهور. المرحلة الثانية هي الإنسان، وكيف أن الأرض الطيبة تحتضن الإنسان في ترابها بعد مماته لتمنع انتشار رائحة العفن الكريهة والتي لا تستطيع أن تتحملها حتى الملائكة. فهو أقسى من يوم الحساب. أما المرحلة الثالثة فهي مبنية على الإيمان بالملائكة ويوم الحساب ومن يبشرون بها من رسل وقديسين، وقمة هذه المرحلة هي الله الخالق. وتنتصر الأرض في كل مراحل الجدل وتعترف السماء بانتصار الأرض.

بجرأة كبيرة ينصر الشاعر الأرض على السماء، ينصر المادية التي تحتوي على قيم روحية على المثالية البحتة. وقصيدة «جدل بين السماء والأرض» تدل على نزعة لعلمنة الشعر.

ناهابيد كوتشاج

«الشعب الشاعر»

ناهـــابيد كوتشـــاج (؟ - ١٥٩٣)

فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر نسبت «الهايرينات» خطأ إلى شاعر أسمه ناهابيد كوتشاج، ولد فى قرية «خاراجونيس» إحدى قرى بحيرة «ڤان» فى أرمينيا التاريخية.

ومجموعات «الهايرينات» التى أكتشفها الباحثون فى المخطوطات القديمة لا تحمل إسم مؤلفها أو مؤلفيها. وهناك نظرية أن «الهايرينات» هى إبداعات شعبية انتقلت شفهيا عبر الأجيال والعصور، وقام أناس موهوبون بصياغتها فنيا وتدوينها ولم يوقعوا باسمائهم على اعتبار أنهم ليسوا مؤلفى تلك «الهايرينات».

ولكن القارئ لا يسعه إلا أن يحس بأن وراء تلك «الهايرينات» شخصا مبدعا واحدا مختلفا عن كل الشعراء الآخرين. ولهذا فإن القارئ يحبذ أن يسمى ذلك الشخص بإسم ما، وليكن الإسم الذى اقترن بـ«الهايرينات» فى البداية، أى ناهابيد كوتشاج.

وهذا الشاعر الأسطورى هو ممثل الشعر الدنيوى، فلأول مرة يتحرر الحب من كل الموانع وخاصة الدينية منها، ويفصح عن نفسه بصراحة ومباشرة، وهو حب يشمل الحس والعاطفة والعقل. ونجد فى شعر كوتشاج تمجيد سافر للحب، وهناك قصائد سردية ووصفية تتميز بصراحتها دون أن تقع فى الفجاجة.

غزليـــات

حين جاء الحب إلى هذا العالم، حل فى قلبى
ثم غادر قلبى وأنطلق يرحل من بلد إلى بلد
صعد إلى رأسى أقام فى تلافيف عقلى
وحين طلب من عينى الدَّمعَ سكبت له الدماء.

* * *

هبطتُ من ذلك الجبل منادياً
« أين هو الأخضر؟ »
فأجابنى أحدهم
«الجبل أخضر والوادى أخضر
فالذى يحب يصبح حتى عرق قلبه أخضر
أما الذى لا يعرف الحب
فله قلب أسود ووجه أخضر».

* * *

من أين أيتها الغريبةُ أقبلتِ وأحببتنى
حين اندلعت نار فى ردنكَ
سكبتها فى حضنى
صهرت ذهب حبك فى بوتقة قلبى
صيرته قرطاً وعلقته فى أذن قلبى.

— يا عقد اللؤلؤ ، امنحيني قبلة كيلا أموت
— سأمنحك ألف قبلة أيها الأسمر الخشن الشعر الجسور
شرط أن لا تتباهى
حين تسكر في مجلسك فلا تحسن القول
تتفاخر بالقبلة التي تأخذُها دون أن تعرف الحياء .

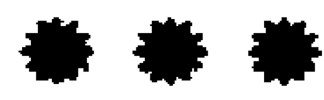
* * *

العالمُ كلُّه يعرفُ أنني أحبكِ منذ صباي
لقد أمسكت بأذنِ قلبكِ
وبيدي عَلَّقتُ القُرَط
يسري حبكُ في نخاعِ عظامي
فحبك هو لبنُ أمي
لا سبيلَ إلى فصله عني
عبثاً تشغلين بالك .

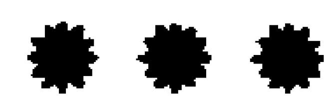
* * *

تومئين لي حين تخرجين من بيتك
لكي أقع في هواكِ
ما عسى يفعلُ حُبي وحده بدونِ رفقةِ حبكِ
الحبُ المتبادلُ بين اثنين
يكونُ أشهى من اللوزِ والسكرِ
أما الحبُّ من طرف واحد
فهو أقسى من يومِ الحساب .

كم يعذبني القلقُ الشديدُ ويُخيفُني
ها أنذا عاشقٌ في أولِ حبه الفتيْ
أخشى أن ينزعوا مني شمس حياتي
إذا نزعوا الشمسَ مني
فلينزعوا إذن الحبَّ من العالم
وإذا ما نَزَعُوا الحبَ من العالم
فلينزعوا إذن عينِي من وجهي .



عيني تلوم قلبي
«أنت تحبُّ وهمُ يفترون عليَّ بألفَ شر»
قلبي يقول لعيني
«فلتفقدي بصركِ إذا كنتِ كاذبةً
الذي لا يعجبُ العينَ
لا يقدرُ أن يخدعني
ولو كان له ألفُ لسان» .



من حكَمَه الحبُ ولا يجدُ دواءً لعذابه
فَليحفرْ لنفسِه قبراً يواريه حيًا
لكن ليتركْ فُرْجَة
في القبر ناحية القلب
كي يصعدَ منها اللهبُ الأرجوانيُّ
ليقول من يعبرُ به :
«إذ حكَمكَ الحب أحترق قَلْبُك» .

أبصرتُ غادةً حسناءَ تتهادى
فهتفت «آه ياللوجه الوردى».
فاستدارت وقالت
«نعم أنا حسناء. هل تقدر على مواجهة جمالى؟
منحنى اللهُ وجهاً جميلاً ولك عينان
قف تأمل
منحنى اللهُ الجمالَ وأعطاكَ ناراً
تحرقُ بها نَفْسَكَ».

* * *

يا قمرى المحلقَ فى الأعالى
إلى أين ترحلُ فى هذا الليل العميق؟
أنتَ تُشْرِفُ على آلاف الأسطح
حيث ترقدُ الجميلاتُ نائماتٍ
ينحسر القميص عن الصدر البَض وقد فُكت الأزرار
وأنت تتحسس بنوركَ نهديها
لقد ارتد شعاعك للسماء فأطفأ النجوم.

* * *

لو أننى شربتُ خمر لونك
شربتُ وسكرت
لو أننى دخلت فردوسَ حضنك
دخلتُ وقطفتُ تفاحَ الصدر
لو أننى استلقيتُ بين النهدين ونمتُ
لما بخلت بروحى لو طلبها ملكُ الموت.

أنا صبيٌّ وأنتِ صبيةٌ
إذن حانَ وقتُ الحب
خصرك كالقوس
كلما جَذَبْتُه لان لى
نهدُك مثلُ العنقود يترجرجُ فوق صَدرِك
كالصبَاحِ حضنك كلما فَتَحْتُهُ أضاءَ .

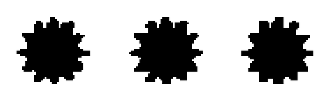
* * *

يا شمَّامتى الصغيرة
كيف أستولى على حضْنِكَ
كالبحر الزاخر حضنُكِ
والبحرُ يداوى الحمى
لو أننى بطٌّ بحرىٌّ صغيرٌ
أدخلُ حِضنكِ وأسبحُ فى بحره
ثم اقفز خارجاً
وفى ظلالِ حاجبيكِ أغفُو .

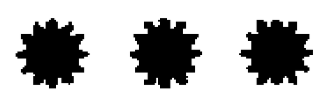
* * *

ها أنا أردد بلا كلل
اغزلوا ثوب حبيبى بخيوط من ضياء
أجعلوا سداه الشمس ولحمته القمر
خذوا فتائل القطن من السحاب الداكن
خذوا الخيوط من البحر
واجعلوا النجوم أزرارا
أما أنا فاجعلونى مصفوفاً داخل العرَى .

تشردت إثنى عشر شهرا فى السنة
حتى تعفن التفاحُ فى جرابى
طوَّفتُ بكل القرى والمدنَ
ما دلنى على دواء لدائى أحد
فجأة نادتنى بنتٌ من شرفتها العالية : «تعال إَلىَّ
آخذكَ ترقد فى حضنى
كى لا تذهب تموت فى الغربة» .



ما من ثمرة فى البر أو البحر
لها مثل هذا المذاق الحلو
للقبلة التى منحتنيها
من فمك برغبة من قلبكْ
كالثمرة التى خُدِع وأكلَها آدم
ليخرج من الجنة
أما أنا فخرجتُ بالشوق إلى حضنك .



يا إلهى لا تلق بعبدكَ الذى خلقته
فى يدِ الحب
فإن ألقيته فاحْفَظه
من ألسنةِ الناس
لقد خبَله العشق
حتى ليستحق أن يقيد
كم هو مكروه من يعزل العاشق .

أقول: ليت من اقتنص حبيبته وهرب بها
كعابر فوق جسر
طغت المياه وأطاحت به
انهمر الجليد ومحا آثار الاقدام
ليأخذها ويدخل بها البستان
ويقبل فمها فى رائعة النهار .

حين جاء الحب
الحب يبدأ رحلته فى العالم من قلب الشاعر. فهو الأقدر على الإحساس بالحب والتعبير عنه فى قصائده. ولكن الشاعر يتألم أيضا أكثر به ويقع تماما تحت سيطرته.

يا عقد اللؤلؤ، امنحينى قبلة
كلام واقعى من فتاة لا يستطيع الكلام المعسول أن يخدعها. هل يرغب الشاعر أن يقبلها حبا فيها فقط، أم ليتباهى بانتصاره أمام مجلس أصحابه؟

كم يعذبنى القلق الشديد
الشعور الحقيقى لإنسان يحب. فلو فقد حبيبته فقدت كلمة الحب معناها، بل لا يبقى فى العالم أى شىء يستحق الرؤية إذا رحل عنه الحب.

أبصرت غادة حسناء تتهادى
تأمل جسارة الحسناء، والقصيدة تصوير لنفسية الفتاة الجميلة، حيث يسعدها أن يقع الرجال فى حبها ويحترقون بالشوق إليها.

لو شربت خمر لونك
استمتاع تصاعدى بالحب الجسدى ينتهى بنشوة كبرى يتمنى الشاعر فى لحظتها أن يفارق الحياة.

ها أنا أردد بلا كلل
الشاعر يلجأ إلى صور مجازية مبالغ فيها كى يصف ثوب فتاته كيف يكون. ولكن الذى يهمه حقاً أن يكون هو تحت ذلك الثوب.

تشردت أثنى عشر شهرا فى السنة
جرأة الفتاة جديرة بالإهتمام، فهى تفهم حال ونفسية الشاعر وشوقه إلى الحب دون أن يكون قد نطق بأى كلمة لها بل دون أن يكون قد رآها وتدعوه إلى حضنها. أبطال وبطلات الشاعر يقبلون على الحب والشهوة اللذين لا ينفصلان.

أقول «ليت من اقتنص حبيبته»

الجميل فى الحب أن تنفرد بالحبيبة دون أن يستطيع العالم أن يجدك أو يلحقك.

ما من ثمرة فى البر أو البحر

القبلة لا تكفى. فإذا خرج آدم من الجنة فهو قد استمتع بها ويريد الرجوع إليها، أما الشاعر فيريد أن يكمل القبلة بلقاء الجسدين.

هبطت من ذلك الجبل مناديا

غريب أمر هذا الرجل الذى ينزل من الجبل وهو يبحث عن الاخضر والأخضر حواليه. ولكنه لا يحب ولذلك لا يستطيع أن يرى خضرة الجبل وخضرة الوادى. أما الحب فسوف يخضر حتى قلبه. والإنسان الذى لا يحب ليس إلا جثة اخضر وجهه قبل أن يتعفن.

كريكوريس اغطارمارتسى

« شاعر يرق للعمل الخلاق »

كريكوريس أغطامارتسى (القرن السادس عشر)

شاعر وناسخ ورسام منمنمات. لا نعرف عن حياته إلا القليل، نستقى معظمه من قصائده. كـان ينحـدر من عـائلة أردزرونى الملكيـة، وكـان وريث الصـولجـان الكاثوليكوسى. أصـبح كاثوليكوسا فى عام ١٥١٢ مقره جزيرة «أغطامار» فى بحيرة «ڤان» فى أرمينيا التاريخية. ولكن يبـدو أن وطأة المحتل وأحوال البـلاد المضطربة أو جريمة التصقت به حقـا أو زورا ولا يبوح بهـا للقارى قد أضطرته أن يرحل من مكان لمكان، فهناك الكثير من المخطوطات نسخها الشاعر أو أضاف المنمنمات إليها فى أديرة مختلفة. آخر معلومة عن حياته أنه كان لا يزال كاثوليكوسا فى عام ١٥٤٤.

ألف قصائد دينية - «كانتس» - بلغة «الكرابار»، أما قصائده الدنيوية (عن الربيع، والوردة والبلبل، وفلسفة الحياة، وفى شكل رسائل موجهة إلى أحباء له) فهى باللغة العامية، تجد فيها أحيانا الكثير من الفاظ أجنبية، خاصة الفارسية.

أسلوبه البسيط شكلا يكمن فيه الإبهام أحياناً. فهل ذلك الإبهام مقصود أم غير مقصود؟

من الكاثوليكوس كريكوريس

ها أنا أتقدمُ بعتاب المحبِّ إليكَ
ليتكَ تلتفتُ إليَّ وتعيرُني سَمْعَكَ
ليتكَ لا تهملْ أمرَ خَادمكَ
كي أكشفَ لكَ سرَّ قلبي.

تهْديني مثلَ المعَلّم
تقودني أنا الأحمق إلى الحكمةِ
تجمعُ شتَاتي أنا المبددُ
تضمني إلِي جنابك.

لو أبْعَدْتَني عنكَ
ونسيتني، نسيتَ عبدك
أشحتَ بوجهكَ عنِّي
فلماذا إذن أبقى حيًّا؟

أحترقُ أنا عطشاً
في الليل حتى الصباح
أخشى أن أموتَ
بعيداً عنك وعن الأنظار .

أجرى متدفقاً كالماء
لا أتوقف فى مكان
تائهٌ كالغريب
آه لو تعرف، حياتى صارت حراماً.

أنت فخر الإخوة
تواسى الجميع
فلماذا أهملتنى
لأُعَذَّبَ على الدوام؟

مريرةٌ حياتى وصعبة
أنتحبُ بلاَ توقف
تطعننى الذنوب
مصابُ بعللٍ لا تَرْحم.

جَرحنى بالسيف البتار
وشهَّر بى ظالم لا قلب له
أتأمل فى وصمتى
وقد اعتَلَّتْ روحى.

أتوسلُ إليكم يا أصدقائى
أن تطلبوا لى المغفرة
فإن ذنوبى كثيرةٌ
ولا أعرفُ مصيرى.

أغنيــة لربيــع أغطــامار

ها هو الربيعُ قد فتَّحَ الأزهارَ فى البستان
هذا الفصلُ العَذْبُ يدفعُ البلابلَ والحمائمَ
إلى التَّغَنى بالحب فوق الشجيرة الحمراء
وهى ترتَدى الأوراقَ الحمراءَ والخضراء .
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمْسِ فى الصباح
وبالأحلَامِ فى الليل .

أيتها الشمسُ أيها القمرُ يا نجمَ الصباح
أيتها الشمسُ الساطعةُ المكتملةُ الضياء
أنت ياقوتةٌ جوهرةٌ ثمينة
زهرةٌ أرجوانيةٌ مكسوةٌ بالبنفسج .
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمَس فى الصباح
وبالأحلام فى الليل .

أيها اللَّوزُ ويا زهرَ السوسن
أنت بحيرة خضراء وسط السوق
لا مدينة خوطان ولا بلاد الصين
بل حتى ولا خراسان تساوى رؤيتك .
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمَس فى الصباح
وبالأحلام فى الليل .

أصابعُ الشَّمْع، رائحةُ البلساميته
أنت لوزٌ وسكرٌ ، علبةُ البَخُور العَطِر
تفاحةٌ حمراءُ أنت بين الأوراق
بستانٌ فاكهة مزهر وندىً في الشمس .
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

أنت لؤلؤةٌ نقية لا تقدر بثمن
صينية ذهبية مرصعة بالجواهر
زهرةُ النيلوفر، لون الريحان
مرسين وبلساميته والسوسن الرقيق أنت .
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

أنت زهرةٌ ملأتْ البستان
زنبلٌ ساطعٌ في الفردوس
كواكبُ زحل ومشترى ونجم الصباح
والزهرة التي تضيء القمرَ وضوءه أنت .
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمس في الصباح
وبالأحلام في الليل .

اللبان المر، بخور من الصبّارة
السكرُ العذب الفاتح للشهية
شجرةُ خضراءُ مثقلة بالثمار
فرع نخلة تكتسى ببراعم الزهور.
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمس فى الصباح
وبالأحلام فى الليل.

ليغمركم الخير من كل مكان
وأنا أظللكم بعلامة الصليب المقدس
لتكن اليدُ اليمنى الأَبوية حاميةً لكم
ولتنجيكم من أخطار الشر.
منتشٍ أنا سكرانُ
بالشمس فى الصباح
وبالأحلام فى الليل.

أغنية عن صاحب الدار
وبستان الكرم الجديدين وعن البكاء

مع مطلعِ نور كلُّ صباحٍ
يقول عزرائيلُ لروحى :
«هيا : تعال أخرج من بستان الكَرْم» .
«كَرْمِى» الذى غَرَسْتُهُ بالأمسِ فقط .

كم حملت من أحجار الجبال
وشوك الوديان
وأقمت حول كَرْمِى الأسوارَ
ثم يقال : «هيا : تعال أخرج من الكرم» .
كيف بالله أخرج من كرْمى؟
ثمة أشواكٌ سامةٌ على الأسوار .

جلبت من الجبال مياهاً
حفرت ينبوعاً فى كَرْمِى
ولم أشرب بعدُ من مائى
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمْ» .

غرستُ فسائلَ الكَرْمِ فى بستانى
كم رويتُ هذه الفسائل
ولم آكل بعد من ثمارها
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمْ» .

صنعت معصرةً فى كَرْمِى
ودفنتُ خابية النبيذَ
ولم أشربَ بعدُ من نبيذى .
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمْ» .

بنيت دَاراً وسطَ الكروم
زينتها بنقوش من ذهب
ولم أتَمَتَّعَ بعدُ بالذى شيدته .
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمْ» .

غرستُ ورداً فى حديقتى
ورداً أحمر وأبيض
ولم أستنشق بعد عطور زهورى
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمْ» .

أتى عزرائيل ليأخذ روحى
إنعقد لسانى من الهول
وأظلمت من كثرة البكاء عيناى
واأسفاه . . للعمر القصير
ثم يقال : «هيا : تعالَ أخرج من الكَرْمْ» .

لقد نزعوا روحى من جسدى
وأخرجونى من كَرْمى
إخراجى من ديارى قتلٌ لى
ديارى التى ما تزالُ جديدةً .

ما تزالُ الفأس خضراء فى كُرومِى
تَفَتَّحت الكرومُ عن براعمها
يبدو العنبُ ألواناً فى كَرْمَى
يقال لى : «هيا: تعالَ أَخرج من الكَرْمْ».

يغردُ البلبلُ فى كَرْمِى
من الفجر إلى الصبَاح.
والندى يسقط على كَرْمى
مع مطلع نورِ كلٍّ صباح.

من الكاثوليكوس كريكوريس

تبدو أنها رسالة إلى معلمه كريكور رابوني (ويعني المعلم) ، فهناك قصيدة أخرى عنوانها «أغنية خلوة» لها بداية مماثلة : «من الألف إلى الياء أشكو منك» تتضمن إسم المعلم. أما فى أول سطر من البيت الثانى من هذه القصيدة فيستخدم الشاعر كلمة مستقاه من رابونى وترجمتها «مثل المعلم». وهناك تعبيرات كثيرة مثل «أنت فخر الإخوة، تواسى الجميع» إلخ تؤكد ذلك. وفى القصيدة إشارة إلى «مشهر ظالم»، فهل تستدل من كلمة «المشهر» أن ادعاءاته (ولا نعرف من القصيدة ما هى) ليست حقيقية؟ فإن كان كذلك، لماذا يكمل الشاعر ويكتب: «أتأمل فى وصمتى وقد اعتلت روحى»؟ وهناك فى القصيدة تعبيرات قد نجدها فى شعر عاطفى يتوجه به المحب إلى الحبيبة، مثل «أكشف لك سر قلبى» و «أحترق أنا عطشا، فى الليل حتى الصباح». فهل يمكن الاستنتاج أن القصيدة موجهة - بطريقة مستترة - إلى إمرأة يحبها الشاعر؟ أو أن الشاعر يوجه كلامه إلى معلمه أن ينقذه من ذلك الحب ويرجع الشاعر الأحمق الى الحكمة؟ ولكن مشاعر الحب الجياشة تجبره أن يستخدم تعبيرات عاطفية؟ وهل الشاعر «لا يتوقف فى أى مكان، تائه كالغريب»، لأنه منبوذ من الناس ومن معلمه؟ أسئلة كثيرة تولدها القصيدة، ولا تعطينا إجابات؛ ولا نستطيع أن نعرف إن كان الشاعر يقصد ذلك أم لا. ولكن الشئ المؤكد أن القصيدة وليدة تجربة حقيقية ومأزق حقيقى لا يجد الشاعر منه مخرجا إلا أن يسجله فى قصيدة.

أغنـية لربيـع أغطـامـار

الشاعر يتحدث عن الإستمتاع بالطبيعة فى الصباح ورؤيتها مرة أخرى متغيرة فى أحلام الليل. الشاعر سكران منتشى بعالم حقيقى أصبح كالحلم تحت تأثير الشمس وبأحلام تثير المشاعر مثل واقع ملموس. وهذا التداخل بين الواقع والحلم يعطى الشاعر الرخصة فى أن يصف جمال الطبيعة في الربيع بواقعية أحيانا وبتشبيهات مجازية أحيانا أخرى. وهذا الإستمتاع بالحياة يباركه الدين، كما يؤكد فى آخر قصيدته الحسية الشاعر الذى هو كبير رجال الدين أيضا.

أغنية عن صاحب الدار وبستان الكرم الجديدين وعن البكاء

لايريد الشاعر أن يموت إلا بعد أن يستمتع بكل ثمار أعماله. ولكنه بعد أن يكمل أعماله ويرى النتيجة، يريد أن يستمتع بها إلى الأبد وألا يموت أبداً. الموت لا يمكن تجنبه طبعاً، ويذكر الشاعر أنهم «نزعوا روحى من جسدى وأخرجونى من كرمى»، ولكنه مع ذلك يستكمل القصيدة كأنه لم يمت ولم يخرج، فالكرم الذى غرسه بيديه أجمل وأقوى من أن يستطيعوا نزعه من روحه. والبيت الأخير تسجيل لاستمرارية الكرم (وهنا أيضا، كما فى باقى القصيدة، يؤكد الشاعر أن الكرم كرمه)، مع عدم معرفتنا إذا كان الشاعر لا زال موجودا فيه أم لا.

هوڤانيس طلجورانتسى

«شاعر تخلص من رداء الرمز»

هوفانيس طلجورانتسى (١٤٤٠ ؟ - ١٥٢٥)

ولد فى مدينة «طلَجوران» القريب من قيليقيا.

فى ١٤٨٩ أصبح كاثوليكوس «سيس» عاصمة قيليقيا.

له قصائد عاطفية مكتوبة باللغة العامية والأساليب الشعبية، يصف فيها قوة الحب الذى يستطيع أن يخرج الراهب من رهبانيته. أما قصائده الدينية فغالبيتها مكتوبة بـ«الكرابار»، وهى إما إقرارات إيمانية أو وصف لخلق العالم. وطلجورانتسى له قصص شعرية عن كريكور ناريجاتسى يقدم فيها معجزاته، وعن قطع رأس يوحنا المعمدان، وعن القائد الأرمنى القيليقى «ليباريد»، إلخ. أما شاغله الرئيسى فى قصائده التأملية فهو الموت. وهو فى قصائده العاطفية لا يحتمى وراء الإدعاء برمزيتها.

لا تقتليني بالحبْ

وردُ الربيعِ أنت، بل أنت بستان
عيناك بحارٌ تهولُ وتُسكِرَ
حضنُك فردوس حديقةَ فاكهة
أنَت الحَكَمُ والخصْم
فاقض بيني وبينك بالعدل.
لا تقتلني بالحب «يا جلاد افندي».
دهاؤك أشدُّ من الصليب
يا تُرى َهل خُلِقْتِ من النار
أم من الترابِ
هل أنت جنيةٌ لها وجهُ إنسية؟
عليلٌ أناَ وسوف أشفى
لو جلستِ إلى يميني
يا ذاتَ العنق الذى يَشعِّ نوراً
ويا من لكِ وجناتٌ كالسنابل
كم أدعو ألا يصيبَك مكروهٌ
تبقين مثل غصنٍ أخضَر.
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندي».

أنَّى لي مقاومةُ الحب
وأولُ الآباءِ آدم
بسببه خرج من جنَةِ عَدْن
كلما تذكرتُ أعمالَ داود
ارتعشتْ كَنَبَتِهِ

سليمانُ فى الحداد وأنا معه أبكى
كيف أحكى قصة «فهراد وشيرين» ؟
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

الحب ينزع الحياء عن وجه الراهب
يخرج القسيس والشماس من رتبتهما
الحب يطيحُ بالعقل من الرأس
يدس به فى الظلام
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

أيتها الصورةُ الحية يا زينة الدنيا
يا يوسفُ الجميلُ الذى لا شبيهَ له
مثل سمكة فى بحر «الحب»
تصطادها السنارة فجأة
بم تنصحين؟ أيتها الوردة التى لا تذبل أبداً .
فما زال واجباً علىَّ أن أثنى عليك .
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

يا عَسلُ يا زُبْدَةَ يا لوزٌ طرىْ
ألفُ شوكةَ تدخلُ عينَ الذَى ينظرُ إليكَ بغَدْرِ
يا قوامَ السرو
يا ذاتَ الذقن البيضاء
حواجبٌ مقوسةٌ
وقوس مشدودة .
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

يا مدينةً جميلة يا قلعةً قويةً منيعة
يا باقة بنفسج يا ورقة وردٍ حمراء
التهمت أكبادَ الكثيرين منّ البشر
كلما امتَدَحْتُك
أزددت قوةً أيتها القلعة .
لا تقتلنى بالحب «يا جَلاد أفندى» .

أتيتُ إليك كفراشة تنجذب إلى النار .
لتحترقَ وتَصبحَ جًمرةً
عندما رأيتك يا شبيهة الشمسِ
رُوِّعتُ وما زَلتُ أرتعدُ .
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

من الذى صوَّركَ وأظهركَ للناسْ
يا حجراً من العقيق الأحمر يا ياقوتة
ملكةٌ أنت وسلطانةٌ
لا تلومينى إذا أحْببتك
يا باقة الزهر .
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى» .

وجهك الشمسُ
جبهتك الزهرة
حنجرتك تفاحةٌ
ثدياك شمامتان

كل ما فى الجنة
هو حاضر بين أحضانك
النشوةُ قريبة منى فلماذا أرحل إلى مصر؟
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى».

قبلة من فمك تساوى مدينة يرزنجا
تساوى مُلْكَ الحبشة واليمن والهند
ضفيرتاك تعدلان الصين وبلاد خوطان
وبلغرَ واسطنبول ويزدان المزدهرة.
لا تقتلنى بالحب «يا جلاد أفندى».

بِمَ تَتَفَوَّه يا طلجورانتسى المخبول
عَقلك لا يزن جناح بعوضة
ينهض من كلماتكَ ألفُ شيطان
لا يتركون للمرء طريقا للخلاص
بحبك هذا يَسْوَدّ ألفُ وَجَه
بِمَ تتفوَّه يا طلجورانتسى المَخبول؟

آه من تذكرك أيها الموت

كلمَّا تذكرتُكَ أيها الموتُ
ارتعدتُ واصابنى الرعب
لا يوجدُ ما هو أَمَرُّ منك
لأنكَ تجمع مرارة كلٍّ الأشياء.

مرارةَ كل شئ.
هل تشبهُ نفسكَ؟
إن جهنم التى هى أشد مرارةً منكَ
تكتسب منكَ مرارتها.

تذكركَ «سليمان»
وتحسَّر قائلا: «واأسفاه»
احتقر الحكمة.
ماذا تُجدى الحكمةُ ؟

هاأنذا أموتُ مثل جاهلٍ مُعدَم
جئتُ إلى هذا العالم بريِّئاً
وأرحل عنه وقد اسودَّ
وجهِى من الذنوب.

قال الملكُ سليمان:
«لا تقل إننى ملكُ
لدىَّ الكثيرُ من المال والكنوزُ
ومليئةٌ خزائنى بالذهَب.

عبثاً تكنز أيها المكدود
لا تدرى لمن تجمعُ مالك
أخذتَ الدنيا بين أحضانكَ
حفرتُ لنفسك جحيماً عميقاً» .

أيها الموتُ هل تحمل ضغينةً لابن آدم
فتصبَ عليه لعنتك
أم أنك عقابُ ذنوبه؟
وثمرةُ أنتَ للعدم؟

لا تبالى بالنبىِّ موسى
ولا تخجل حتى من داود
تقبضَ روح إبراهيم الأب
وتُفْنِى إسحق على الأرض .

تُسقطُ الملك «درتاض» عن عرشه
ولاَ تأبه بالشاعر «جوسدانتين»
ولو تصدَّى لك ألفُ فارس
ما طرَفَتْ لكَ عين .

لو لبس الفارسُ ستة دروع
فإنك تخترقها بسهمك
وتأخذه لتلقى به فى السجن
ولا تترك حجراً إلا حطمته أمام بابه .

أنتَ نَسْرٌ. تطيرُ بسرعة
ناشراً جناحيكَ العريضَين
والدنيا تحتك مثل وليد
تلفُّهَ على طَرَفِ جناحِكَ.

ليتَ الذى تُصْليه بسيل ناركَ
تجده محاطاً بأعماله الطيبةَ
نَديًا بالخير عندما
تأتى لتقبض روحه.

هو ڤانيس طلجورانتسى
عبثا ما تقول وهباءُ نُصُحك للآخرين
أكملتَ عامكَ السبعين
وانتهيتَ إلى باب الفناء.

أغنيـــة حـــب

لا أقْدرُ على مقاومة حُبّك
قدِّمي لي معروفاً . إنني أموت
هاتي معك خشبةً ذهبية
واحفري لي قبراً .

دعيهمْ يحرقوني بنار الهشيم
حتى يزمجرَ لهيبُ قلبي
يسقطُ كثير من الناس في النار
فالجافُ يحترقُ ومعه «الأخضر» .

دعهُم يغسلوني بالنبيذ
ويحضروا لي قساً
يلفونني بأوراق الأشجار الخضراء
ثم يدفنونني في البستان .

أيتها اللصةُ القاتلة الجلادُ إذا قورن بك
ليس إلا تلميذاً في مدرسة التعذيب
ألقيت بي في زنزانة الحب
وبابُك يفضي بي إلى «المذبح» .

أحرقت قلبي سحقتيه
وجعلتَ منه كُحلاً لعينيك
ثم عدتَ وسفكت دمي
وجعلتَ منه حناءاً لقدميك .

ارجموني بالتفاح
لقد طعنني اللسانُ العذب
جعلتني مخبولاً بنبيذك الحلو
صرتُ سجين حضنكِ.

حلمتُ الليلةَ أنهم مزقوني إرْباً إرْباً
تلعقُ الوحوشُ دمي وتنهشُ الطيورُ لحمي
فوقي أنياب الأسدَ، دمي يفيضُ مثل المَاء
من عَطشٍ فَلِيأتِ لِيشربَ من دمي حتى الَارتَواء.

حتى أقدامُ الشجعان تخورُ في التراب
ليس لي سوى روحٍ واحدةٍ افتديك بها
كفاك، إنك تشوين كبدي
دعي دَمي يصيرُ نبيذاً.

سقط رأسي من السحابِ
فوق جبَالَ قلبي
أحاطتَ المَرارةُ قلبي بالضباب
ودموع دمِي تتلألأ.

كم طعمنا من مائدة واحدة
وشربنا من كأسٍ واَحدة
نهضنَا معاً، وجلَسنا معاً
آه أين منا الآن ذلك الزمان؟

أين عهدك؟ أين قَسَمُك الذى أشْهَدْنَا عليه الله؟
تباعدْنَا ، عَذرنا أن فرقناَ سىء الطوية
فليجز اللهُ الشريرً علىَ شره
حتى يهلكَ بما فَعَلَتَ يداه .

وليجعل اللهُ مخرجاً لحبى
طريقاً تزهر فيه الأشجارُ وتخضر
فتنبت شجرةُ قلبى
وعليها يُغنى العصفورُ ويزقزق .

بالصبر سوف يتمُ الأمر يا هوڤانيس المخبول .
سوف يحين الوقت وتجيءُ هى راضيةً إلى من يُقَبِّلُها من بعيد .

لا تقتليني بالحب

الحب يدفع الشاعر إلى وصف المحبوبة بسيل من التشبيهات. أما الحبيبة، فهى بجمالها تؤجج هذا الحب، ولكنها تصد عنه أيضا. وبهذا تعذب الشاعر. وبهذا تنصب نفسها جلادة للشاعر سلاحها حب الشاعر نحوها، وهى تسن هذا السلاح برفضها لحبه. وهذا الإمتناع هو الذى يدفع الشاعر أن يكثر من المديح لها. وهى بذلك تصبح أكثر قوة وأكثر مناعة. حلقة لا فكاك منها. والشاعر يعلم هذا، ولكنه يواصل المديح. فلا فكاك من الحب. وكأن هناك اتفاقا بين الحبيب والمحبوبة أن ترفضه المحبوبة لكى يكتب الشاعر قصيدته. كل هذا بشئ من المبالغة الساخرة من جانب الشاعر تدل عليها تعبير «يا جلاد أفندى». فنرى تهكم الشاعر بالموقف الرافض للمحبوبة وكأنه لن يدوم، أو أن سيطرتها العاطفية عليه ليست مطلقة، وأنه يستطيع أن يقابلها بالمزاح.

وهذه المبالغة المقصودة نجدها أيضاً فى نهاية القصيدة، حيث يعلق الشاعر على القصيدة ويقول إن كلامه «ينهض ألف شيطان»، ولكنه أيضاً يبقي على هذا الكلام المنافي للآداب، يبقى على قصيدته. فالقصيدة أهم من الحبيبة وتعلو على كل اتهامات الفسق الموجهة إليه.

آه من تذكرك أيها الموت

كلمات الشاعر التى يستهل بها القصيدة - «كلما تذكرتك أيها الموت، أرتعدت وأصابنى الرعب» - قد تبدو مبالغا فيها ومجازية، وقد يعتقد القارئ أن الموت بالنسبة للشاعر ليس إلا شعورا فلسفيا أو مادة للتأمل. ولكن عندما نأتى إلى نهاية القصيدة ويفصح لنا الشاعر أنه قد أكمل عامه السبعين، نعرف أن الموت قد أوشك أن ينال منه، فنعيد قراءة القصيدة كترجمة لتجربة واقعية.

خاتشادور جيتشاريتسى

«إنسان توج حياته بالحكمة، شاعر لا يبخل بحكمته على الإنسان»

خاتشادور جيتشاريتسى (١٢٦٠؟ - ١٣٣١؟)

كان راهبا فى دير «جيتشاريس» فى منطقة تسمى الآن «دزاغجاتسور» فى أرمينيا. هذا الدير كان معروفا فى القرون الوسطى كمركز تثقيفى، وربما كان جيتشاريتسى كبير المعلمين هناك.

كان محباً للأساطير والميثولوجيا القديمة، ملماً بالثقافة والتاريخ الهيلينى. إقتبس وأضاف إلى تاريخ ألكساندر (إسكندر الأكبر)» لكاليسطنيس الزائف. كتب له مقدمة وخاتمة، وأيضا قافيات» لبعض أجزاء القصة، باللغة العامية وبتعبير سهل. عاش الشاعر فى زمن هجمات لغول، فكان يحلم بقائد يقود أرمينيا إلى الاستقلال وكان الأسكندر الأكبر لا يزال فى ذاكرة شعوب كفاتح ذى قدرات خارقة، ويشير الشاعر في مقدمته إلى أن تلك القصة «مثال يحتذى به كل الأمراء والملوك»، لأنه يرى فى الاسكندر فضائل كثيرة من عدل وعلم وجسارة. ويسعى لشاعر أن يوفق هذا البطل الوثنى مع المسيحية، فيرسم تشابهات بين شخصيتى الأسكندر المسيح.

وقد نظم الشعر بعدد من الأشكال: «ڤوغب»، «داغ»، «كانتس».

يكتب بلغة تختلط فيها تعبيرات من «الكراپار» باللغة العامية بدرجات تتفاوت من قصيدة إلى خرى.

وفي خاتشادور جيتشاريتسى نجد الشاعر الإنسان الذى مر بتجارب كثيرة، تلقى الأذى من لآخرين أحياناً وكان هو المؤذى للآخرين أحياناً أخرى، ويستخلص من تجربة حياته حكمة، وجهها إلى نفسه، كما فى قصيدة «جئت من عناصر الأرض الأربعة»، وإلى الآخرين كما فى صيدة «نصيحة روحية».

جئت من عناصر الأرض الأربعة

تشكلتُ من عناصرِ الأرضِ الأربعة
أنا الإنسان خلقت مَن تراب
وأمضيت حياتي في الظلام
وبكيتُ طويلاً ونُصِحتُ كثيراً .

أشعلتُ النارَ في كثيرين
وأحرقتني نارُ الكثيرين
واعتللت ، حتى لم أجد
لآلامي شفاءاً .

كنت روحاً نورانيةً
وأسقطت نفسي في الظلمات
كنت مرغوباً من الكثيرين
ثم انسقت إلى موقفٍ يُرثى له .

كنت ينبوعاً حلواً عذْباً
ثم ألقيت بروحي في أوحال الآثام
كنت نجماً يسطع في السماء
واخترت أن أبقى في ظلمات لا تنقشع أبداً .

يا خاتشادور ، أفق من نومك
لقد حان وقتُ الندم
إن هذه الحياةَ جليدٌ
متى يجئْهُ الربيعُ يذب .

الحياةُ حلمٌ باهظُ الثمن
تأخذك لتحرقكَ بالنارِ
فاستغفرْ ربكَ
وأفقْ من نومك أيها البائس .

نصيحة روحية

يا إخوتي : هذى نصيحةٌ مني
لا تنامُوا طويلاً وأفيقوا
وظلُّوا يقظين
كم نحن قريبون من الموتِ .

الحياةُ حلمٌ
يستغرق المرءُ في نوم هنيء
وفي حلمه يعثر على
كنوزٍ لا حصرَ لها .

ويطير قلبه من الفرح
يسعدُ بالكنز يحرص عليه
وهو واثق أشدَّ الثقة
بأنه سيصيرُ أميراً ذا قصرٍ مُنيف .

ثم يستيقظُ من نومه
فيرى أن الكنز كان وهماً
وعندئذ تعتريه الخيبةُ
ويسخر كثيراً من نفسه .

وحين يجيء أمرُ الله
ويأتي مَلَكُ الموت لقبض روحِه
ولا يُعْطَى حتى برَهة
لرؤيةِ أبنائه الأحياء الصبوحين .

تعتصر الحسرة عينيه
وهو يتوق لرؤية أحبائه
يبحث عن حيلة
فلا يجدُ سبيلاً إلى الخلاص .

عندئذ يتَنَهدُ قلبهُ
ينادى أمَّ أولاده
وحين تردُّ نداءَهُ
يقولُ لها وهو يغيبُ عن وعيه .

«أنا نصفُ جسدك
وها أنذا أدخلُ التَرابُ
يا أطفالى ، أنا والدكم
أمضى ولا أعود ثانية إلى الدار» .

الآن أحسنوا لأنفسكم
إكرهوا الشر وابقوا دائماً
مع الخير أينما ذهب
كى لا تكون النارُ نصيبكم .

اجعلوا لأنفسكُم سمعةً طيبةً
فالموتُ فى الحقيقة
أقربُ إلى ابن آدمَ
من طرفة عينٍ .

جنت من عناصر الأرض الأربعة

قدر الإنسان أن يكون مكوناً من أربعة عناصر (النار، الهواء ، الماء ، التراب) تنسجم وتتعارض، تنتج عنها نزعات متضاربة تمزق وجدان الإنسان. هذه فكرة كانت شائعة فى القرون الوسطى ترجع إلى أيام الوثنية. والشاعر يقدم لنا حياته الضالة مستمداً صوره الشعرية من تلك العناصر. فمثلا يقارن نفسه بـ «ينبوع العذب» (عنصر المياه) عندما كان طاهراً، ثم «ألقى بروحه فى أوحال الآثام» (والوحل خليط المياه والتراب حيث التراب هو العنصر الطاغى فى جسد الانسان ويرمز إلى الرغبات الدنيوية). ولكن الإنسان له أيضا وعى يعرف به طبيعته، ويرتفع عنها بإرادته. والخوف من العقاب، أو من «الحرق بالنار» ، هو الذى يفيق الإنسان من غيبوبته. وهذا العقاب عادل، فقد اعترف الشاعر أنه كان قد «أشعل النار فى كثيرين» . كما أن دعوة «الإفاقة من النوم» ، مع أنها موجهة من الشاعر لنفسه، هى تحذير لكل الناس، لأن الشاعر كان قد ذكر أيضاً «وأحرقتنى نار الكثيرين» . وفى القصيدة صورة شعرية مدلولها عكس المألوف: «إن هذه الحياة جليد، متى يجئه الربيع يذب». فالمدلول المألوف للربيع هو مولد الحياة من جديد، ولكن الشاعر يقيم صورة تدل على نهاية الحياة. الشاعر يصدم قارئ القصيدة بهذه الصورة ليفيق هو أيضاً من غيبوبته.

نصيحة روحية

أى نصيحة لا تجدى إلا إذا كانت نابعة من تجربة عامة يمر بها كل إنسان ، أو إذا أحس القارئ أنه قد يجد نفسه فى موقف مماثل لتلك التى يقدمها الشاعر فى قصيدته. الأولى هى الحلم الشائع والتى يكتشف فيها الإنسان كنزاً «ثم يستيقظ من نومه فيرى أن الكنز كان وهما» . ولأن القارئ ، مثل كل الناس، رأى ذلك الحلم، تصله رسالة الشاعر أن الحياة الدنيا، مهما تكن مباهجها، وهم كبير ، وأن الإنسان يجب أن يفكر في الحياة الأخرى الخالدة. أما الثانية فهى موقف درامى مأسوى (يقدمها الشاعر بطريقة ميلودرامية مؤثرة)، عن رب عائلة يأتيه الموت فجأة فلا تعذبه فكرة الموت بقدر ما يعذبه فراقه المحتوم لأولاده وزوجته. والشاعر يجعل هذا الرجل التعس يقدم النصيحة إلى أطفاله، التى تكتسب مصداقية فنية بسبب الموقف الدرامى. ولأن القارئ يرى نفسه وقد أصابه ما أصاب ذلك الرجل التعس، يتقبل النصيحة وكأنما هو الذى يقدمها. والمثير للإهتمام حقاً أننا لا نعرف متى ينتهى كلام الرجل الذى جاءه الموت فجأة ومتى يبدأ الشاعر كلامه، وقد يكون كلام الرجل هو الذى يمتد إلى نهاية القصيدة. وهذا الإبهام يجعل النصيحة موجهة إلى الأطفال والقراء فى نفس الوقت. وهكذا فإن النصيحة («إفعلوا الخير، إجعلوا لأنفسكم سمعة طيبة» إلخ) مع أنها معروفة ومعادة تكتسب فى القصيدة قوة إقناعية لا يمكن معارضتها.

خاتشادور جيتشاريتسى هو شاعر يستخلص الحكمة من تجربة حياته، يقدمها فى شعره من خلال صور شعرية وموقف إنسانى.

جوسدانتين يرزنجاتسى

«شاعر يبجل قدرته الشعرية»

جوسداتين يرزنجاتسى (١٢٥٠ ؟ - ١٣٣٠ ؟)

ولد وعاش فى مدينة «يرزنجا» (ارزنجان) فى أرمينيا التاريخة.

لا توجد تفاصيل كثيرة عن حياته. يعتقد (من قصيدة «الرؤيا») أنه كان يدرس فى الدير وهو فى سن الخامسة عشرة. فهل ترك الدير مدركا أن له موهبة الشعر؟ أم أنه أصبح راهباً وبدأ ينظم شعرا دنيويا لا يتفق مع قيم الزهد من الحياة التى كان يجب عليه أن ينتهجها؟ ومع شهرته المتزايدة تعرض الشاعر للهجوم من أناس كانوا يحسدونه بسبب موهبته الشعرية ويتهمونه بالخبل والإنحلال.

وجوسدنتين يرزنجاتسى أول من مارس الشعر الدنيوى، مع أنه يؤكد أن الشئ المحسوس الذى يقدمه ما هو إلا رمز لشئ آخر روحى.

وهو فعلا شاعر الحب. يرى الحب فى الطبيعة: «حب هو الزهرة، وحب الشجرة، وحب هو أغنية الطير، وحب هو الوردة وحب البلبل، يجلس بحب أمامها». وتسحره المرأة الجميلة وتفقده عقله: «عندما أدركنى عطرها العذب، أفرغتنى بسرعة من عقلى، وأحرقت قلبى فى لحظة، حين أبدت لى حسنها». ومع كونه شاعرا حسيا ينبهنا أن نقرأه بعيون الروح لا بعيون الجسد. وموضوعات قصائده تتركز حول حب المرأة وجمالها، غزل بين البلبل والوردة، صحوة الطبيعة فى الربيع، ألم بسبب عذابات شخصية وهموم عامة. وهو يعبر عن كل هذا بحماسة يكبحها جمال الصياغة يجتاح بها مشاعر المتلقى.

٢٢ من قصائد جوسداتين يرزنجاتسى وصلت إلينا من مخطوطة كتبت عام ١٣٣٦ فى تبريز.

كتب بلغة عامية لا تخلو من تعبيرات «الكراپار».

الرؤيـــا

يضمرُ البعضُ لى الشرَّ ويحسدُونَنى
بسبب ما أكتبُ من كلمات تظهرُ للناس
إنهم يقولون «أنَّى له أن يكتب كَلاماً جميلاً حلواً
وحين يقرأه لنا لا نجدُ بيننا شبيهاً له».

إنهمْ بلا بصيرةٍ لا ينظرون بعيونِ الروح
عقولهمْ مخبولةٌ
يجهلونَ من هو واهبُ النعمة التى تفيضُ فى كيانى
إنما أنا إناءٌ من التراب ولكننى أَمتلك كنزاً بداخلىَ
أعبِّرُ عن الروح وهذاَ من فضلِ ربى.

من يضمرُ لى الغدرَ ويبغى أن يسرقَ كنزى
إنما يعصى الله وسوفَ يحاسبُه اللهُ
أما من يَصغى إلىَّ ويعى ما أقول
فسوف أمنحهُ دليلاً
يعرفُ به كيف وصلت إلى هذه النعمةَ.

عندما كنتُ غلاماً فى الخامسة عشرة من عمرى
كنت تلميذاً فى الديْر ورأيتُ «رؤيا» فى الليلِ
رأيت طفلاً نورانياً يجلسُ على العرش مثل ملَك
كان يشبهِ الشمسَ الجميلةَ التى تَشعُّ نوراً.

ارتعشتُ من جلال مجده وقوة ضيائه
فلم أجرؤْ أن أسألَه :
من أنت يا سيدِى وما اسمُكَ؟
قبَّلتُ الأرض بين يديه
فورَ رؤيتى له
وبثلاثةِ إبتهالات
انحنيتُ حتى لا مستُ الأرضَ.

قلت : «أنا عبدٌ وأنت مَلكٌ فاغفر لى»
قلت : «أنا عليلُ الروحِ وأنتَ طبيبى»
قلت : «إننى معدَمٌ وتَوَاقٌ إلى نوالك
امنحنى نصيبِى من نعمتِكَ وليكن خِلْعَةً».

تلطفَ بى قلبُه الرحيمُ مع أننى غيرُ جديرٍ بلطفِهِ
قام عن عرشه ووضع قدمَه فوقى
داسَ علىَّ ومشى ثم عادَ إلى مكانه
عن طريق آخر.
وعندمَا تَحقَّقَتْ أمنيتِى نهضت بالمراد.

قلت : «رؤيتى لكَ تماما كرؤيتى للجنة
ارحم عبدكَ التافه وتجلَّ لى مراراً
إننى تبرأت من هذه الحياة الخاوية
منذ تَجلَّيتَ لى ورأيتك
منذ قبلتنى ورسَّمتنى خادماً لك».

أجابنى بصوت عذب وقال : «إذهبْ».
وأرعبنى كلامُهُ المهولُ فصحوت
تَمَنْطَقْتُ بالحزام ووقفتُ أصلى
وأنا أتوسلَ أن تعاودَنى الرؤيا المقدسةُ.

مضتْ أيامٌ طويلة. وأنا أبكى فى صلواتى
لأننى كنتُ مشتاقاً لهيئته البهية
وما عرفتُ الراحةَ فى الصباح
كما لم أنمْ الليلَ
أصبحتُ كالمجنون ولم أصغِ لأىٍّ إنسانْ.

لم أفكرْ أبداً علامَ تدلُ هذه الرؤيا؟
ولم أتدبرْهَا لأننى كنتُ ما زلتُ صَبياً،
ولكننى بعد سنواتٍ طويلة
وبعد أن تمرسَتُ بالعلم والمعرفة
تأملتُ الرؤيا وفهمتُ سِرَّهَا.

فُوجئتُ أننى أتحدثُ بها إلى من يريد
منى الحديث
وقد دَهشْتُ من استرسال حديثى
دخلتُ تجربتى بالأمل العظيم والَحب
وقدَّمتُ روحى مقابلَ التجربة
إلَى أن وصلتُ إلى هذه الروح.

قَبَسْتُ حديثى من هذا النور الذى نزلَ علَّى كالمن
أنا الذى بعينى رأيتُه جالساً على العرش المتعالى
وعندما حصُلتَ على هديتى الكبرى من هذا النور
سَخَّرْتُ جسدِى وروحِى فى خدمةِ رؤيته المقدسة .

كم أنا فرِحٌ اليوم وقد حققتُ غايتى الكبرى
أنا الذى بدون شفاه أحتسى النبيذَ من القنِّينَة
أنا تابعُ هذا الحب وعقلى لصيق به
لا أبالى بالكثيرين الذين يضمرونَ الشرَّ لى
ويبغونَ الإيقاعَ بى .

أنا فى هذه الدنيا كالتائه في ملكوتِ الفكرُ .
أبدو للبعض عاقلاً
وللبعض الآخر اتَبَدَّى مَجْنُوناً وجاهلاً
البعض يبغضنى ويتربص بى
ويرى البعض أننى أستحق
أن يراق دمى .

جـــواب جـــديـــد

بعد أن أعطيتنى النصيحةَ «الإيمان بالروح»
ترغبُ فى جوابى. نعم لقد فهمت
واليكَ الجواب.
لا تُعَنِّفنى بسبب أفعالى
إننى ضعيفٌ وعاجزٌ فلَا تُحَمِّلْنى عبئا فادحاً ثقيلاً علىَّ.

إن روحى تواقةٌ دوماً للإنصاتِ إلى كلام الحكماء
جسدى معلقٌ بالشهوات
لأنه ابن هذه الدنيا
وأنا حائرٌ بين الطهرِ والشهوة
كشمعة تحترق بالنار.
أهيم قَلِقاً بلا ثباتٍ ولا جدوى.

صرتُ مذبذباً بسبب أضْدادِى الأربعة
تشدنى النارُ إلى أعلى
ويجذبنى الترابُ إلى أسفل
قليلٌ من الماء يطفئ لهيبَ نارى
ولكن الريح تأتى معاندةً تؤَجِجُ نارِى من جديد.

خادمٌ أنا لإرادتين عسير أن أجْعَلَهما يلتقيان
آه لو أننى أحتضن النار دون أن يمسنى أذى
أو تحمل قدمى الجَسدَ وتمشى على سطح الماء
آه لو كان بيدِى أن امنعَ الريحَ المسرعة من الهبوب.

نَصَحتَنى وكَتَبتَ تُقَرِّعُنى
وأتيتَ بالشهود والبراهين الكثيرة
لن أكون جريئاً وأخاطبكَ كأخ
بل ينبغى أن أضع وجهى على التراب
وليَدُسْهُ من يرغب.

مع الدموعِ خَرجتْ شكاوى كثيرةٌ من قلبى
شكوتُ لمَن نظرَ إلىَّ بحب وأخوَّة القلب،
ما أشدَّ الأسَى الذى يُسَبِّبُهُ لى الناس
تزين قلبى بالجروح
التى عذَّبَتْنى بالألمِ المرير.

شَيَّدَتُ حولى سوراً وأعلنتُ نفسى قلعةً قويةً
وجاءتْ الدنيا وهَجَمَتْ علىَّ
وأنا أعزل بلا سلاح
عارياً وقفتُ أمامَهم
وهم يَطْعَنُوننى من كل جانب ولا أثر لطعناتِهم.

النصفُ يقولُ « إنه معتوهٌ مخبولٌ يقطرُ مرارةً »
والنصف الآخر يقول « يَجبُ أن نَسْفكَ دمَ مثل هؤلاء »
وأنا أجيبهم : يا جوسدانتين ، لستَ مُلْزَماً
بأن تصغى وتصدقَ كلَّ إنسان
وتدخل إلى قلبِه لتعرفَ ما ينتوى.

حــب الصــباح

أفيقُوا من الأحلامِ وافتَحُوا عيونكُم
أيُّها النائمون
سوف ترونَ فى الليلِ من لم ينامُوا لحظةً
هم يَدُورُون بلا نهايةٍ بأمرِ الله
وعلى السماء
يُسَدِّدُونَ قوساً لإطلاق الريحْ .

صحوتُ من نومى . وقفْتُ مُتَنَبِّهاً للحظة
وفى ظلمة الليلِ الطويل بدتْ علاماتُ الصباح
رأيتُ القمرَ الساطعَ وكوكبةً من النجومِ تَخْدُمُهُ
وقد زُيِّنَتْ السماءُ
إنها مخلوقاتُ الحكيم .

بزغَ نجمٌ ساطعٌ أمامَ ضوء الزهرة
له ضوءٌ جميل أقوى من ضوء النجوم
فلما شاهدَهُ القمرُ أعطى أوامرَهُ للنجومِ
فتوارتْ كلها عن الأنظار وخَفَتَ ضوْءُهَا .

عند شروق الشمس
كشفتْ السماءُ وجْهَهَا
وظهر غلامٌ أسمه «العذب»
منحَ الروح للكثيرين ونوراً باهراً للعيون

التى بَقِيَتْ فى الضوءِ بحبٍ
عند ظهورِ الشمسِ .

عذبٌ هو ميلادُ الضوء
أقولُ : ليتَ للإنسان نَصيباً
من ضوءِ الصَّباح
وللسماء بابا ينْفتحُ مع شروقَ الشمس
لإلهٍ يُنَعِمُ علينا بالخيرِ .

ينظرُ الرب بعطف لمخلوقاته
إنه فى اللحظة التى تبدُو فيَها علاماتُ الصباح
يستمعُ إلى الصلوات والإبتهالاتِ
لطالبِى النِّعَم والهباتَ
التى يرتجونُها فى الصباح .

لو أن عطْراً يُعيدُ الحياةَ عند باب الموت
لانْتَشَتْ وبُعِثَتْ
أرواحُ الكثيرين من تَنَسُّمِ عِطرا لصباح ،
لو أن هناكَ حباً خالداً يعطى الحياةَ لأرواحَنا
لكنتُ قد مزجتُ حظى من الحبِ والحياة
بحبِّ الصباح .

ليتَ لى حظاً من الحياة والبهجة عند باب الجميل
ولو كانت لحظةَ حب يجودُ بها عَلىْ
فلتدعهُ يجودُ بها علىَّ فى الصباح ،

وإذا كان لا بدَّ من أنْ نُسْلِمَ الروحَ
أو تقبض روحُ المرءِ
فسوف أرضى بأن أمنح روحِيَ
فداءً لحبيبتى .

من يُرِدْ أن يكونَ محباً لابن القيامة «النور»
دعه يطلبْ ذلكَ الحبَّ من الذى
بُعِثَ فى الصباح
من يتبع حبه يتضاعف حبه
يذهب مشتاقاً إلى بيت الجميل
يصلُ بحبٍّ الصباح .

ياربّ ارحمْ عبدكَ وأعطنى حظى من الروح
الذى رَغِبَ فيهِ الكثيرونَ ولكنَ القلَّةَ هى التى
بلَغتْهُ فى الصبَّاح .

أنا التافهُ الحقيرُ
الذى يُدْعَى جوسدانتين
أتوسلُ إليك : أعطنى الحبَّ
من أجلِ حبِ الصبَّاحِ .

كلمات الروح لا كلمات الجسد

اليومَ أصبَحَتُ ريحَ الربيعِ
أتَنَفَّسُ حبًّا فى البساتين
ذاب الجليد وولى البرد القارس
عندما شاهدنا .

يَشْغَلُنى اليوم أن تصفُو نصيحتى
كعين ماء تنبثقُ فى الصخر
أتمنى إن أُصنع أشياءَ جميلَةً
تبعث الرِّضا فى قلبى .

أصدُر أوَامرى إلى الزهور
تنشرُ أوراقَها بكلِّ الألوانَ
الربيعُ للجميع
لم تعد هناك سجُون ولا زنّازين .

جاءكمْ خبرُ الخير السعيد
راحتْ الوردةُ وعَادتْ من جديد
لكى تثيرَ المنافسة والعراك
عندما تتفتح أمَامَنَا .

البلبلُ يغردُ بعذوبة
نَشْوَانٌ هو بعشق الَوردة
يسفحُ دمَ الدموعَ من عينَيه
وقد ألهمته الوردةُ حلاوة الغناء .

جَلَسَتْ الوردةُ على عرشِ المجد
فوقَ تخت عال تُغَطيه الزينَةُ
قلْبُها متَفتحٌ بالمُراد
تماماً مثلَ مَلَكَةٍ أو سلطانةٍ .

اليومَ يغردُ البلبل بعذوبة
لأنَّ الريحَ قد حملتْ إليَّه عطركِ
أصبح خادماً بمحض إرادته
إنه يحيا بكِ .

ما أعذَب صوتكَ أيُّها البلبلُ وأحلاه
تجلسُ معنا وتنثرُ السكَرَ
تُسْعدُ كلَّ القلوبِ المغتمة
حينَما تراك .

اليوم يتساوى أمامَك
كلُّ العقلاء والمبصرين
ولأنكَ انتهَيتَ إلى عشَقِ الورد
فاحكِ بسرعةٍ برخيم صوَتك .

لأنكَ بكيتَ أمامَ الوردة
واخْضَلَّت عيناكَ بالدمِ السائلِ
فتـ ـتَ عيوننا على حُبِّكَ
ونحنُ من أجلك متحدون .

لماذَا أبْقَيتَ جمالكَ التياهَ بريشه
الذى له ألفَ لون
لماذا تُبقى جمالَكَ يجرحه الشوك
ولا تجئ لتَستريحَ مع الآخرين .

أعطنَا اليوم نبيذاً حلواً
فأنا سعيدٌ بحُبِّكَ
وليكنْ لنا يومٌ
للمرح واللَّهْوِ والفرَح .

لنكنْ سُكَارَى بالحب
نحن الذين اجتمعنا
فالوردةُ متوجةٌ بالجمالِ
وهى التى أمرتنا .

قل اليومَ كلَّ ما ترغبُ فى أن تَقُوله
لأنه يومُ الفرح والوفرة
ولو أن الوردة قد فَارَقَتْكَ
فلمن يتوجهُ قلبكَ بالإعجاب .

أيتها الوردةُ المليئةُ بالألوان الفاتنةِ
أنت فخرُ الزهور كُلِّها
لك كلُ المديح
لأنَ صورتَكِ أخَّاذَة جداً .

أنتَ أيُّها البلبلُ ذو روح نقية
يمتلئ قلبكَ باللهيب والنار
لسانكُ ذو طَرَف حادّ
تترنم به غناءً لا مَثيل له .

أسجدْ شكراً لله يا جوسدانتين
وتقربْ إلى الربِّ الخالق بالرضا
لأنكَ صرت جديراً بالوردة
واستمعت إلى صوت البُلبلَ .

الرؤيـــا

تأخذ القصيدة شكل الوثيقة عندما يصف الشاعر حلما كان قد رآه وهو فى الخامسة عشرة من عمره. وهو الآن يفسر ذلك الحلم . والحلم عجيب ، ليس فقط ظاهريا، حيث رأى أن ملكا قد ظهر له ووضع قدمه عليه، بل فى المضمون. فلقد تلطف الله وأعطاه القدرة الإبداعية، مع أن ذلك سوف يدفعه إلى أن يترك الدير إلى العالم. أى أن ترك جوسدانتين للخدمة الدينية واختياره للحياة الإبداعية والفن كان بإذن الله. ولكن لا يجب أن ننسى أيضا أن الفن لكى يتجلى بكل نوره يتطلب من الفنان أن يضحى بكل شئ: «قدمت روحى مقابل التجربة، إلى أن وصلت إلى هذه الروح».

التضحية بروح لكسب روح أسمى.

حـــب الصـــباح

الجمال يخلق الحب.

يختار الشاعر وقتا من أوقات اليوم له جمال لا يدانيه جمال أى وقت آخر. هى لحظة جميلة ولذلك تجعل كل شئ ممكنا. بل تتعالى هذه اللحظة ، بفضل جمالها، على كل شئ آخر.

كلمات الروح لا كلمات الجسد

الجمال يخلق الفن.

البلبل يحب الوردة مأخوذا بجمالها وهى التى تلهمه «حلاوة الغناء».

أما الشاعر فهو مبدع ومتلق فى آن واحد. فهو يستمتع بسماع صوت البلبل ويصبح «جديراً بالوردة» بكتابته للقصيدة.

هوڤانيس يرزنجاتسى

«شاعر يتفهم النفس الإنسانية ويتعاطف مع كُل الوجود»

هوفانيس يرزنجاتسى (١٢٣٠؟ - ١٢٩٣)

ولد فى مدينة «يرزنجا» (ارزنجان) فى أرمينيا التاريخية. تعمق فى علوم زمانه، أصبح راهباً فى عام ١٢٦٨ . فى السبعينيات من القرن الثالث عشر كان مشهورا كعالم باحث وكرجل يخدم الشعب. فى عام ١٢٨٠ كتب «الحدود والقوانين» للإخوان التجار والحرفيين وكان هو الذى يدير اعمال الإخوان. وكان هوفانيس يؤسس المكتبات، ينسخ وينمنم المخطوطات، يجول فى مدن أرمينيا وقيليقيا، ويكتب ويقرأ خطابات دينية موجهة للحكام والشعب. أنهى كتاب «قواعد النحو» مابين عامى ١٢٩١ - ١٢٩٣ . مات فى دير «أجنير» فى قيليقيا. جئ برفاته إلى مدينة «يرزنجا» ، حيث أصبحت مقبرته مكانا مقدساً. وكان من بين ألقابه «الذى لا يقهر»، «قديس وحكيم»، «ذو المعنى الأعلى»، «ذو فضائل الحواريين». كتب قصائد دينية وقصائد يدعو فيها الناس إلى اتباع الفضائل. كتب قصيدة طويلة عن أجرا م السماء. وله قصيدة عاطفية وحيدة يصف فيها بواقعية شديدة قصة حب عنيفة بينه (وهو راهب) وبين فتاة مسلمة.

نظم شعره بأشكال مختلفة: «داغ»، «شاراجان»، «نربوغ» ، «قصائد شرح علمية» ، بالإضافة إلى «الهايرين»، التى فيها تتبدى قدرته الإبداعية الحقة وتفرده كشاعر.

وهوفانيس يرزنجاتسى نظم شعره بالقافية المتنوعة وكتب أيضاً الشعر غير المقفى والشعر الحر.

هايرينـــــات

ليت الإنسان الذى يعيش مجللا
بالحداد فى الدنيا
يتذكر ذنوبَه دوماً، فيجلسَ باكياً طوال يومِه
تصبحُ الدموعُ مَطْهراً،
إلى أن يَبْيَضَّ السواد،
وإلا جاء يوم الزفاف،
دون أن يعثر على ثوبٍ للعروس!

الدنيا بحرٌ، من نزل فيه فسوف يبتل حتماً
وفى البحر ركبتُ سفينةً
أبحرت بى دون أن أدرى
وها أنا دنوتُ من الشاطئ
وكم أخشى أن ترتطم سفينتى بالصخر
فيتهشم كيانها البديعُ
وتتبعثر ألواحها.

مقدمكم خيرٌ يا إخوانى

فمرحباً بكم فى هذا المكان

محزونون كلنا فى الدنيا

والجراح تملأ قلوبنا

لقد صار حديثكم دواء لنا

وكم سعدنا برؤيتكم

وكم تمنينا هذا اليوم الذى ألَّفَ شملنا معا .

سألقبكَ بالمسافر لو أننى عرفتُ طريق سفركْ

جئتَ إلى الدنيا وليداً

قل لى : من أين أتيتَ ؟

لقد نزلت إلى بلد غريب

دلنى على أسباب بقائك؟

ستموت وتدفن فى التراب

قل لى : إلى أين ستذهب ؟

ألقبه بالإنسان الطيب

ذلك الذى يتفوه بحلو الكلام

إن الكلمات لا تقدر بثمن

حتى لو إمتلأ البيت بالأحجار الكريمة

وعندما خلق الله العالم

من التراب والماء والهواء والنار

لم يزد مثقالا . كل شئ بقدر

ووزن الكل بميزان .

خرجت الروح من التراب،

ولعنت الجسد الذى بقى فيه

قالت : «لقد أتينا ذنوبنا معاً أنا وأنت

فلماذا يستحى وجهى أنا فى الآخرة؟»

ورد الجسد بكلمة واحدة أفحمت الروح :

«لقد كنتُ تراباً فعدتُ إلى التراب،

أما أنتِ فإن طموحَكِ هو الذى جنى عليك».

تعالوا ننزل إلى الشاطئ ونصطاد السمك
ثم نحمله إلى البيت لننضجه على النار .
أشتكت السمكة لي ففاض قلبي بالدماء
قالت : «لو أن حياتي إنطفأت
فلتجف كل مياه الأنهار والبحار» .

الدنيا بحر

السفينة هى الشاعر أو الإنسان. وقد يكون الإنسان مرغماً على أن ينزل البحر أى يولد فى الدنيا، وهو أيضاً لا يدرى إلى أين تذهب به السفينة أى لا يعرف ماذا تخبئ له الأيام. ولكن مع ذلك، ومع أنه لا مفر من أن يبتل الإنسان من البحر أى يعانى الصعاب وتقلبات الدنيا، فهو لا يريد أن يصل إلى الشاطئ، لا يريد أن يصل إلى نهاية رحلته الصعبة. ففى خلال هذه الرحلة أخذ الشاعر أو الإنسان يعجب بنفسه، تُعجبه سفينته «البديعة»، فلا يريد أن تتحطم السفينة و«تتبعثر ألواحها»، لا يريد أن ينعدم من الوجود ذلك الشئ المستقل، هو الشاعر أو الإنسان ووعيه بنفسه.

خرجت الروح من التراب

الجسد يعود إلى التراب، يرجع إلى الطبيعة، أما الروح فهى خالدة فى الآخرة. يعرف الجسد أنه سوف يعود من التراب الذى جاء منه، ليس له طموح الخلود. أما الروح التى تطمع فى الآخرة فيجب عليها أن تكون حريصة على ألا تأتى من أفعال فى الدنيا ما تندم عليه فى الآخرة.

تعالوا ننزل إلى الشاطئ

لا يفكر الإنسان فى السمكة إلا كطعام له. ولكن السمكة كائن حى مثل الإنسان تماماً. فقط هو الشاعر الذى يستطيع أن يشعر بذلك. والشاعر فى القصيدة يضع نفسه مكان السمكة، يصبح هو السمكة، فتتحدث السمكة تماماً مثل إنسان يهدده القتل.

نرسيس شنورهالى

« شاعر يتغنى الشعب بشعره »

نرسيس شنورهالى (١٠٩٨ - ١١٧٣)

ولد في مقاطعة «انتسيد» لإقليم «ذويك» في أرمينيا التاريخية. مات في مدينة «هرومكلا» (قلعة الروم) فى قيليقيا.

كان كريكور ناريجاتسى قابعاً فى ديره، أما نرسيس شنورهالى فمن موقعه كرأس للكنيسة الأرمنية (كاثوليكوس) كان يسعى إلى أن ينهض بالشعب روحياً وفكرياً. يمجد فى أعماله النور والعلم وحب الإنسان للإنسان وحب الإنسان لوطنه، ويمد البلاد بشبكة مدارس ومراكز علمية.

ألف ولحن الكثير من الأغانى الدينية («شاراجان»، «داغ»، «كانتس»، «نربوغ») هى من أجمل تراث الكنيسة الأرمنية وتتمتع بشعبية إستمرت ثمانية قرون، ولا تستخدم فى الشعائر الدينية فقط، بل ويتغنى بها الشعب فى مناسبات الفرح والحزن، داخل البيوت وخارجها. ولنرسيس شنورهالى قصائد طويلة، أشهرها «مأساة يتيسيا» (الرها)، وهى تحكى قصة دفاع وسقوط المدينة فى يد المعتدى، ويواسى فيها الشاعر أحباب الشهداء، قائلا «الذين فقدتموهم فى الوطن، سوف تجدونهم فى السماء». كتب الشاعر الأغانى الدينية والقصائد بـ«الكراپار» بعد أن بسطها لتكون مفهومة من الشعب. ومن أجل تثقيف الشعب بوسيلة ترفيهية وتعريفه بالشخصيات التاريخية وبظواهر الطبيعة ألف الفوازير، أختار لها اللغة العامية، وهى رباعيات مكتوبة بأسلوب شيق جذاب. وهى أولى البشائر للشعر الدنيوى.

كان مجدداً فى نظم الشعر. أبدع الكثير من الأوزان، وكتب الكثير من قصائده بالقافية (الواحدة أو المتنوعة) وكان الشعر الأرمنى يكتب بدون قافية إلى ذلك الحين.

إبتهــــالات

يا صباح النور
أيتها الشمس العادلة
أشرقى بضوئك علىّ

يا نبع الأب
اسكب فى روحى
الكلام الذى يطيب لك

ياكنز المغفرة
دعنى أكتشف
أسرارك المحجبة

إفتح أمام المؤمن بك
باب رحمتك
واجعلنى مع الذين فى الأعالى

أيها الثالوث الأقدس
الذى يرعى الكائنات
إرحمنى أنا أيضاً

رب أعنى
أيقظنى أنا الغافى
لأكون شبيه الملائكة

الأب من الأزل
الإبن من الجوهر ذاته
الروح قدس دائما

إرحم يا رحمن
إقبلنى يا غفار
إقبلنى يا محب الإنسان

يا ملك الأمجاد
يا مانحَ العفو
حررنِى من ذنوبى

يا جامعَ الخيرات
ضُمنى أنا أيضاً
إلى جمعِ الأولياء

إليكَ يارب أتوسل
إليك يا محب الإنسان
أن تهب لى الشفاء

كن حياة لى أنا الميت
كن ضوءا لى أنا المظلم
أذب آلامى

يا عالم الأسرار
بُح لظلامى
بالسر المضيء

أشرق بضوء أمجادك عليَّ
أيها المولود فى حضن الأب
أنا المغطى بالظلال

أيها المخلِّص المحى
إبعثنى أنا الميت
أقمنى أنا الذى تهاويت

حصِّنى بالإيمان
ثبتنى بالأمل
أسسنى بالحب

أتوسل إليكَ بصوتى
وبيدى أتضرعُ إليكَ
امنحنى نعمَ الخيراتِ

قوِّنى أنا المتوارى
بضوء القنديلَ
أيها القَائد الماهر

يا شعاعَ المجد
أرِني الطريق
حتى أسرِع إلى السماءِ

يا ابن الآب الوحيد
أدخلني غرفَة
عُرْسِكَ الطاهِرِ

عندما تأتى بالمجد
فى يوم الحساب
إذكرنى يا يسوع المسيح

يا مجدداً القديم
جددنى أنا أيضا
وزينّى من جديد

يا منعمَ الخيرات
تجاوز عن ذنوبى
وامنحنى المغفرة

أسعدنى يا رب
بخلاص روحى
الذى من أجله أنا فى حداد

للفلاح الخبيث
لبذرته الخبيثة
يبِّس الثمار

يا مانح الخيرات
سدد عنى
ديونى الكثيرة

إمنح ماءا لعينى
لأذرف الدموعَ الحارة
كى تغسل ذنوبى

أيها الصمغُ العذب
إرو ظمأ روحى
واهدنى إلى النور

باسم الحب «يسوع»
بحبك ألنْ
قلبى المتَحجر

من أجل رحمتك
من أجل مغفرتك
ابعثنى من جديد

دعنى أرتوى
برؤيتكَ المشتهاة
يا يسوع «الإله»

أيها المعلمُ السماوىُّ
ضم هذا التلميذ
إلى سربِ السماويين

نَدَى دمك يارب
دعه يبلل روحى
وسوف يهلل شخصى

أنا الواهنُ من الإثم
أتوسلُ بضعفى
أن تسلكنى فى الخير

يا مخلِّصَ الكل
أسرع لتخلصنى
من محنةِ الخطايا

يا غافرَ الذنوب سامحنى
أنا الذى أتبركُ بكَ
لأتغنى بمجدِكَ.

أشهر أغانيه الدينية . يبدأها الشاعر بمخاطبة الشمس . وقد يكون السبب أن وقت إنشادها هو وقت شروق الشمس، ولكنها تفصح أيضا عن حب الشاعر واستمتاعه بالنور، النور الحقيقى كظاهرة من ظواهر الطبيعة تبعث الفرحة فى الروح، والنور المجازى (أو الرمزى) ، أى نعمة الإيمان بالله، وهى أعظم نعم الله على الإنسان، لا يبخل بها على أحد . وهذه القصيدة يمكن إعتبارها تنويعات علي لحن واحد . يريد الشاعر - الإنسان أن يقترب إلى الله، وهذا لن يتم إلا إذا «تجاوز الله عن ذنوبه ومنحه المغفرة» ، أى بنعمة الله عليه . فكل شئ من عند الله، حتى «الكلام الذى يطيب له» ويريد أن يستمع إليه من الشاعر . والكلام الطيب هو تمجيده لله، أقصى ما يمكن للإنسان أن يفعله حتى يرد به الجميل .

والقصيدة تتكون من ستة وثلاثين بيتا، تبدأ السطور الثلاثة لكل بيت بحرف من حروف الأبجدية بالترتيب .

كريكور ناريجاتسي

«شاعر نزع إلى الله فأبدع الشعر»

كريكور ناريجاتسي (٩٥١ - ١٠٠٣)

درس في دير «ناريج» قرب الشواطئ الجنوبية لبحيرة «ڤان» في أرمينيا التاريخية، ثم أصبح راهبا فيها وأحد معلميها العظام.

لا نعرف الكثير عن حياته. تحكي الأساطير الشعبية أنه أتهم بالهرطقة . كان صوفيا كما يتجلى في رائعته «كتاب المآسي» الذى أتمه عام ١٠٠٢ قبل وفاته بعام.

له أيضاً سلسلة من القصائد الدينية - «داغ»، «نربوغ»، «كانتس» - تتميز بتزاوج الجمال الحسي العفيف مع الجمال الروحي ، وهي مكتوبة بلغة جميلة ، دقيقة ، معبرة.

أما «كتاب المآسي» فهو كتاب شعرى ضخم من خمسة وتسعين فصلا ، يتكون كل فصل من جزئين أو ثلاثة، حيث يبدو أن الشاعر كان يريد أن يتلى في كل يوم جزء، على مدار السنة. والكتاب في شكل صلوات، يوجهها الشاعر من أعماق قلبه إلى الله آملا في التقرب إليه، ولكن الكتاب في نفس الوقت يكشف عن معرفة جامعة بأغوار النفس البشرية. فالشاعر لا يتكلم عن نفسه، رغم استخدامه لضمير المتكلم أنا، بقدر ما يتكلم نيابة عن الإنسانية جمعاء. والشاعر يتخذ للتعبير عن الذات الإلهية موقف الإنسان الذى تقهره ذنوبه وهو يسعى مع ذلك إلى الله، يبتدع أساليب شعرية مختلفة تأثر بها كتاب وشعراء لاحقون.

و«كتاب المآسي» يحث الإنسان على أن يخاطب الله مباشرة بدون وساطة المؤسسة الدينية أو الكنسية، ويعتبر تطوراً حاسماً في تاريخ الشعر الأرمني، حيث ينفصل الشعر عن الشعائر الدينية.

والكتاب رغم طوله لا يعتمد على السرد كوسيلة لخلق وحدة العمل، بل أن التيمات الكبرى تتبدى في أشكال متنوعة ولا نهائية. والمقطوعات الثمانية المختارة هي ثمانية أجزاء من عدد يربو على ٣٦٥ ، المراد منها تبيان تلك الوحدة.

كتب بـ«كراپار» تجاوز فيها القواعد النحوية، مبدعاً الآلاف من الكلمات المركبة الجديدة وقاموس ناريجاتسي هو الأكثر ثراءاً على الإطلاق في الشعر والأدب الأرمني.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

لكَ فى الأعالِى
يا من ترى الخَفَايا
أرفعُ صوت التنهدات
ونحيبَ الفَواجِع
وصرخات القلب
ثمرة الرغبات المحرقة لعقلى المضطرب
أضعُها على نَار الأسى الملتهب
وبمبخرة إرادتى أيها الرحمن أبَعثها إليك
لتشمها وتنظر إليها
بحب يفوق حبك
للقداس المنذور لكَ
وسط البخور الكثيف .
تَقَبَّلْ كلماتى القليلة بالرِّضى لا بالغَضَبْ .
دعْ هذه الكَلمات تصعدُ من أعماقِ غرفتى
المفعمة بالمشاعر
دعها تصلُ إليكَ مباشرة
هذه الأضحية الكلاميَّة
التى أقدمها طواعيةً
وقد أنضجتها ضراوة
خطاياىَ الفادحة
وإنْ أمْثُلْ أمَامَك
مدافعاً عن قَضيِتَّى

متشفعاً بالضراعة أيها الجبارُ
فلا تجعلْ ذلك يبدُو مضجراً لك
مثل يعقوب «العاق»
الذى رفعَ يديه إلى أعلى
كما اتهمه أشعيَا
ومثل جَوْرِ بابل الذى ورد فى المزمور الثانى والسبعين
بل إقبَلْهُ راضياً مرةً أخرى
مثل عطرِ البخور المستحب فى هيكل «شيلو»
ذلك الذى بناهُ داودُ مجدداً
من أجل راحةِ تابوتِ العهدِ
العائدِ من الأسْرِ
رمزاً لإكتشاف
روحىَ المفقودة
من جديدْ.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

النَّدمُ الشديد
وإرتكابُ الآثام بنَهم وشراهة
يقودان سواءَ بسواء إلى التهلكة
فعلى الرغم من أنهما
غريبان فى طبيعتهما
ومختلفان فى شكلهما
ولكن لو أننا تأملنا جوهر كل منهما
فسنكتشف أنهما يبعثان نفس الشقاء
لأن فى الندمِ قدراً من التشكك
فى قوة يدِ الجبارِ
أما الإثمُ فيشبهُ البهيمةَ ذات الأربعِ
يقطعُ الرجاء فاقداً وعيه
ولهذا فإن الشيطانَ
يُثنى على الأول ويسخر منه
ويمتص دمَ الثانى مثلَ وحشٍ له بطنٌ جهنمية
ويسمنُ.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

لو أننا هربنا منكَ فإنكَ تُدْرِكنا
وإذا ضعُفنا تمنحُنا القوة
وحين ننحرفُ تعيدُنا إلى الطريق القويم
إذ نُبَجلّكَ تشجعنا
لو أصَابَ السُّقم أجسادَنا وأرواحَنا فأنت تشفينا
إذا لطختنا الذنوب فإنك تطهرنا
ولو كَذَبْنا تهدينا إلى الحقيقة
لو انحدرنا إلى الهاوية تشد عيوننا إلى السماء
إذا أبَيْنَا أن نعودَ بإرادتنا فإنك ترْجعُنا
تَأسَى إذا أثمنا وتُسَرُّ حين نكون عَادلين
ولو اغتَرْبنَا تفتقدُنا
وحين نقتربُ ترحبُ بنا ·
لو أعْطَينا تَتَقَبّل وإذا أبطأنا تَصْبِرُ علينا
إذا أنكرنَا تُنْعِمُ علينا بالكثير
تَحزَنُ لتقَاعُسنَا
وتَسعدُ إذا أقْدَمْنَا.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

إذا أبصرت جندياً
أتوقع الموت
وإذا رأيت مبعوثاً
أنتظر القسوة
وإن رأيت «كاتباً»
أرتقب وثيقة الضياع
وإذا أبصرتُ «قانونياً»
أتوقعُ اللعنةَ
وإن رأيتُ إنجيليا
أنتظرُ نَفْض الترابِ عن قَدمِه
وإذا أبصرتُ تَقِيًا
أتوقعُ التقريع
وإن حاولتُ الإبْحَار
فسوف أغرق
وإذا جربتُ دواءً
فسوفَ يقضى عليّ
وإذا أبصرتُ الخيرَ لى
هربتُ متشككاً بسبب أفعالى الشريرةِ
إذا أبْصرتُ يداً مرفوعةً
أنحنِى
وإن رأيتُ فَزَّاعة صغيرةً
أهتزُّ

وإن سمعتُ نأمةً صغيرةً

أرتعدُ

وإذا تلقيتُ دعوةً لوليمة

أرتعش

إن مَثُلْتُ أمامَكَ

أفزعُ

وإذا نُودِيتُ للتحقيق معي

أتلعثم

وإذا حققوا معي بالحق

أفقد النطق .

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

سوف يرتفعُ شرَفُك بي
وَيتأتّى خلاصي منكِ
لو عثرت عليَّ يا أمَّ الإله
لو رحمتني أيتُّها المقدسةُ
لو خلصّتني من ضياعي يا طاهرة
لو وضعتَني أنا المرَوَّعُ
تحت عنايتك أيتُها السعيدةُ
لو دفعتني إلى الأمام أنا الخجولَ يا شفوقة
لو تشفَعت لي أنا اليائسُ دائماً
أيتها العذراء
لو قبِلْتِني أنا المرفوضُ
أيتها المبجلةُ من الله
لو أبديتِ لي عَطفِك يا ماحيةَ اللعنات
لو حوّلتِ ترددي إلى الثبات
يا راحة المتعبين
لو هَدَّأت مشاعري المضطربة يا مانحةَ السلام
لو هديتني أنا الضَالُ يا مَجيدة
لو ناصرتِني ووقفت إلى جَانبي
يا قاهرةَ الموت
لو حَلَّيت مرارتي أيتها العذبة
لو هدمت سورَ فراقي يا هادية

لو طَهَّرْت نجاستى يا ماحقةَ الفساد بقدميكِ
لو أنقذتنِى أنا المَحكومُ بالإعدام
أيتها النورانيةُ الحية
لو كفكفت صوتَ بكائى أيتُها المبتهجةُ
لو شفيتنِى أنا المتنكسُ يا رحيقَ الحياة
لو عطفتِ بنظرة علىَّ أنا المحطمُ
أيتها المنعمةُ بالروح
لو استقبلتنى بالرحمة أيتها الوصيةُ السماويةُ
مباركة أنتِ
من الشفاه الطاهرة
والألسنة السعيدة فحسبْ
ها هى قطرةٌ من حليب عُذريتكِ
تمطر فىّ تمنحنى الحياة.

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

ويلٌ لى أنا الخاطئُ فقد أغضبتُ خالقِى
ويلٌ لى أنا الهالك
لأننى نسيتُ نعمةَ الحياة
الويلُ لى أنا المدينُ بأموالٍ لا حصرَ لَهَا
ولا أقدرُ أن أسدِّدَ دَيْنى
ويلٌ لى أنا حاملُ الذنوبِ الفادحة الأثيمةِ
تلك التى تَحْرِمُنى من العَودة
إلى السكينةِ
ويل لى أنا العاصِى لِمَا أُمِرْتُ به
لا أقدْرُ أن أواجهَ القهَّار
الويل لى أنا المخلوقُ من قصبةٍ جافة
سَريعة الإشتعال
والتى سرعان ما تحترقُ فى الجحيم
ويل لى من هذا الذى أعلمُه علمَ اليقين
إن سهامَ اللهِ نافذةٌ
ويل لى ويالى من أحمقَ لم يعرفْ
أن كلَّ ما خَفِى لا بدَّ أن يَظْهَر
الويل لى أنا العاق
الذى نَسَج دائماً شَرَكَ «الخطيئة»
الويل لى اسمنت جسدى
ليكون غذاءَ للديدان الخالدة
كيف لى أن أصْبِرَ على سمِّ المعذبين؟

ويلٌ لى عندما أتجَّرعُ كأسَ المنونْ
وكيف لى أن أحتملَ الخسارة إلى أبد الآبدين؟
الويل لى عندما تفارقُ روحى الحقيرةَ
جسدى البالى
عندئذ كيف سأواجه الحكَم العدل؟
الويل لى عندما ينْفدُ زيت مصباحى
وحين ينطفئ فإنه لن يشتعل مرة أخرى
ويلٌ لى إذا أُغلق أمامى باب العرش
الويل لى حين تَعتْرينى الرهبةُ والفَزَعُ
من سماع صوت الكلمة المروعة
الموسومة بحكم المَلك السَماوى
كلمة « لا أعرفك ».

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

يا سيدَّ الرحمات
ويَنبوعَ المغفرة
ومانح الخيراتِ
يا ابن العليّ
أيها السيدُ المسيح
إغفرْ، إعطفْ ، أحْببْ الإنسانَ
إرعَ أحوالى المؤذنةَ بالخطر
التفت إلى إنكسارى
أشفقْ على بؤسى
أنظر محنةَ حيرتِى التى لاجدوى لها
أدركنى
أعنىّ على تحملِ معاناتى المهلكة
تحسس كطبيب قروحى المؤلمة
أصغ بحُنُوٍّ إلى تنهداتى الفاجعة
إستمعِ إلى نحيبى الخافت
يأتى من أعماق القبر
ولتستجب أذنك السميعة لصوت الرجاء
تبتهلُ به أعضائى البالية .
ولأن بقائى على قيد الحياة
يؤكد نقائى
فلتبق رحمةُ حبك، بدون تبديل
ولتقوَّ بالحلم ضعفَى الأليم
لا تضمرْ الضغينةَ لهيئتى المتواضعة

لا تلحَّ على محاسبةِ بدنى الخالى من النَفَسِ
لا تَزْدِنى ضرباً
أنا المعذبُ حتى الموت
لا تصدّع بقوتكَ
وعائى الفَخَّارىّ الهش
لا تغضبْ علىَّ مرةَ أخرى
فقد نلت عقابى
وامنع عنّى أية كارثة جديدة
تهوى على كيانى المحطم
لا تلقِ بحجر على الكلب الميت
لا تدس بقوة على البرغوث المنسحق
لا تزمجرْ بقوّتَكَ المهيبة
فوق ترابى المَهين
لا تستدع للمحاكمة رمادى المرفوض
لا تحسب غبارى المتلاشى
نداً لكَ
ولا تَعُدْ طينى المزعجَ
خَصْماً لكَ
لا تُزِلْ قَذَارتى العفنة
بقوة محارب قاسِ
لا تتخذْ من إحساسى بالذَنب
وقوداً للجحيمْ
وبعدَ هذا القدر من توبيخِ الذات
ربّاهُ لا تلمنى من جديد .

مناجاة إلى الله من أعماق القلب

لا أرجوه فَحَسْبْ

بل إننى أؤمنُ بعظمتهِ أولا

وليس من أجْلِ نعمه فقط

أرفعُ ضراعاتِى

بل من أجله هو الحىُّ الباقى

الذى منحنا تردُّدَ النَّفَسِ فى الصدور

وبدونه لا حركة أو سَير

ليس من أجلِ قوةِ الرجاءِ وحدها

أتعلق به

بل إننى أقبل عليه

برباط الحب الوثيق

ليس شوقى متجهًا إلى العَطَايا

بل للمعطِى دائماً

إننى لا أبغى المجدَ

بل أرجو لَثْمَ الممجد

لا تُحرقنى رغبةٌ فى الحياة

بل ذكرى المحيى

هى التى تكوينى دائماً

لا أتنهد رغبةَ فى المتع

بل شوقاً إلى من خلق روحى أنوح

لا أطلب الراحة بل ألتمس وجه المريح

لا أطمعُ فى وليمة الزفاف
بل أذوبُ شوقاً للقاءِ العريس
الذى أنتظر بثقة
أن ترفع قُوَّتُه عنى
ثِقَلَ ذُنوبِى
وأوقن يقيناً لا يقبلُ الشك
بأننى لو لجأت إلى يد القدير
فلن أصل إلى الغفران فحسب
بل إننى سوف أراه هو
أتقبل عفوَهُ ورحمَتَهُ
وأرثُ السماء
رغم أننى مرفوض منبوذ .

لك فى الأعالى يا من ترى الخفايا

فى أول جزء فى أول فصل الشاعر يفضل «أضحيته الكلامية» وهى إشارة إلى كتابه الذى شرع فى تأليفه، على «القداس» الكنسى. لأنه بهذه الكلمات القليلة (مقارنة باللانهائية الإلهية) يسعى الإنسان مباشرة إلى ربه. ولكشف طبيعة هذه الكلمات يبنى ناريجاتسى صورة شعرية معقدة نرى فيها الإنسان الذى يشقى بسبب رغباته التي تقوده إلى الآثام ولكنه فى نفس الوقت يملك إرادة تحديد وتحليل تلك الآثام وإرادة الإبتهال إلى الله ليخفف من شقائه. وهو شديد الإدراك لآثامه، ولكنه مستعد أيضاً أن يدافع عن قضيته كإنسان. وتقبل الله لأضحية الشاعر الكلامية تعنى اكتشاف روحه المفقودة من جديد، وبالفعل كشف جوانب الروح الإنسانية يؤدى حتماً إلى إكتشاف تلك الروح كمنحة إلهية تسعى إلى الله.

الندم الشديد وارتكاب الآثام

قد يبدو غريباً أن الندم الشديد أيضاً يقوده إلى التهلكة . ولكن مفهوم الندم الشديد عند الشاعر هو فقدان الأمل فى الخلاص. إن الندم الشديد يأتى فجأة بعد حياة مليئة بالآثام لم يستجب فيها الإنسان إلى أى نصيحة تدعوه للرجوع إلى طريق الفضيلة، بل ربما قام بإزدراء الذين قدموا له النصيحة.

ولذلك عندما يدرك ذلك الإنسان ، فجأة ، انحرافه الشديد ، يفقد صوابه من هول خطاياه، ويشعر أن من المستحيل أن يتطهر من كل آثامه، وهذا الإنسان كان من قبل مستهتراً بأوامر الله، أما الآن فإن شدة رد فعله تمنعه من الإيمان بأن الله سوف يغفر خطاياه ، ولذلك يشير الشاعر إليه بأنه يشك فى قوة الجبار، وهذا انتقاص من قدرة الخالق من قبل الإنسان، وهو إثم يفوق كل آثامه، بل أن هذا الإثم لن يغفره الله له. ولذلك فإن الشيطان الخبيث يشجع الإنسان على أن ينغمس فى الندم.

والذى يريد الشاعر أن يؤكده أن الندم الشديد يعنى فقدان القدرة على التفكير السليم، مثلها مثل ارتكاب الآثام، التى فيها أيضاً فقدان الوعى، أو فقدان الإنسان لإنسانيته ليتدنى إلى مستوى الحيوانات.

لو أننا هربنا منك، فإنك تدركنا

الإيمان بأن الله يريد خلاص الإنسان، ويوفر للإنسان كل طرق الخلاص، بل يعطى له الفرصة تلو الفرصة، ذلك لأن الله يحب الإنسان.

إذا أبصرت جنديا أتوقع الموت

تصوير لنفسية انسان يعرف أنه ارتكب جرما ما ويخاف كشف جريمته فى أية لحظة، بل إنه يشك كل لحظةً أن أمره مفضوح للناس، ولذلك يعيش فى حالة من التوتر المستمر ويعتقد أن أى عابر سبيل يقابله إنما هو آت من أجله. ويقدم الشاعر سلسلة من الأمثال، يختلف توقعها من كل شخص حسب طبيعته ووظيفته. وخوفه ليس من الناس فقط، بل إن توتره الشديد يجعله يفزع من أتفه الأشياء. ولكن الخوف الحقيقى أن تستمر هذه الحالة إلى يوم الحساب فلا يستطيع أن يتكلم ويدافع عن نفسه.

والمهم فى هذه القصيدة ليس الجرم نفسه، فلا يحدده الشاعر أبداً. بل أنه الإحساس بالذنب. وما دام هناك هذا الإحساس فلن تنقطع صلته مع الله. والمقطوعة إذا تحليل نفسى لإنسان يعانى من الإحساس بالذنب، بل من عقدة الذنب، تجعل من حياته عذاباً مستديماً.

سوف يرتفع شرفك بى

سلسة من التوسلات والتضرعات إلى العذراء تستجيب لها هى فى نهاية القصيدة.

وناريجاتسى يشعر بهذه الاستجابة وجدانيا. ويقدمها بصورة شعرية غير مألوفة نتاج صدق وعمق مشاعره. وقد يبدو لأول وهلة أن هناك تناقضاً بين العذرية والحليب. ولكنها بالفعل أرضعت ابنها يسوع. والشاعر يختار كلمة «تمطر» ككيفية وصول قطرة الحليب إليه ليمنع أى تداع حسى. وحليب العذرية ترمز إلى الطهر. ولا ننسى أن الشاعر الراهب قد اختار العذرية أيضاً كإحدى هيئات الطهارة وإحدى السبل إليها. والعذرية ليست جسدية فقط، بل روحية أيضاً. وعندما يشعر ناريجاتسى أن ثمة أفكارا تدنس روحه، فأنه يلجأ إلى مثال العذرية المطلقة. وهكذا فإن حليب العذرية «تمنح الحياة» لعذريته المهددة.

ويل لى أنا الخاطئ

صور متتالية لخوف المخطئ من العقاب. وللقصيدة جزءان متداخلان، الأول عن حياته فى الدنيا والتى لن يستطيع فيها أن يكفر عن ذنوبه الكثيرة، والثانى عن خوفه من مصيره بعد الموت. والشاعر يذكر أنه يخاف أن يحترق في الجحيم، ولكن ليست هذه هى العقوبة القصوى التى يخشاها. هى تأتى كذروة القصيدة فى آخرها، ويعبر عنها الشاعر بطريقة درامية عنيفة نهائية، عندما يقول الله له « لا أعرفك ». فهذه الكلمة تقطع بإنعدام الصلة بين الإنسان وربه، وهى أقصى عقوبة لإنسان شوقه الأكبر أن «يقبل على الله برباط الحب الوثيق» وأن «يراه هو».

قصيدة جريئة أيضا، لها جزءان. الأول فى صورة توسلات وتضرعات. أما الجرأة فهى فى الجزء الثانى التى تبدأ كل جملها بكلمة «لا» . والجرأة ليست شكلية فقط، كأن الشاعر يأمر يسوع ألا يفعل معه هذا أو ذاك. الجرأة الحقيقية فى المضمون الذى تظهره. فالشاعر يبين الفرق الشاسع اللامحدود بينه وبين«ابن العلى»، ويستنتج أنه من العبث أن يحسب يسوع «غبار الشاعر المتلاشى ندا له». بل أكثر من ذلك، أن يستغل «إحساس الشاعر بالذنب» ويستخدمه كحجة لإلقائه فى الجحيم.

والشاعر، كما فى كل الحالات، لا يتوانى من تحليل الصلة الغريبة والمتناقضة بين الألوهية والإنسانية. ويبدو له غريباً حقاً أن الإله المطلق يهتم بمعاقبة الإنسان المحدود. ومن المؤكد أن توجيه هذا الكلام إلى المسيح وليس إلى الله له مغزاه. فالمسيح فى الدين المسيحى يجمع بين الألوهية والإنسانية، هو المعجزة التى تؤكد إمكانية العلاقة بين الله والإنسان. وإذا لم يجرؤ الشاعر أبدا أن يخاطب الله بهذه الطريقة، فإنه يستطيع مخاطبة المسيح الإنسان. والشاعر ينهى مناجاته بتعبير له مغزاه أيضاً. فإعتراف الشاعر بآثامه فى «كتاب المآسى» هو نوع من استباق لوم الله له.

إننى أؤمن بعظمته أولا

ذروة الصوفية. فالإنسان مع معرفته أنه مرفوض حاليا بسبب خطاياه، يعرف أيضاً أنه سوف ينال مغفرة الله بسبب الإيمان به وحبه له. والإنسان أيضاً، بالرغم من اعترافه بخطاياه، لا يبغى الخلاص فقط، بل يؤمن أنه سوف يرى الله.

ولذلك فإن الشاعر لا يتحدث فى هذه القصيدة عن خطاياه، بل أن عذابه هو بسبب شوقه إلى الله، عذاب المحب الذى يتحرق شوقاً للقاء الحبيب.

أناشيد كوغطان من العهد الوثني

مولد فاهاكن

كانت الأرضُ والسماءُ تعانيان المخاض
وفى مخاض مثله كان البحرُ الأرجوانىُّ
أما مخاض البحر،
فكان يمتد من قصبة حمراء .

ثمة دخانٌ كان يصعدُ من فُوَّهَة القصبة .
ثمة لهيبٌ كان يصعد من فوهةَ القصبةَ .
وفى قلب اللهيب
كان يركض فتىً أشقرُ.

فتى له شعرٌ من نارٍ،
ولحيةٌ من لهبْ.
وكانت عيناه شمسينْ .

قصة أرداشيس و ساتينيج

إمتطىَ الملكُ المقدامُ أرداشيس

حصانه الجميلْ

وقد نحي جانباً

حزامه الأحمر ذا القروطِ الذهبية

عَبَرَ النهرَ بسرعةِ عاصفه

كنسرٍ قوىٍّ الجناحْ

وقد ألقى حِزَامَهَ الجلدىَّ

ذَا القروط الذهبية

رمى به حول خصر

غادة «الآلان»

لكم أوجع بشدةِ خصرَ

الغادة الرقيقة

وحملها بسرعةَ إلى جيشه .

* * *

دَعْنى أقلْ لكَ أيها الرجلُ الشجاع

«أرداشيس»

نعم، أنت أنتصرتَ
على الشعبِ «الآلانى» الباسل
لكن لماذا لا تأتى
وتزوج إبنك من ابنة «الآلان» الساحرة العينين
ذلك أنه ليس عدلاً
ولا يليق بقوانين البطولة
أن تختطف أبناءَ أبطال آخرين
وهم على قيدِ الحياة
لكى تجعل منهم خَدَماً
وتبقيهم عبيداً لديك
مخلداً العداءَ الأبَدىً
بين الشعبين الشجاَعين.

نيجو غوص صارافيان

"شاعر يبدع شعره من تناقضات النفس الإنسانية"

نيجو غوص صارفيان (١٩٠٥ - ١٩٧١)

ولد فى سفينة تبحر من اسطمبول إلى فارنا .

حيث قضى طفولته فى تلك المدينة . وخلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨، انتقل ، مع عائلته ، من مدينة إلى مدينة ، من بوخارست إلى جلاتس ، من أوديسا إلى روسطوف ونوفور سسج ، ثم ذهب بعد الحرب إلى اسطمبول وبقى فيها حتى عام ١٩٢٢ .

يعد من أهم شعراء الشتات ، وقد فضل أن يعيش فى الغربة حراً بدلاً من أن يعود إلى الوطن الأسير ، أرمينيا السوفييتية المكبلة بالنظام الشمولى . وهو بذلك يعتبر الحرية وطنه الحقيقى .

وصارافيان يحفر أبداً فى ذاته المعذبة بالمتناقضات ، التى يسلم بها ، ويسعى ، مع ذلك ، إلى أن يسمو عليها . صورهُ جديدةٌ جريئة ، إيقاعه يتغير مع تقلبات العقل والإحساس ، كأنه إيقاع البحر الذى ولد الشاعر فيه فظل فى الشاعر حتى ديوانه الأخير «البحر المتوسط» .

غابة فنسان

(مقاطع)

تمتد غابة «فنسان» من «مارن» إلى ما بعد «الدون»
آخذة فى مجالها
الجزء الأكبر من «البحر الأسود» .

إنها تصل أحيانا إلى السماء .
تمضى أبعد من الأشواق والذكريات .
تصعد أعلى من وطن مجهول يتراءى من الحلم .
وفى أيام الآحاد والأعياد
فى الصيف
تتدفق أحاسيس خضراء
كالعصارة التى تسيل من الأشجار
وقد غدت شفافة من قدسية الشروق
تأخذنى إلى أقصى درجات السمو .
سفينة تنبثق من الظلام .
حيث تفيض الحشائش
ساطعة عذراء
تتكلم .
تنبض قمم الأشجار
غارقة فى السكون
تمتص وتفرغ ضوءاً ما .

تنسكب الظلال .
تحلو الأرض والهواء والنبات .
وعبر فيضان الأضواء
متعددة الألوان

ومن خلال الاحمرار الدامى
للسحب الهارية
والجريان الفارغ الحزين لسنوات عمرى
أعرف مغزى اضطرابى
أنفعل انفعالاً عذباً بالأمل
لألتقى بالصبى الذى أسكره البحر .

ولكن الغابة تمزقنى أيضا .
وكأنها قاض يأمرنى :
«قل كل الحقيقة والحقيقة وحدها» .
يدق قلبى
حائرا ومضطربا .
يُسمع صوت الخفيف
كأنه همس الهول .
يتفجر ضوء من اصطدام قمم الأشجار
بالأسلاك الكهربائية
الاصطدام بين السالب والموجب
بين الطفل والرجل الراشد
بين المثقف والعامل
بين الغربة والشوق إلى الوطن

بين الجمال الذى يلقينى من القبح
والقبح الذى يحفزنى إلى الأعالى .

تأخذنى الغابة إلى أقصى التناقض .
تصبح مكانا للجريمة .
أسير أحيانا فى أعماق بحر أحمر
عبر السكون والأضواء التى تتشبث
بذراعى وقدمى .

عالم غارق .
يخرج شبحه الأحمر من دمائه
حاملاً بشاعة الكائنات المتحولة ذاتها .
تسطع الشمس باللون الأحمر .
حتى الظلال حمراء .
يضغط الزمن رويدا رويدا
بينما يوحى أريج الأشجار
بنشوة مأسوية .
ينتشر الظلام ببطء
فتهرب الطيور من عواء الجان .
ومازلت أسمع صوت المكنسة عندما أجبرتنى
صفارة إعانة العاطلين
ذات يوم غائم
على كنس ذهب الأوراق الذابلة .
يُسمع فى الريح طنين «زنابير» آلام الكبرياء
التى تكنس الأوهام .

ألم جمال الخريف الشائه .
تمر أحيانا عربة محملة
بأشجار مقطوعة ومنزوعة القشرة
تبتعد بطيئة
مثل عربة تتحرك من محطة «روسطوف»
- ممتلئة بالجثث العارية المبتلة
مفتوحة عيونها
فى إثر معركة حربية .
تذكرنى الأشجار التى تضربها الرياح
وشلالات الحشائش المتدفقة
بسفينة الإيمان

المبحرة إلى منبع نهر الآمال
لتجد نفسها دائماً
أسفل شلال بكر .
كل حقيقة تشوقنا إلى حقيقة جديدة
كل ثورة تقودنا إلى ثورة جديدة .
ما هو الصواب حقاً ؟
أجلس أحيانا مرهقا
والملاجىء السرية تحت الأرض
أمامى
أتذكر ليالى القذف بالقنابل
وذكريات بشر عاشوا مثل الخُلد .
ها هى خالية أمامى
حصون الجيوش المنتصرة الغابرة .

ليس سوى البؤس .
ويُسمع الصوت المدوى للمدينة الهاوية .

* * * * *

ساحرة حقا غاية «فنسان» .
تمحى المسافات
على ضفاف نهر «المارن» - «فارنا» .
يمحى الزمان أمام العاريات المضطجعات .
وعندما تهتز واحدة منهن
تلتف بإيقاع رقصة حديثة
يتبدى فيها همجى يهذى ثملا من الأشباح .
تتفهم قريننا .
تلغى المسافات .
والإنسان الذي ينظر إلى القوارب المنسابة والسابحين
يبصر فى الوقت نفسه صورته القديمة
عندما كان صبيا
غريبا فى مدينة صغيرة أجنبية
يتعلم اللغة الأجنبية لوطن فكره .
كانت كل كلمة تكبر فيه بفتنة مثيرة
عندما كان صبياً
فتنة كان يحلو بها الواقع المقبل .
ها هو الصبى قد أصبح كائنا آخر
وصل إلى نهاية حلمه .
هو رجل الآن
بعد ثلاثين سنة
يعود لينظر إلى النهر

يتأمل تلك الايام
حين كان ذلك الحلم يولد فيه .
وينظر . ها هم السباحون ، القوارب
المقاهى المزدانة بالأعلام
الألعاب المائية
حشود يوم الأحد .
يتأمل الصبى الذى كانه .
ويستمر هذا السراب الروحى العجيب .
تسلم الواحدة ضوءها للأخرى
مثل جهازين لاسلكيين
يتحاوران من عالمين مختلفين
ويحول حلم الأولى
وعلم الثانية
مرارة السنين لبرهة إلى جمال .
بعضها برىء ينتظر النشوة
والآخر فى حاجة إلى التطهر
والكلمات التى كانت مفعمة بالأحلام
أصبحت واقعاً بلا حدود ...
* * * * *
ثمة قبح ما وراء كل جمال
وهناك نوع من البهلوانية على الحبال
وراء كل نجاح
هناك مشعوذ خبير .
مشوهون نحن حين نبكى
وعندما نرى تلك النشوة .

ولكن هناك جمالاً
أيضاً وراء كل قبح .
النساء محبوبات حين نرغب فيهن فقط .
الفن أيضا نشوة
الفن فرحة اكتشاف النشوة والألم
في الانهيار الداخلي
الفن جسارة التفجر في دماء الوحش
حتى لا يقهرك أحد
الفن شهادة
كبرياء
إرادة تقهر بالبراءة مكرالماكرين .

* * * * *

من شجرة إلى شجرة
أحيانا
تبحث نظرتي عن شيء ما
تطلق القمم بينما تتأرجح
ضوءًا ما .
ما هذا الجمال الذي يجتاحني يقلقني يسكرني ؟
جمال الشمس والخشخشة
وحركات الموج في الضفاف ؟
جليل هو الصيف !
سماء جليلة
كرخام الآلهة
الذي تشيد به كل الأشياء العظيمة الممكنة .
توفر كل الإمكانيات

لتحول كافة حماقاتنا

إلى لغة سماوية .

كل الأشياء التى ولدت من البحر والنار

وقتلتها حماقاتنا العنيدة .

ما هذه القدسية التى

تأتى من موسيقى

تهزنى وتسكرنى .

والحب ؟

أه حتى لجرحه عذوبة

ما أزال انتظرها

رغم أننى تألمت بخنجره

حتى نخاع عظامى .

كل هذا النفاق

الذى لا نصدق إلا فيه .

تطفو أمواج السكون

والسحاب يدمى

والأشجار التى تعدل قوامها

تصطف جنبا إلى جنب

لتغنى قبل أن نفترق فى الظلام .

الأبواق تشتعل .

سماء جليلة

والنسوة حاضرات

مختلفات

طيبات قدوتهن «العذراء»

فاتنات كالنافورات
نمرغ عليهن قلوبنا
المتلألئة بالأنوار
إمبراطورية هى المرأة
مثل الفهد
وهى التى تأخذنا
بحبها ونكرانها لذاتها وسموها
إلى الحماسة .
ولكن أوتاد الأشعة تنوق
رويداً رويداً .
وتنطفىء الشموع .
وينفد الرخام .
وتُسمع الأقدام الرصاصية
لجنازة ما
للظلام لأفكارى .
سنظل هكذا إلى أن نموت .
ننتظر ثم يخيب الأمل .
والمأساة
أن انتظارنا
لا يبدو أبدا فارغا
أو أحمقا .
هذا ما ينبغى أن يكون .
تافه ما جنيناه من تأملاتنا عبر القرون
وزائلة خمرة حواسنا
مقارنة إلى عذابنا .

ورغم ذلك

نظل فى حركة أبدية

ننتقل من التأمل للإحساس

ومن الإحساس للتأمل

ومن المرارة للفرحة

ننتظر دائما

بينما الذى ننتظره

يأتى ويذهب .

نهم . طلب .

تذمر يقودنا نحو القناعة ...

* * * * *

أقف متأملا

بينما ينفلت ضوء من برج «أيفل»

من الشبكة العنكبوتية المعلقة من السماء

أشبه بنجم يهدى الطائرات .

والموجهات الصوتية تندفع غزيرة سحرية

أقف مرتعداً كى أجد الكلمة الحقة ...

أتأمل وأفهم لماذا يغادر مواطنىَّ

هذه المدينة لكى يعودوا إلى الوطن .

ثمة حلم قد تهدم فى عمق أرواحهم .

لكل منهم قصة شتاته

وهموم أبنائه .

يغادرون وهم يحتقرون هذه الفخامة .

يجذبهم سر تراب الوطن .

كل منهم فخور باحتقاره هذا
متحمس لما اختاره .
أفهم لماذا يسجدون ليلثموا
أرض وطنهم
يحمل كل واحد منهم شوقا
إلى العدالة
والإدراك الإنسانى الأسمى
لقد عرف أنه لن يعثر عليها
على أرض أخرى غير أرضه .

وبينما أشاهد فى الأفق موكب الحجيج
وهو يخرج من أحياء وضواحى المدينة الكبيرة
وقد تخلوا عنى
أرى حزينا فى عمق الغابة
مشهدا بين سحابتين يثير اهتمامى ويهزنى .
أرى واحدة تنظر كثعبان
والأخرى أشبه بطائر
يقترب منه مذهولاً
ثم سقط بعد برهة فى فمه .
وعندما تهضم السحابة فريستها
طاعنة بذيلها فى المدى الأحمر الغامق للسماء
أحس مثل أناس القرون القديمة
وقد شاهدت رؤيا قاسية
أشفق على الحجيج المبتعدين
وأرتعد ثانية كى أعثر على الكلمة الحقة

من أجلهم .
من الواضح الآن
أن الديار البديلة الغربية
مرغوبة أكثر من وطن أصيل
يشعر فيه الإنسان بغربة أشد
وحرية أقل .
وبعد رجوعى أتنهد مرة أخرى :
« ليس لى مكان ألقى فيه مرساتى
ما من ميناء هادىء ... »

* * * * *

غالباً ما أستيقظ ليلاً
كأن نومى لعنة
جنون كل حلم أحلمه
بل أن أحلامى أكثر جنونا من الجنون .
استيقظ مفتشا فى الواقع عن السلام والأمن
وأفر من الواقع أيضا من أجلهما
أحاول أن أغطس فى النوم والحلم
وأفشل .
أصحو وقلبى يخفق
يكاد ينفطر
يهزنى مثل شراع يهز سارية
مثل صقر أحكمت فى قدمية القيود .
قلب يجثم فوقى
يضعنى تحت براثنه الوحشية
لا يقدر عقلى أن يهدئه

مُعذِّبٌ ومُعذَّبٌ
إنه صوت وخز الضمير
الذى يصدر من تحت أنقاض
أخطائى وخطاياى وحماقاتى .
هو احتجاج
ضد قيود العقل المستبدة
وهو مُفزَع من سطوة هذا الإمبراطور .
غاضب من أجل انكساره .
هو بذرة تتحدر من الأسلاف
غريبة عنى
ولكنها أشد أصالة .
كما أنا مشوه بالحياة والأفكار .
هكذا أنقسم أنا إلى اثنين
فى سكون الليل
نصف نائم ونصف يقظان
أتعرض لأنكى العذابات .
يسيل العرق من جبهتى وصدرى .
وحدى فى نهاية العالم
وقد تخلى الجميع عنى
كأننى محكوم عليه بالإعدام
يجهل جريمته .
تصير الريح وخشخشة الأشجار فى الظلام
قاستين مثل ضجيج تشييد مقصلة .
هذا هو وقت مجىء كل تناقضاتى
يصارع بعضها بعضا .

إنه الوقت الذى يشهد
مأساة ولادة التشتت الشاملة .
تهزنى الذكريات ، تطاردنى .
تسخر منى
تقتلنى .
الموتى من أترابى فارقونى
وهم يتنكرون لى .
أما الأحياء فهم يضمرون حكماً .
هل الذاتية خطيئة ؟
أحتقر الذين يدينوننى
ولكننى كنت أتمني
أن أحظى بودهم وثقتهم .
أليس ذلك سر عزمى وعذابى .
حينما أكتب ؟
* * * * *

للفجر بعد انحسار الظلام
جمال النعيم .
لحظة من الغبطة بين النوم واليقظة
كأن جسدى كله يتفتح
مثل السماء
يصير شفافا أمام الأشياء والمخلوقات .
يملأنى انطباع خفى
بأننى أحرزت نصراً .
لدى سر جمال الحياة .

كل فجر يختلف عن غيره .
الفجر فى الخريف سمو عذب
مثل ذكرى حبيب فارقنا
وننتظر عودته .
الفجر فى الشتاء يزداد شوقاً
حينما يكون الضباب فى الخارج
أرتدى ثيابى تحت المصباح الكهربائى
وأخرج للعمل قبل أن أرى الشمس .
فى فجر الربيع أسمع خطوات حبيبى .
تضطرب روحى .
ويجىء فجر الصيف أعظمها جلالاً .
يغمرنى الضوء
يغمرنى فى أريج القسطل والزيزفون والسنط .

تنبثق من أبواق نحيلة .
ويكون فجر الصيف أجلّ
خاصة عندما لا يكون لدى
هم الذهاب إلى العمل .
بعيداً عن الحياة
أفهمها بعمق
بكينونتها العذارء
مثل نعمة .
تتجلى الحياة بكل سموها
عندما لا أبالى
بحاجاتنا اليومية والملحة

والتى لا معنى لها فى معظم الأحيان
والتى يصارع بعضنا بعضا من أجلها مدى الحياة
عندما لا أبالى حتى بالعمل ومختلف المتع وأنواع الحرمان
حيث يصبح الكسل مقدسا .
يصير انتصاراً ونعمة .
ويصعد الامتنان من أعماق روحى
تجاه الطبيعة والناس
فهل كانت السعادة ممكنة
بدون هذا الكسل ؟
الكسل ثمرة كدحنا .
النعمة ثمرة صدام الشر بالخير .
لفجر الصيف عظمة العيد .
أشعر بسكينة جلية نقية عادلة
تعلو فوق التظاهر والنفاق ...
إنها بعث .
....
يا لها من برهة
أسبل فيها عينى
منسابا فى مسافات مشتهاة لا تنتهى
وأنا أحل الوحدة بعد الأخرى
قيود ألمى ، إرهاقى ، حزنى ، ويأسى
متحففا صاعداً نحو النور .
أصير شفافا وصافيا .
والفجر يتبدى متجليا
فهى امرأة خيالية

أو طائرة يحلق فوق الوهاد
في قمة شجرة
أو نبع نفيض من منه كل الخيرات .
يا لها من برهة
وأنا لازلت غير عارف بنفسي
أجهل ذاتي
ولا أدرى أين أنا .
كل شيء يبدو خارقاً
كل شيء .
حركة جناح طائر
يقفز من غصن إلى غصن
فشعريرة الأوراق
مخمل براثن قطة
القيد الحديدي ينفك
عن أقدام كلب
ضوضاء المكنسة
وهي تذكرني بالذيل الطويل
لثوب راقصة
ولكن تذكرني على الأخص
بمكنسة أمي
حيث كانت أستيقظ على صوت حركتها
لأذهب إلى المدرسة .
أمي كانسة الحديقة
كانت تقترب من نافذتي
وكانت تنظف روحي أيضا

مع فجر كل صيف .

كل هذا بداخلي الآن .
قد انصهر كسبيكة واحدة
العالمان الداخلي والخارجي .
ألغيت الحدود .
وأنا في كل ناحية
أقف على التخوم القصوى للكرة الأرضية
محتشداً بالذكرى المبهمة
لبلداني ومدني
التي عشت فيها
لسهولي وحقولي
لأشجاري ودروبي
لبحاري وأنهاري
التي شاهدتها .
عجيب أنا أمتلك كل هذا
وأنا بعيد عنه
ولا أحتاج إليه .
هل معنى هذا أنني أقرب إلى الخالق
عندما لا أفكر فيه وأهمله
لست ذلك الشخص الذي يصلي
لأمر كان يطلبه
الأناني الذي يريد شيئاً ما من السماء
مقابل عبادته
ولست كذلك الشخص الذي يتمرد على السماء
وبسبب أنانيته يضمر لها الحقد

ولأنها تضن عليه .

ساحرة هى غابة «فنسان» .

لقد وَصلْتُ إلى قمة التركيز الداخلى للتجارب .

لدى سعادة مؤمن متعبد

دون أن يكون لدىَّ إيمانه .

تلتمع خضرة الأشجار بقدسية مغايرة .

المدينة تدوى بسر جديد .

الضوء يأخذ لون زهور اللوز

تحت عينى نصف المسبلة .

....

للضوء نصاعة رخام «البارتينون»

تحت عينى نصف المسبلة .

أخرج من سريرى

متجدداً

منتعشاً طهورا

وفى مواجهة الأشجار

أمام طاولتى

تبدأ الحياة الحقيقية .

يوليو ١٩٤٧ ، فنسان

يغيشى

"شاعر الجهاد الروحى"

يغيشى (القرن الخامس)

ليست هناك تفاصيل مؤكدة عن حياته .

ألف «فارتان وحرب الأرمن» و«فارتان هو قائد الجيش الأرمنى الذى حارب ضد جيش الفرس الكبير دفاعا عن الدين عام ٤٥١ . فقد كان هدف هزجيرد الثانى ، ملك الفرس ، أن يرتد الأرمن عن الدين المسيحى إلى ديانة الفرس ، أو ، كما كان الأرمن يصفون ذلك الدين ، عبادة النار . وقد دامت المعركة يوماً واحداً وانتصر فيها الفرس بعد استشهاد فارتان ، ولكنهم اقتنعوا أيضاً أن الأرمن لن يتركوا دينهم . وذلك فقد اعتبر الأرمن تلك المعركة خسارة عسكرية وانتصاراً روحياً .

ويؤكد يغيشى أنه شاهد عيان لتلك الأحداث .

أسلوبه متناغم متدفق ، وهو يخضع التفاصيل الواقعية والصور البلاغية لهدفه الأوحد وهو النفاذ فى وجدان القارىء وتأجيج مشاعره الروحية .

زوجات الأمراء المنفيين

لا يمكنني تذكر أسماءهن جميعاً
زوجات الأطهار المبارك
الذين أسروا
أو الذين استشهدوا في المعركة
لأن من عرفتهن أقل من اللواتي لا أعرفهن
خمس مائة اسم فقط أعرف منهن
لم تنسبن إلى المراتب العليا وحدها
بل إلى الصغرى كذلك
كن جميعاً تسكنهن الغيرة السماوية
وكانت الأعلى مرتبة منهن
تلتقي مع الأدنى مرتبة في الزهد .
اكتسبن جميعاً
العالية المقام والأدنى منها
فضائل التقوى
أبدا لم تتباهين بأنهن سلالة الأحرار
بل كن مثل من نشأن وسط
شظف العيش بالريف
يلتزمن الصبر على الآلام
بل كن أكثر صبرا ممن نشأن في البؤس .
وكما تغنت أرواحهن بالنور الأبدي للقوة الخفية
فقد تحملن عذاب الجسد

وهن يكابدن عبء الحياة .
لقد كان لكل منهن خادمة منذ الصغر
إلا أنك أمام مظهرين المتواضع
لا تستطيع تمييز السيدة عن وضيفتها .
اللباس واحد
تنمن معاً على الأرض
لا تهييء الواحدة منهن
الفراش للأخرى
لأنهن لم يكن يفصلن الفرش
بعضها عن بعض
أضحت البسُط كلها داكنة اللون
واكتست الوسائد
بنفس اللون الأسود .
لمن يكن لهن طهاة خصوصيون
لطهى ما يشتهون من الطعام
ولا خبازون معينون
طبقاً لقوانين النبلاء
كن يشتركن معاً فى بداية الأسبوع
فى حشد عام
مثل النساك في الصحراء
لم تسكب إحداهن الماء
على أيادى الأخريات
لم تقدم الأدنى منهن المنشاف للأعلى
لكى تتنعم أيادى السيدات الرقيقات
ولم يقدم إليهن الزيت لحفلات المرح
لم توضع أمامهن الأطباق اللامعة النقية
ولا كئوس الأيام السعيدة

لم تقف المضيفات أمام الأبواب
ولم يُدْعَ النبلاء للولائم .
لم تعد أى منهن تتذكر
ما كان لها من مربيات راعيات
أو أقارب عطوفين .
اكتست ستائر العرائس
بالتراب والدخان
وعشش العنكبوت فى غرف العُرس
تهاوت العروش العالية فى الدواوين
وانكفأت أدوات المائدة
هدمت القصور
ضربت القلاع الحامية .
ذوت حدائق الزهور وجفت
اقتلعت من جذورها
الكروم التى تهب النبيذ
أمام أعينهن سلبت ممتلكاتهن
وسمعن بآذانهن صرخات عذاب الأحياء
صادر البلاط كنوزهن
ولم يترك لهن
حتى الزينة على الوجوه .

السيدات المنعمات للأمة الارمنية
اللواتى كن يعشن مدللات مرفهات
فوق عروشهن
المحمولة على الأعناق
صرن يذهبن حفاة على أقدامهن
لدور العبادة

يتضر عن دون كلل
ويعدون بتقديم النذور
لكى يستطعن احتمال هذا البلاء العظيم .
وتلك اللواتى تغذين منذ طفولتهن
بلحوم الغزلان
وأمخاخ العجول
تقبلن الآن بلفهة عظيمة مثل الهمج
على أكل النباتات
لم تتذكرن مطلقاً الملذات
التى اعتدن عليها .
ولأن الشمس تلفح جلودهن فى الصباح
فقد أسودت أجسادهن
وفى الليل تمزقها خشونة الأرض .
لم تكن تمتمات أفواههن إلا لتلاوة المزامير
وكانت قراءة كتب الأنبياء مواساة كاملة .
لقد اجتمعتا اثنتين - اثنتين
مثل زوجين متوافقين متساويين
لحرث طريق الجنة المستقيم
حتى تصلن بدون هفوة
مرفأ السلام .

لقد نسين الضعف النسائى
وصرن كالرجال متشحين بالفضيلة
فى الجهاد الروحى
قاتلن الخطايا الكبرى
قطعن جذورها المميتة وألقين بها .
انتصرن بالسذاجة على اللؤم

وطهرن بالحب المقدس زرقة الحسد .
قطعن جذور الجشع
فيبست الثمار القاتلة على الغصون
سيطرن بالتواضع على الكبر
ووصلن بنفس التواضع
إلى علياء السماء .
فتحن بالصلوات أبواب السماء المغلقة
وجلبن الملائكة من السماء
بتوسلاتهن المقدسة
من أجل خلاصهن
سمعن البشرى وهى بعيدة
ومجدن الله فى الأعالى .
الأرامل منهن أصبحن من جديد عرائس طاهرات
وانتزعن من أنفسهن إهانة الترمل .
زوجات المكبلين قيدن بإرادتهن
الرغبات الجسدية
وشاركن المكبلين المقدسين عذاباتهم .
تشبهن بالشهداء الشجعان
وهن مازلن على قيد الحياة
أصبحن مثل الرهبان
يواسين السجناء من بعيد .
كدحن ليأكلن
كى يدخرن المعونات الملكية
لكى يبعثن بها إلى المنفيين لمواساتهم .
تشبهن بالجداجد التى أفرغت من دمائها
وعاشت بلا طعام
مكتفية بعذوبة أغنياتها

وبقيت حية ترتشف الهواء فقط
متشبهة بالملائكة التى لا أجساد لها .

لقد ذابت ثلوج شتاءات عديدة
وجاء الربيع
بالسنونوات الجديدة
لقد رأى عشاق الحياة وفرحوا
بينما النساء لم يستطعن
رؤية أحبائهن المنتظرين
ذكرتهن زهور الربيع
بأزواجهن التواقين لأكاليل العرس .
ولكن عيونهن قد جمدت
شوقا لرؤية جمال وجوههم .
وهنت كلاب الصيد
وكلت حملات الصيادين
لقد حضروا فقط برسائلهم
ولم يأت بهم أى عيد سنوى
نظرن إلى أماكن تناولن فيها عشاء
فغلبهن البكاء
ذكرن أسمائهم فى كل الميادين
وقد أقيمت لهم التماثيل العديدة
حيث نقشت عليها الأسماء .

ورغم هذا الاضطراب العظيم فى عقولهن
لم تضعف أبدا لديهن العفة السماوية .
من الخارج كن تشبهن أرامل معذبات
فى لباس حدادهن

أما في داخلهن

فكن يتزين يتعزين

بالحب السماوى .

لم تعدن تسألن القادمين من البلاد البعيدة

متى سيرين أحبائهن .

وكن يرغبن من الله

فى شىء وحيد

أن تنهين بالحب السماوى

ما كن بدأنه بالجسارة .

مصطلحات

القـــافا : ترجع إلى كلمة «قافية» باللغة العربية : نوع من القصائد فى العصور الوسطى إبتداء من القرنين الثالث والرابع عشر ، كانت فى الغالب رباعيات تدخل فى قصص نثرية وتتوافق مع مواضيعها وخطها الأساسى ، يعطى فيها الشاعر نصيحة أخلاقية .

الهايرين : التعريف الأعم بها أنها رباعيات مكتوبة على وزن يعرف بـ«الهايرين» . والكلمة تعنى الأرمنية . ونجد عروض الهايرين فى الشعر الأرمنى القديم ، مثلا عند ناريجاتسى .

الهايرين كرباعيات تحتوى كل منها على فكرة وصورة مكتملتين . وتجئ القافية فى السطور الأول والثانى والرابع ، أما السطر الثالث فهو غير مقفى .

نريـــوغ: مدح ، شخص أو واقعة .

شاراجان : قصيدة دينية تغنى أثناء الطقوس الكنسية تمتدح أقوال وأعمال المخلص يسوع المسيح أو ذكرى قديس ، أو تعبر عن وعى الإنسان لذنوبه .

قوغـب : ندب أو نواح : مضمونها مآسى الحياة الشخصية أو الإجتماعية أو الوقائع القومية السياسية .

داغ : فى الأصل قصيدة دينية تمتدح أى شئ يقدس ، مثل الصليب ، الكنيسة ، إلخ . ثم أصبحت تسمية القصيدة فى الشعر الأرمنى فى العصور الوسطى .

كانتـس : قصيدة دينية تحتوى على أحاسيس وأفكار تتسم بالحزن .

الرمـــز : (فى العصور الوسطى) : Allegory: صورة شعرية أو قصة المهم فيها ليس المعنى المباشر بل المعنى الخفى .

جازيـــل : غزل : نوع من القصائد انتشرت فى الشعر الفارسى والعربى والهندى إلخ فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر . تتكون من أبيات وكل بيت يحتوى على سطرين ينتهيان بالردف أى بنفس الكلمة أو الكلمات ، والكلمات التى تسبق الردف تكون قافية داخلية . نفس القافية والردف تعاد فى السطر الثانى للأبيات التالية ، أما السطر الأول فهو بلا قافية .

الردف : إعادة كلمة أو أكثر في نهاية السطر الشعرى تسبقها القافية .

كرابـــار : اللغة الأرمنية القديمة .

اشخارابار : اللغة الأرمنية الحديثة .

أشــــوغ : من كلمة «العاشق» العربية : شعراء - ملحنون - مغنون - عازفون في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، يطوفون القرى والمدن وينالون الإعجاب لا من الشعب فقط بل من الوجهاء والأمراء. ونجد في فن الأشوغ تأثر بالشعوب المتجاورة ، كالأرمنية والفارسية والتركية .

الفهـــرس

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ - مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ . م بينياليستي	ت محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التدعيمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت مرسي سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهورن	ت علي يوسف علي
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود علي مكي
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت . السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت صبري محمد عبد الغني
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف محمد الجوهري
٦٢ - لذّة النّص	رولان بارت	ت محمد خير البقاعي .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	الان وود	ت رمسيس عوض .
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوجينيو تشانج رودريجث	ت عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت حسين محمود

٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . تومبكنز	ت · حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت · أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت · عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت . سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت · محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت . محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت . عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت . عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت . عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت . سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان بروديل	ت . بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت · إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت . عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرا متى	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	ميثل الكسندر وهنادوليبا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيدرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الصبوري
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ – قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت علي عبد الرؤوف اليمبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت . أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت . أحمد مرسي
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جي أتيال وآلان وأوديت فيرمو	ت · مي التلمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت · إبراهيم فتحي
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت حسين بيومي
١٦١ - من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوي	ت صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت شكري محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكري محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت شكري محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت . بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت · هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت . محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	ت · أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنري ترويا	ت . حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت . سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بزرگ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دي مان	ت : سعيد الغانمي
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازي السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو - أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيري	إدوين إمري واخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	ت : فخري لبيب
٢٠١ - الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبي الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدي
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافالي - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : علي يوسف علي
٢٠٧ - ليل إفريقي	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدي عبد الغني
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	ت : محمد محمود محي الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - عولمة السياسة العالمية	جون بايلس وستيث سميث	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : علي إبراهيم علي منوفي

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ – شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراي	ت : نسيم مجلي
٢٢٣ – العلم في مجتمع حر	بول فيرابند	ت : السيد محمد نفادي
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد علي البربري
٢٢٧ – المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركي	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ – الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	آرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس التبريزي	جلال الدين مولوي رومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادي	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩ – العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلارافر – رابوح	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبري محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفي بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوي
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميونوفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	د. ڤاروچان كازانچيان	ت : نخبة .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٨٣١ / ٢٠٠١

المجلس الأعلى للثقافة

مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور

تقترب هذه المختارات من تخوم الشعر الأرمنى ، الذى يقدم رؤية شعرية حافلة بالصور والمشاعر الإنسانية ومعاناة الحياة والوجود وتمزق الهجرة والتشرد وصراعات المنفى وافتقاد الأرض والوطن ؛ مما يجعل من كثير من صفحاته - على المستوى العميق من الإبداع الشعرى - بكائية هائلة ، هى بكائية هذا الوجود المضطهد ، وهذا الإنسان المقذوف به فى أتون الصراعات والحروب ومناطق النفوذ ، وهو يلتمس طوق النجاة .

هذا الشعر - إذن - هو وجدان أمة ، هى أمة الأرمن ، فى كل لغاتها ومستويات تعبيرها ، وتغير عقيدتها الدينية من الوثنية إلى المسيحية ، ومن الانعزال والتقوقع إلى الانفتاح والتعايش .

ولم يتوقف الشعر الأرمنى عن تجسيد معنى الوطن ، وعن الإعلان عن افتقاده ، وعن الغناء له جسداً وروحًا ونزوعًا ميتافيزيقيًا أو مخاطبة للكون الماثل ، تجسيداً أو تجريداً ، ذوبانًا فى الحب أو انغماسًا فى تجليات الصلاة والقربى .

تحيةً لهذا الجهد الكبير : ترجمةً وصياغةً ، وإضافة ثرية إلى رصيد المكتبة العربية من الشعر العالمى ، وإلى رصيد القارئ العربى من المعرفة العميق بالملحمة الأرمنية عبر التاريخ .

فاروق شوش

لوحة الغلاف: منحوتة للفنان
الغلاف: عماد حليم